القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الأسبوعي
Weekly
www.alquds.co.uk
السنة الخامسة والثلاثون العدد 10970 الأحد 30 نيسان (أبريل) 2023 – 10 شوال 1444 هـ
Volume 35 - Issue 10970 Sunday 30 April 2023

حوار: وليد العمري مدير مكتب «الجزيرة» في فلسطين

تيبازة الجزائرية: عاصمة تجارة الفينيقيين والرومان

مَن يقدر على إيقاف غواردیولا والإعصار السماوي؟

السودان: حرب الجنرالات تستعر وسط المدنيين
3-2

ليبيا: المجتمع المدني فريسة غياب الحريات
18

خاتم يستكشف درجة الحبّ لدى الزوج والزوجة
33

طريق دمشق: تحوّلات الإقليم وطوفان الكبتاغون

بعد محاولات متنوعة المستويات بادرت إليها الإمارات والبحرين وعُمان والجزائر، تبدو السعودية البلد العربي المرشح للانضمام إلى جهود إعادة تعويم النظام السوري وإدخاله مجدداً إلى حظيرة الجامعة العربية والالتحاق بمنظومة عربية متماثلة من حيث الاستبداد والفساد والتسلط والتبعية. ومن المنطقي أن تكون أجندات الدول الساعية إلى ذلك الانفتاح متقاطعة متطابقة أو حتى متناقضة، غير أن تحولات إقليمية على صلة بمفاعيل الغزو الروسي لأوكرانيا، والانحسار النسبي للنفوذ الأمريكي، والتقارب الأخير السعودي– الإيراني، وانقلاب النظام السوري إلى دولة مخدرات بامتياز تُغرق بملايين حبوب الكبتاغون مجتمعات الجوار وخاصة في الخليج، تبدو أبرز العوامل الراهنة أمام تعبيد الطريق نحو دمشق.

(حدث الأسبوع 8 ـ 15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

السودان: منظمات حقوقية تطالب بوضع السودان في البند السابع وسط مخاوف من تحول المعارك العسكرية إلى حرب أهلية

مع تصاعد المعارك بين الجيش والدعم السريع، أعلنت الحركات المسلحة التي كانت تتخذ موقفا محايدا أنها قررت تحريك قوة عسكرية للفصل بين أطراف الصراع.

الخرطوم ـ «القدس العربي»: ميعاد مبارك

طالب عدد من المنظمات المحلية، والناشطون الحقوقيون مجلس الأمن بوضع السودان في البند السابع، مشددة على أن حماية حقوق شعوب الدول الأعضاء في الحياة من مهام المنظمة الأممية الأساسية.

واندلعت الحرب في السودان على خلفية تصاعد وتيرة الخلافات في الأسابيع الأخيرة بين الجيش السوداني والدعم السريع والتي أدت إلى تحشيد عسكري واسع في الخرطوم وقاعدة مروي بالولاية الشمالية أدى في نهاية المطاف إلى اندلاع الحرب في البلاد مطلع الأسبوع قبل الماضي.

وراح ضحية المعارك بين الجيش والدعم السريع، في أنحاء البلاد المختلفة أكثر من 500 قتيل وآلاف الجرحى وعشرات الآلاف من النازحين واللاجئين.

وبالتزامن مع تجدد المعارك بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع، في مدينة الجنينة عاصمة ولاية غرب دارفور، الإثنين الماضي تصاعدت أعمال العنف القبلي والنهب المسلح، في المدينة على نحو حاد، ما أسفر عن سقوط عشرات القتلى والجرحى.

ووفق مصادر صحية تحدثت لـ«القدس العربي» قتل أكثر من 100 شخص خلال القتال الذي تحول إلى عنف قبلي، غرب دارفور، الإثنين الماضي وما يزال يتصاعد على نحو مروع.

وأعلنت نقابة الأطباء السودانيين، أمس السبت عن خروج جميع مستشفيات مدينة الجنينة غرب دارفور عن الخدمة، في وقت أصبحت أكثر من 70 في المئة من مستشفيات البلاد متوقفة، محذرة من كارثة صحية وشيكة.

ونددت هيئة محامي دارفور ومجموعة نساء دارفور من أجل السلام ومنظمات محلية أخرى، وناشطون حقوقيون في بيان مشترك بغياب الدولة، محذرة من نذر الحرب الأهلية والفوضى الشاملة في البلاد والتي قد تمتد إلى دول الجوار.

وقالت إن محاولات أخذ السلطة بالسلاح، والصراعات المسلحة الجارية في البلاد من أجل السلطة، تدار على رؤوس المدنيين بين قائد الجيش عبد الفتاح البرهان وزعيم الدعم السريع الفريق أول محمد حمدان دقلو «حميدتي» ونتجت عنها انفلاتات أمنية وإقتتال أهلي في عدد مناطق البلاد.

ولفتت إلى أن من أهم مهام وواجبات الأمم المتحدة حماية الأمن والسلم الدوليين، وحماية حقوق شعوب الدول الأعضاء في الحياة والحيلولة من الفناء بفعل الحرب والكوارث، مشيرة إلى حالة غياب الدولة والقتل الجزافي في أنحاء البلاد المختلفة وفي ولاية غرب دارفور بشكل خاص.

وأضافت أنه، جراء الاشتباكات المسلحة بين الجيش والدعم السريع، يتعرض المدنيون في غرب دارفور للهجوم من قبل مليشيات وعصابات وعناصر مسلحة مزودة بكافة أنواع الأسلحة الثقيلة والمدافع وناقلات الجند ومُستخدمة الدراجات النارية والدواب، تم قتل أكثر من مئتي شخص بمدينة الجنينة وإصابة الاف المدنيين بجراح مشيرة إلى أنه من ضمن القتلى والمصابين عشرات الأطفال والنساء والمسنين.

وأشارت إلى تدمير المؤسسات والمرافق العامة والدور الخاصة، ونهب الأسواق والمنازل، وأن الخراب والدمار طال المستشفيات والمراكز الصحية والعلاجية وتم إتلاف بنك الدم ومعمل الأشعة بمستشفى الجنينة وقتل طبيب الأشعة، ما اضطر الآلاف للنزوح إلى مدن أخرى.

ومع تزايد حدة الحرب، اضطر عشرات الآلاف من السودانيين والجاليات الأجنبية إلى الفرار من العاصمة الخرطوم، والمدن المتأثرة بالقتال إلى مناطق أكثر أماناً مثل ولاية الجزيرة وسط البلاد وولايات البحر الأحمر، ونهر النيل، والنيل الأبيض والولاية الشمالية. فيما عبر آلاف آخرون الحدود إلى جنوب السودان، مقابل محاولة آخرين الدخول إلى مصر وأثيوبيا عبر الحدود البرية، بجانب نزوح أكثر من عشرين ألف إلى تشاد.

وطالب البيان الأمم المتحدة بالوقوف على حجم الخراب والدمار والقتل الجزافي الذي يمارس بمدينة الجنينة ومدى تهديده للأمن والسلم الدوليين والحق في الحياة والسلامة العامة .

ودعا للتدخل العاجل تحت أي بند من البنود لوقف الحرب وحماية المدنيين في السودان وتقديم الخدمات الإنسانية والطبية الإسعافية خاصة بولاية غرب دارفور بشكل عاجل، مطالبا بتفعيل التفويضات السابقة الصادرة من مجلس الأمن الدولي تحت أحكام البند السابع لتحقيق الأمن والسلامة العامة والانتقال المدني الديمقراطي. وحذر من الانفلات التام في السودان .

واتهم الجيش الدعم السريع بالهجوم على قيادة المنطقة المركزية في ولاية غرب دارفور، مؤكدا أنه تصدى له.

وقال في بيان: «إن الموقف العسكري داخل وخارج الخرطوم مستقر جدا عدا ولاية غرب دارفور التي شهدت صراعا قبليا يجري معالجته بواسطة السلطات المحلية» مضيفا: «قواتنا متماسكة وتؤدي دورها الوطني في دحر التمرد بثبات وثقة في كافة الاتجاهات».

ومع تصاعد الأحداث أعلنت الحركات المسلحة التي كانت تتخذ موقفا محايدا من المعارك بين الجيش والدعم السريع، أنها قررت تحريك قوة عسكرية للفصل بين أطراف الصراع.

وقال زعيم حركة تحرير السودان، حاكم إقليم دارفور مني أركو مناوي في تغريدة على حسابه في تويتر: «مع تصاعد المواجهات المسلحة في الخرطوم وامتدادها إلى عدد من المناطق، خاصة دارفور، تواصلت قيادات الحركات المسلحة وقررت تحريك قوة عسكرية مشتركة للفصل بين المتحاربين بالتعاون مع السلطات المحلية، منعا لتوسع دائرة الانفلات».

وما تزال تتواصل المعارك بين الجيش والدعم السريع على الرغم من إعلان الجانبين الدخول في هدنة للمرة الخامسة، والتي يتبادلان الاتهامات بخرقها مثل سابقاتها.

ودعا أعضاء الآلية الدولية الثلاثية المكونة من الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي والوساطة الرباعية بقيادة واشنطن والرياض، الجيش وقوات الدعم السريع بتنفيذ التزامها بوقف إطلاق النار الحالي لمدة 72 ساعة إضافية بشكل كامل.

وفي ظل وساطات محلية ودولية متعددة، لإيقاف القتال، قالت الآلية الدولية والوساطة الرباعية بقيادة واشنطن والرياض، إن الجيش السوداني وقوات الدعم السريع، أبديا استعدادهما للدخول في حوار من أجل التوصل إلى وقف دائم للأعمال العدائية وضمان وصول المساعدات الإنسانية من دون عوائق. فيما بدت مواقف جانبي الصراع متضاربة وغير قاطعة بخصوص التفاوض.

واعتبرت إعلان الجانبين تمديد وقف إطلاق النار لمدة 72 إضافية، مرحلة أولية من الدبلوماسية الرامية إلى إنشاء عملية للتوصل إلى تحقيق وقف دائم للأعمال العدائية ووضع ترتيبات إنسانية، في العمل على تطوير خطة لخفض التصعيد.

وكانت إيغاد قد أعلنت طرحها مبادرة على الأطراف العسكرية المتصارعة في السودان نصت على تمديد وقف إطلاق النار وإيفاد ممثل للجيش وآخر للدعم السريع إلى العاصمة الجنوب سودانية جوبا للتفاوض.

وبعد يوم واحد من إعلان الجيش قبول مبادرة إيغاد، أكد القائد العام للجيش السوداني عبد الفتاح البرهان رفضه الجلوس مع قائد قوات الدعم السريع محمد حمدان دقلو «حميدتي» واصفا قواته بـ«المتمردة على الدولة».

وقال البرهان في تصريحات لقناة «الحرة» الجمعة، إنه «من غير المقبول الجلوس مع حميدتي باعتباره جهة متمردة على الدولة» مشيرا إلى أنه طرح عليه عرضا يقضي بتنحي كليهما عن المشهد لكنه «رفض ذلك».

بالمقابل وضع حميدتي، شروطا للتفاوض، وقال في مقابلة مع «BBC» يجب وقف إطلاق النار ووقف الأعمال العدائية. بعد ذلك، يمكننا إجراء مفاوضات.

الناطق الرسمي باسم الجيش السوداني العميد نبيل عبدالله لـ«القدس العربي»:

لا يمكن تحديد سقف زمني لانتهاء الحرب لأنها تدور وسط المدنيين

الخرطوم ـ «القدس العربي»: محمد الأقرع

قال الناطق الرسمي باسم الجيش السوداني، العميد نبيل عبدالله أنه لا يمكن تحديد زمن واضح لانتهاء الحرب في السودان لأنها تدور في الخرطوم المزدحمة بالسكان وهناك محاذير كبيرة من استخدام الأسلحة والقوات ومخاوف من أن يتأثر المواطنون بهذه العمليات بالتالي هي تأخذ وقتا ليس بالقصير.

وأشار إلى أن السبب الرئيسي في عدم صمود الهدنة المعلنة هو عدم التزام قوات الدعم السريع «المتمردة» بمتطلباتها المتعلقة بوقف التحركات العسكرية والقصف العشوائي ومحاولة استخدام المواطنين كدروع بشرية.

وأوضح عبدالله في حوار مع «القدس العربي» أن مبادرة دول الإيغاد ليست بها أي تفاصيل وقد تحدثت عن نقطتين فقط هما تمديد الهدنة لمدة 72 ساعة وبحث إمكانية إرسال ضابط من كل طرف إلى جوبا للنظر في تفاصيل هذه الهدنة.

وقال إن موقف الجيش من التفاوض موحد خلف قرار قيادته، وأنهم لم يتحدثوا عن تفاوض وإنما عن تمرد وموقف عسكري ينبغي حسمه بالطرق العسكرية، وهو ليس نزاعا بين دولتين أو هو خلاف سياسي يتم حله بالتفاوض.

وأضاف: «ما يحدث تمرد قوة على القوات الرئيسية بالتالي لا أعتقد أن هناك مجالا للتفاوض حول هذا الأمر».

ونفى عبدالله الاتهامات التي يطلقها الدعم السريع بسيطرة عناصر النظام البائد على مفاصل الجيش، وبيّن أن الدعم السريع أصبح يردد ما يطلقه البعض من المدنيين والسياسيين من قوى الحرية والتغيير المجلس المركزي، ونسي أنه عبارة عن وحدة عسكرية لا ينبغي أن تغوص في السياسة.

ولفت بأن القوات المسلحة السودانية عمرها مئة عام وإذا كانت هناك قوة عسكرية وليدة النظام البائد فهي مليشيا الدعم السريع التي أنشأها لحمايته.

○ أسبوع ثالث من بداية القتال في السودان ما موقف الجيش على الأرض وبرأيك ما المدى الزمني للانتهاء من الحرب؟

● الجيش طوال الأسبوعين الماضيين متمسك بكل المقرات العسكرية، ففي يوم 15 نيسان/أبريل هوجمت جميع المقار والقواعد العسكرية في جميع أنحاء السودان لكن الجيش استطاع أن يحافظ عليها وما زال موجودا فيها بكامل قوته ويصد ويدمر الهجمات التي يشنها المتمردون.

لا يمكن أن أعطي زمناً محدداً لانتهاء هذه الحرب، لأنها حرب خاصة تدور في عاصمة البلاد وهي مدينة مزدحمة بالسكان وهناك محاذير كبيرة من استخدام الأسلحة والقوات وهناك خوف من أن يتأثر المواطنون بهذه العمليات بالتالي هي تأخذ وقتا ليس بالقصير.

○ رغم الهدنة ودعوات التفاوض نتابع استمرار القتال في عدد من المناطق، ما الأسباب؟

● السبب الرئيسي في عدم صمود الهدنة هو عدم التزام المتمردين بمتطلباتها، توقيع أي هدنة يتطلب التزاما كاملا من الطرفين بوقف التحركات العسكرية خاصة بالنسبة للميليشيا، لأن القوات المسلحة هي القوات الشرعية الوحيدة الموجودة على الأرض بالتالي ليست خاضعة لهذه الشروط، لكن الميليشيا يجب أن توقف التحركات العسكرية والقصف العشوائي ومحاولة استخدام المواطنين كدروع بشرية، وأن توقف الانتشار في الشوارع وداخل الأحياء، وكل هذه المخالفات، لكن الذي جرى هو أنها لم تلتزم بها بالتالي هذا سبب رئيسي في عدم صمود أي هدنة.

○ ما المستجدات في مبادرة الإيغاد وهل الجيش متوجد حول حل الأزمة عبر التفاوض؟

● مبادرة الإيغاد ليست بها تفاصيل، وهي غير موجودة أصلا، كان هناك اجتماع لرؤساء دول الإيغاد وانتدب ثلاثة رؤساء وهم رئيس جمهورية جنوب السودان والرئيس الكيني والرئيس الجيبوتي، وهؤلاء الرؤساء كلفوا بأن ينقلوا إلى القيادة السياسية العسكرية في السودان مقترحا من نقطتين، الأولى هي تمديد الهدنة لمدة ساعة للحالات الإنسانية، والنقطة الثانية بحث إمكانية إرسال ضابط من كل طرف لكي يذهبوا إلى جوبا ويجتمعوا مع الرؤساء الثلاثة وينظروا في تفاصيل هذه الهدنة، هذه هي مبادرة الإيغاد.

أما بالنسبة للموقف من التفاوض، فالجيش أصلا موحد خلف قرار قيادته، ونحن لم نتحدث عن تفاوض والقيادة العسكرية تتحدث عن أن ما يحدث هو تمرد وتحرك عسكري ينبغي حسمه بالطرق العسكرية لأنه ليس نزاعا بين دولتين أو خلافا سياسيا، ما يحدث تمرد قوة على القوة الرئيسية بالتالي لا أعتقد أن هناك مجالا للتفاوض حول هذا الأمر.

○ الدعم السريع يتهم الجيش بعدم الالتزام بأهداف الثورة وسيطرة عناصر النظام البائد على مفاصله، ما تعليقكم؟

● الدعم السريع أصبح يطلق اتهامات مثل التي يطلقها البعض من المدنيين والسياسيين من قوى الحرية والتغيير المجلس المركزي، ونسي أنه عبارة عن وحدة عسكرية لا ينبغي أن تغوص في التفاصيل السياسية. الدعم السريع أصبح يتحدث بلغة غير مقنعة حتى على نفسه، هو يطلق إدعاءآت وأكاذيب والغرض منها واضح وهو وعد متبادل بينه وبين حلفائه السياسيين بأن يكون بديلا للقوات المسلحة، بالتالي لابد من فبركة وتبني الطرح الذي يطرحونه.

لا يمكن لجيش كامل أن يكون من عناصر النظام البائد، الجيش السوداني عمره مئة عام وإذا كانت هناك قوة عسكرية وليدة النظام البائد فهي مليشيا الدعم السريع لأنها أنشأت لحمايته، وهذه حقيقة يعلمها الجميع، هذه الاتهامات عكسها هو الصحيح ولكنهم يريدون أن يقلبوا الحقائق.

○ كيف تقيمون موقف دول الجوار والدول في المحيط الإقليمي والدولي من الأزمة التي تشهدها البلاد؟

● هذا أمر سياسي يتعلق بالعلاقات الدولية ونحن نركز حديثنا في الموقف والحقائق الموجودة على الأرض من الناحية العسكرية، بالتالي أترك الإجابة عن هذا السؤال لوزارة الخارجية.

○ انتقال الصراع بصورة أكثر مأساوية في الجنينة، ما خطة الجيش لحماية المدنيين؟

● الصراع في الجنينة بلا شك هو صراع مؤسف لكنه متجذر في المنطقة منذ عشرات السنين وهو أخذ طابعا قبليا وعنصريا بين العرب وبقية العناصر الموجودة في المنطقة، نحن الآن لا نقول إن القوات المسلحة مشغولة بالمعركة الرئيسية وإنما نقول إن ما جرى في الجنينة هو أحد تجليات ما يحدث في الخرطوم، وهو نتيجة من نتائج هذا التمرد، لأن هذه الميليشيا لم تنجح أن تكون قومية وإنما ذات طابع قبلي بالتالي الأمر مرتبط بالتمرد الذي تم بشكل أو بآخر.

القوات المسلحة مشاركة في لجان أمن الولايات بالتالي هي تتعامل مع هذا الموضوع بالتنسيق مع القوات النظامية الأخرى ووفقاً لخطط لجنة أمن الولاية.

○ تابعنا نزول الحركات المسلحة لتأمين مدينة الفاشر والفصل بين الجيش وقوات الدعم السريع، كيف تنظرون للخطة؟

● نزول الأخوة في الحركات المسلحة والحركات الموقعة على اتفاق جوبا هو تصرف محمود، ونحن نفتكر أنها مساعدة في سد الفراغ أو مساهمة في واجب تأمين مدينة الفاشر وهذا دور نرى أنه حميد.

السنة الخامسة والثلاثون العدد 10970 الأحد 30 نيسان (أبريل) 2023 – 10 شوال 1444 هـ

السوداني وجهاً لوجه أمام الائتلاف الحاكم: هل ينجح في اختراق بوابة المحاصصة أم سيرضخ لضغط الأحزاب المتنفّذة؟

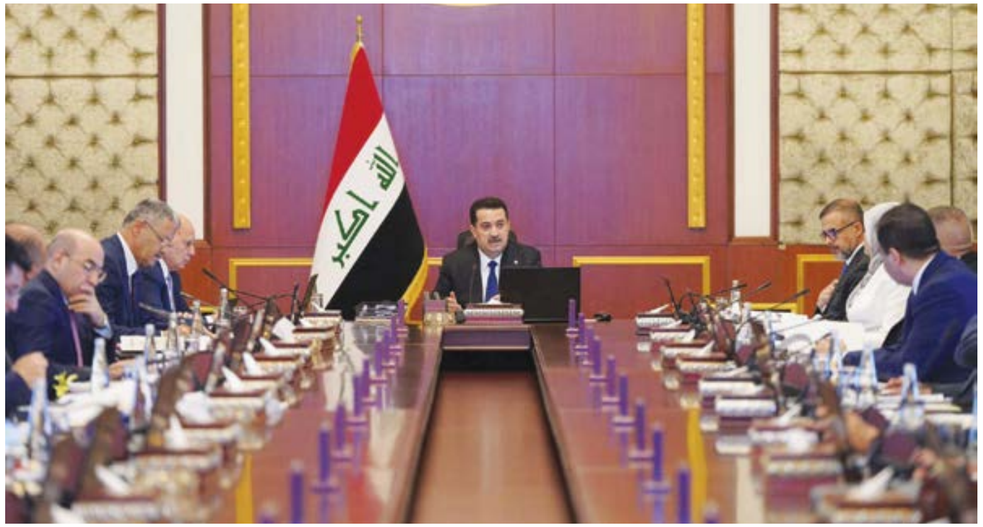

التوجّه الجديد لرئيس الحكومة يطرح عدّة تساؤلات بشأن إمكانية إطلاق الأحزاب يد السوداني في إجراء التعديلات الحكومية حسب رؤيته، ومدى استعدادها التخلي عن مكتسباتها في الحكومة الجديدة.

بغداد – «القدس العربي»: مشرق ريسان

في الوقت الذي يصرّ فيه رئيس الوزراء العراقي، محمد شياع السوداني، على إجراء تعديل وزاري في كابينته الحكومية، يطال وزراء ومحافظين ومسؤولين رفيعي المستوى، برزت شكوك بشأن قدرته على اختراق بوابة «المحاصصة» التي تستند إليها جميع القوى السياسية المنضوية في ائتلاف «إدارة الدولة» الحاكم في العراق، والمعتمدة في تشكيل الحكومات المتعاقبة منذ 2003.

وتشكّلت الحكومة الاتحادية الحالية، بمشاركة ودعم جميع الأحزاب (شيعية، سنّية، كردية) التي تقاسمت المناصب وفقاً للاستحقاقات الانتخابية، واتفاقات انتهت بمصادقة البرلمان في 27 تشرين الأول/أكتوبر الماضي، على حكومة السوداني.

التوجّه الجديد لرئيس الحكومة يطرح عدّة تساؤلات بشأن إمكانية إطلاق الأحزاب يد السوداني في إجراء «التعديلات الحكومية» حسب رؤيته، ومدى استعدادها التخلي عن مكتسباتها في الحكومة الجديدة.

وفي 21 تشرين الأول/أكتوبر 2022 فوّض «الإطار التنسيقي» الشيعي – أبرز الداعمين للسوداني – رئيسَ الوزراء «المكلف حينها» الاختيار بين الأسماء المرشحة للحقائب الوزارية من الكتل النيابية أو اقتراح مرشحين جدد، باستثناء وزارتي الدفاع والداخلية التي اشترط «الإطار» منحها لشخصيات مستقلة من داخل الوزارتين.

وفي بيان أصدره «الإطار» حينه، جرى تفويض السوداني بـ«تدوير الوزارات بين المكونات أو داخل نفس المكون».

وعلى هذا الأساس، حدّد السوداني، وفي كانون الأول/ديسمبر الماضي، مهلة (3–6) أشهر لتقييم الوزراء والمسؤولين في حكومته، وبيان مدى التزامهم في تنفيذ بنود المنهاج الحكومي.

وفي 18 نيسان/أبريل الجاري، خرج رئيس الوزراء العراقي بتصريح خلال لقاء مع مجموعة من الصحافيين، قال فيه: «وضعنا 6 أشهر لتقييم حقيقي وفق معايير مهنية، وفي ضوئه يتحدد بقاء الوزير في الحكومة من عدمه، ومنحنا مهلة 3 أشهر، وهي كافية للمديرين العامين وأدائهم، وكافية أن يعرف الوزير أدواته وتقييم أدائهم».

وذكر أيضاً أن «بعض الشركاء (الكتل السياسية) يعتقد أن الشراكة تعني أن رئيس الوزراء لا يتخذ قراراً وفق صلاحياته إلا بمشورة ومشاركة القوى السياسية الموجودة في الائتلاف، وهذا غير صحيح، لأن هناك صلاحيات حصرية والحفاظ عليها جزء من الإصلاح السياسي».

الباحث السياسي، محمد علي الحكيم، رأى أن «من المستحيل أن يتم تعديل وزاري من دون الرجوع إلى الكتل والأحزاب وإرضاء الزعماء السياسيين، معتبراً في الوقت عينه أن رئيس الوزراء مُكبّل ومقيد ومسير وليس مخيراً».

الحكيم أفاد لـ«القدس العربي»، أن «السوداني يحاول التخلص من الضغوط السياسية التي تعرقل إجراء تعديل كابينته الوزارية، لذلك ألزم نفسه بمبدأ التقييم الذي أورده في برنامجه الحكومي، والقاضي بتقييم أداء الوزراء خلال أول ستة أشهر، لكن الرجل من المستحيل أن يتمكن من تحقيق ذلك».

وأشار الباحث العراقي إلى وجود «خلافات بين الكتل السياسية والسوداني» مستنداً في ذلك إلى تصريح لرئيس الوزراء قال فيه «من يرفض فليرفض» في إشارة إلى المعترضين على التعديل الحكومي المرتقب.

وفي الأسبوع الماضي، تحدث السوداني عبر لقاء تلفزيوني لإحدى القنوات المحلية عن التعديل الوزاري المرتقب قائلاً: «التغيير الوزاري لا يخضع للرغبة والمزاج. لن أجامل زعيماً أو حزباً، وعندما تكون هناك مؤشرات على وزير ما، فسأقدم إلى البرلمان طلب إعفائه، ومن يرفض فليرفض».

وطبقاً لمعلومات الحكيم، فإن «هناك بعض الوزراء قدموا (للسوداني) ثلاثة (سيّر ذاتية) لمرشح واحد، أي بمعنى فُرضوا فرضاً على رئيس الوزراء» لافتاً في الوقت عينه إلى أن جميع أعضاء الكابينة الوزارية لحكومة السوداني «عبارة عن محاصصة بين القوى والأحزاب السياسية».

ورجّح الباحث السياسي العراقي «فشل الحكومة الحالية» عازياً السبب في ذلك إلى أنها «لم تختلف عن الحكومات السابقة منذ عام 2003 ولحد اليوم. والرجل (السوداني) أصبح ضحية الصراعات السياسية بين القوى والقرار السياسيين» حسب قوله.

وأضاف: «الاستبدال والتغيير لن يؤتي ثماره إذا كان الاختيار الجديد من قبل نفس الأحزاب التي تتمسك بحصتها الوزارية» لافتاً إلى إن «هناك 11 وزيراً منذ عام 2003 ولحد اليوم ليست لديهم شهادة متوسطة، والذي رشحه الحزب والكتلة السياسية، لذلك حسب المعطيات بعيداً عن الأمنيات، لا نجاح يلوح في الأفق».

ورجّح الحكيم نشوء ما أسماها «مواجهة كُبرى» بين السوداني وزعيم الائتلاف «دولة القانون» نوري المالكي، وأطراف أخرى داخل «الإطار» بسبب «استبدل بعض الوزراء» ملمّحاً إلى احتمالية وقوع «صدام سياسي وشيك بين السوداني مع أغلب الكتل التي رشحته لمنصب رئاسة الوزراء».

وطبقاً للمصدر ذاته فإن «نهاية المواجهة والخلافات داخل ائتلاف إدارة الدولة، هو تفكيك الإطار وكذلك تفكيك ائتلاف إدارة الدولة، قبيل الانتخابات المحلية» المزمع إجراؤها في وقت لاحق من نهاية هذا العام.

ومضى يقول: «تم إبلاغ ائتلاف إدارة الدولة بالتغيير الوزاري المرتقب، لكن تبقى كلمة الفصل بيد الإطار وقياداته بالتحديد، والكتل الأخرى المنظومة في ائتلاف إدارة الدولة».

وأوضح أن «السوداني يتمسك بأجراء تعديل على حكومته في ظل عدم رضاه على أداء عدد من الوزراء، لكن تبقى بعض قوى الإطار وقوى أخرى في ائتلاف إدارة الدولة ترى ضرورة عدم الاستعجال» داعياً في الوقت عيّنه رئيس الوزراء إلى الإتيان «بوزراء جُدد» لكنه تساءل عن مدى إمكانية تقييم السوداني لوزراء حكومته «في حين هذا واجب البرلمان أن يقيّم أداء الحكومة، وكذلك يشرع القوانين. إذن حينما يقيّم السوداني أداء الوزراء ويطالب باستبدالهم، فهذا يعني سحب إحدى صلاحيات البرلمان (...) وهذا مخالف للدستور».

لكن في مقابل ذلك، يرى الخبير القانوني العراقي، سالم حواس، أن المادة 78 من الدستور العراقي تنص على أن «رئيس مجلس الوزراء هو المسؤول التنفيذي المباشر عن السياسة العامة للدولة، والقائد العام للقوات المسلحة، يقوم بإدارة مجلس الوزراء، ويترأس اجتماعاته، وله الحق بإقالة الوزراء، بموافقة مجلس النواب».

وأضاف حواس في بيان صحافي أصدره نهاية الأسبوع الماضي تعليقاً على التعديلات الوزارية المرتقبة، أن «تصميم رئيس مجلس الوزراء محمد السوداني على إجراء التغيير الوزاري في الوقت المناسب، مرهون بموافقة مجلس النواب عند ذهابه للبرلمان وطلبه إعفاء الوزير المقصر، ولذلك ومن يريد أن يرفض سيكون مسؤولاً أمام الشعب تاريخياً وسياسياً».

ومضى يقول: «صحيح أن الدستور نصوصه مطلقة، والمطلق يجري على إطلاقه لكن المشكلة التي ستواجهه هي القوى والأحزاب السياسية التي ما زالت متمسكة بالمحاصصة، ولذلك لا ضير ولا مانع من ان يتم استبدال ذلك الوزير أو الوكيل أو المدير العام من نفس المكون والكتلة، ولكن بمهني آخر أفضل حتى لا يكون استهدافاً سياسياً أو طائفياً من جهة؛ وطالما لا توجد خطوط حمراء في موضوعة مكافحة الفساد من جهة أخرى».

ولم يستبعد الحكيم أن «تعرقل ضغوط الإطار التنسيقي والقوى الأخرى التعديل الوزاري المرتقب» مجدداً تأكيده بأن «لا نجاح يلوح في الأفق إلا أن ينقلب السوداني على جميع الأحزاب والكتل السياسية، ويقلب الطاولة على الجميع ويحتمي بالشعب والمرجعية».

وبشأن التقارير الصحافية التي تتحدث عن وقوف جهات خارجية–السفيرة الأمريكية على وجّه التحديد– خلف إجراء تغيير وزاري في حكومة السوداني، تحدّث الباحث العراقي قائلاً: «بالطبع هناك تسريبات تشير أن التغيير الوزاري أن حصل ستتدخل فيه السفيرة الأمريكية. لديها رأي قوي ومسوغ» لافتاً إلى أن «هناك بعض الوزراء عليهم مؤشرات أمريكية، منهم وزير التعليم العالي نعيم العبودي، ووزير العمل احمد الاسدي، لذلك السفيرة الأمريكية اجتمعت بأغلب الوزراء باستثناء الوزراء التابعين للفصائل».

وطبقاً للحكيم فإن «السفيرة الأمريكية الآن لاعب رئيسي في العراق، واجتمعت نحو 56 مرة بالسياسيين والمسؤولين العراقيين، وكانت حصة السوداني منها 12 مرة، وحصة وزير الدفاع 3 مرات، وكذلك وزير النفط 3 مرات، وأغلب الوزراء» مؤكداً أن «أي تغيير وزاري من دون إرضاء الكتل السياسية وكذلك إرضاء العامل الإقليمي والدولي يحتاج إلى معجزة إلهية».

Volume 35 - Issue 10970 Sunday 30 April 2023

لبنان: لماذا تجنّب عبد اللهيان تأييد فرنجية علناً وهل يحمل البخاري كلمة السر السعودية؟

نبيه بري رئيس مجلس النواب ووزير الخارجية الإيرانية حسين أمير عبد اللهيان

إذا كان البعض دعا إلى ترقّب أي جديد في الموقف الإيراني حيال لبنان إلا أن أولى المؤشرات دلّت على أن الأداء الإيراني تجاه الدولة اللبنانية بقي على حاله.

بيروت – «القدس العربي»: سعد الياس

استحوذت زيارة وزير الخارجية الإيرانية حسين أمير عبد اللهيان إلى بيروت هذا الأسبوع على اهتمام بالغ خصوصاً أنها أتت بعد الاتفاق السعودي الإيراني وفي ظل ترقّب لموقف طهران بعد توقيع هذا الاتفاق، وهل سيبقى على تشدده حيال الوضع في لبنان واعتباره ضمن دائرة النفوذ الإيراني أم ستطرأ عليه ليونة ودعوة لحزب الله لعدم التمسك بفرض رئيس «تيار المردة» سليمان فرنجية مرشحاً وحيداً لرئاسة الجمهورية وإقفال باقي الخيارات؟

يمكن القول إن مواقف عبد اللهيان جاءت ملتبسة، فهو تجنّب علناً تأييد ترشيح رئيس «المردة» معلناً أن بلاده لم ولن تتدخل في انتخاب رئيس للجمهورية اللبنانية، لكنه رحّب بانتخاب أي شخصية مرموقة تحقق التوافق بين اللبنانيين في تكرار ضمني لخطابات حزب الله. ومن خلال متابعة مجريات الزيارة يتبيّن أن الوزير الإيراني الذي حاول تظهير صورة لبلاده على أنها صديقة لجميع اللبنانيين لم ينجح في تحقيق مبتغاه، وإن الدعوة التي وجّهها إلى النواب من مختلف الكتل النيابية الموالية والمعارضة والتي استثنت تكتل القوات اللبنانية، لم يلبّها كل المدعوين بل اقتصرت تلبيتها على النواب المنضوين في محور الممانعة إضافة إلى النائب بلال عبدالله عن «اللقاء الديمقراطي» وقد قاطع هذه الدعوة نواب الكتائب والأحرار والتغييريون والنائب نعمة افرام. أما ممثل «اللقاء الديمقراطي» فاغتنم الفرصة ليتمنى على المسؤول الإيراني ألا يبقى لبنان ساحة للرسائل والصراعات الإقليمية وحروب الآخرين، قائلاً «آن الأوان كي يتنفس لبنان بعد الأزمة التي يعاني منها وان يعيش نوعاً من الاستقرار» داعياً «إلى وجوب مناقشة وبت الاستراتيجية الدفاعية، وان تكون في رأس جدول أعمال الرئيس المنتخب الجديد والحكومة الجديدة».

المعادلة الانقسامية

وإذا كان البعض دعا إلى ترقّب أي جديد في الموقف الإيراني حيال لبنان وطريقة تعامل طهران مع دولته وسياداته بعد توقيع الاتفاق مع السعودية، إلا أن أولى المؤشرات دلّت على أن الأداء الإيراني تجاه الدولة اللبنانية لم يتغيّر بل بقي على حاله. وهذا ما ظهّر من خلال التأكيد أكثر من مرة على معادلة «الشعب والجيش والمقاومة» وخصوصاً من بلدة مارون الراس المتاخمة للحدود الجنوبية مع فلسطين المحتلة، وكأن إيران، بعد الزيارة السابقة للرئيس أحمدي نجاد إلى الجنوب اللبناني قبل سنوات، أرادت بعث رسالة جديدة إلى إسرائيل أنها باتت على حدودها الشمالية وقادرة على تهديد أمنها والرد على أي تهديدات قد تطالها، علماً أن استخدام الإراضي اللبنانية كصندوق بريد لمصالح إقليمية والتلطّي خلف معادلة «شعب وجيش ومقاومة» لا يحظى برضى شرائح كثيرة من اللبنانيين الذين باتت تستفزهم هذه المعادلة الثلاثية ويعتبرونها معادلة انقسامية ولا يستبعدون أن يكون وراء تكرارها نوعاً من الرسالة إلى الرياض بأن إيران لن تتخلّى عن حزب الله ورسالة أخرى إلى اللبنانيين بأنها ليست بصدد تبديل موقفها من الحزب وسلاحه بعد توقيع الاتفاق مع المملكة.

وليس بعيداً، فإن سليمان فرنجية الذي رشّحه الثنائي الشيعي لم يحزم بقدرته على حل إشكالية سلاح حزب الله، وجلّ ما قاله حسب خصومه في خلال مقابلته التلفزيونية هو «توسّطه بين حزب الله واللبنانيين من أجل إشعارهم أن هذا السلاح غير موجّه ضدهم، وأن يتقبلوا الأمر الواقع والتعايش معه في ظل دولة وميليشيا». ويضيف خصوم رئيس «المردة» أن «فرنجية لم يَعد الشعب اللبناني بأن قرار السلم والحرب سيكون بيد الدولة، وإن عرضه بالتأقلم مع سلاح غير شرعي غير مقبول تماماً، لأن أحد الأسباب الرئيسية للأزمة اللبنانية متأتية من سلاح حزب الله إذ لا استقرار ولا ازدهار ولا مؤسسات في ظل السلاح، ولا يمكن القبول بأنصاف الحلول».

واللافت على الخط الرئاسي هو استمرار التباعد والتساجل بين رئيس مجلس النواب نبيه بري والقوات اللبنانية التي لا تترك مناسبة إلا وترد على ما تراه «أخباراً مغلوطة ونسجاً للأوهام» من فريق الممانعة الذي تتهمه بأنه «ما زال يكابر لاعطاء نفسه والرأي العام آمالاً لن تتحقق لاستكمال معركة مرشحه الذي بلغ الحائط المسدود». وتستغرب القوات تسويق رئيس المجلس أخباراً نقلاً عن المملكة العربية السعودية، وترى فيها «إحياء للموتى وعملية مفضوحة يُقصد منها ذرّ الرماد في العيون، إذ لا أساس لها من الصحة، لا بل تُناقض تماماً حقيقة الأمور والمواقف والتوجهات».

وفيما عاد السفير السعودي وليد البخاري إلى بيروت منهياً عطلة عيد الفطر، فمن المتوقع أن يُطلع بعض القيادات اللبنانية على حقيقة محادثات مستشار الرئيس الفرنسي باتريك دوريل في السعودية وما آلت إليه من نتائج ليحسم ما يعلنه الرئيس بري عن ايجابية الموقف السعودي من فرنجية أو لينفي هذه الأجواء غير المتماهية مع حقيقة موقف الرياض.

في غضون ذلك، تستمر المساعي على خط المعارضة للتوافق على مرشح بديل عن رئيس «حركة الاستقلال» النائب ميشال معوض الذي توقف رصيد أصواته عند حدود 45 صوتاً، إذ إنه لم يستطع استقطاب أصوات كل النواب التغييريين ولا أصوات نواب سنّة يدورون في فلك «تيار المستقبل». ولم تتوصل اللقاءات والاتصالات إلى تبنّي خيار المرشح جهاد أزعور أو زياد بارود إما بسبب علامات استفهام حول القدرة على إدارة دفّة البلاد أو بسبب ملاحظات على عدم وضوح الموقف السياسي من قضايا خلافية أو بسبب الخوف من علاقات تربط الاسمين برئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل. وعليه، يتم التداول بإسم النائب السابق صلاح حنين كخيار محتمل للتوافق عليه، من دون إغفال أسماء أخرى تشكّل تقاطعاً بين عدد من الأطراف كإسم المرشحة مي الريحاني التي ما زالت تستقطب الاهتمام كشخصية اغترابية بعيدة عن الاصطفافات السياسية الحادة وتتمتع بعلاقات دولية وعربية يمكن توظيفها لتثبيت مرجعية دولية ودعم مسيرة الإصلاح والإنماء، وهناك أسماء قد تعود لتبرز في حال نجحت التسوية حولها وفي طليعتها قائد الجيش العماد جوزف عون خصوصاً إذا طرأت مستجدات أمنية أو إذا فرضت قضية النازحين السوريين نفسها على واجهة الأحداث.

السنة الخامسة والثلاثون العدد 10970 الأحد 30 نيسان (أبريل) 2023 – 10 شوال 1444 هـ

وسط قلق واشنطن الصين ترفع من مستوى التعاون العسكري مع أمريكا اللاتينية

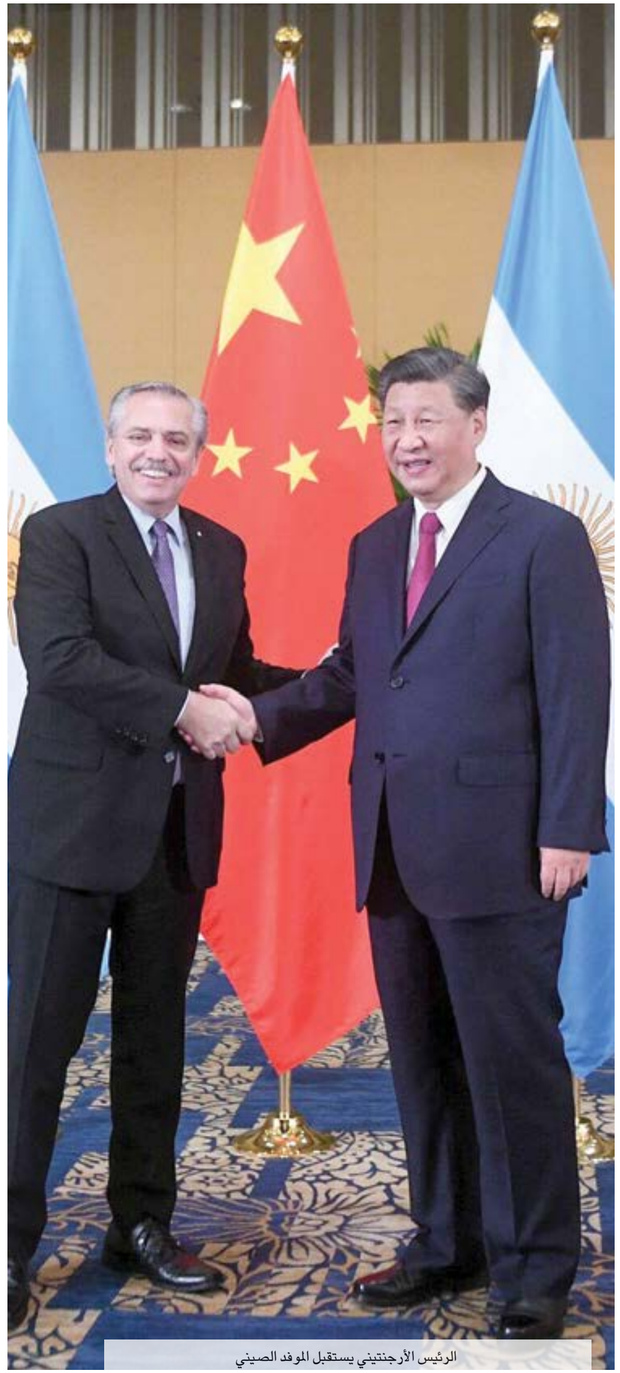

الرئيس الأرجنتيني يستقبل الموفد الصيني

تراهن الأرجنتين على شراء مقاتلة صينية من نوع FC-1 وإذا نجحت الصين في بيع هذه المقاتلات للأرجنتين، وقتها ستكتسح سوق أمريكا اللاتينية، ما سيشكل تحديا حقيقيا للولايات المتحدة.

لندن – «القدس العربي»: حسين مجدوبي

استقبل وزير الدفاع الأرجنتيني خورخي تاتيانا خلال الأسبوع الجاري وفدا صينيا رفيع المستوى لبحث تعزيز التعاون العسكري بين البلدين، وهذه واحدة من الزيارات الكثيرة للمنطقة تبرز وتظهر مدى رهان الصين على علاقات عسكرية متميزة مع منطقة أمريكا اللاتينية لتعزيز ريادتها للعالم مستقبلا. وهذا التوجه يقلق كثيرا الولايات المتحدة التي تعاني مسبقا من التسلل العسكري الروسي.

وطرحت الصين في هذا الاجتماع على المسؤولين في الأرجنتين تحديث مختلف أنظمة العتاد العسكري وخاصة المساعدة في صناعة الذخيرة الموحدة لمختلف دول المنطقة. ولا تنافس الصين بشكل كبير كل من الولايات المتحدة وروسيا في مبيعات الأسلحة لدول المنطقة، غير أنها بدأت ترفع من مبيعاتها بشكل تدريجي وتنهج استراتيجية ذكية وهي تلبية الحاجيات الحقيقية في قطاع الدفاع لدول أمريكا اللاتينية، ونقل التكنولوجيا ولو المتوسطة مثل صناعة العربات العسكرية وأساسا الذخيرة الحربية مثل الاجتماع المذكور علاوة على الطائرات المسيرة وبعض السفن الحربية.

وتبحث مختلف جيوش المنطقة تحديث ترسانتها الجوية الحربية من الطائرات الأمريكية والفرنسية والروسية (بل السوفييتية) القديمة، وتجد شروطا شبه تعجيزية من هذه الدول خاصة الغربية منها. ومن ضمن الأمثلة، تعارض بريطانيا بيع الولايات المتحدة مقاتلات إف 16 إلى الأرجنتين بسبب النزاع البريطاني–الأرجنتيني حول جزر المالوين (الفوكلاند) الذي كان مصدر حرب سنة 1982. وتعارض واشنطن كل عملية بيع لمقاتلات بريطانية أو فرنسية أو سويدية «غرينبن» لعدد من دول أمريكا اللاتينية وخاصة المكسيك. هذا البلد الأخير، لا يمتلك قوة جوية باستثناء طائرات قديمة من نوع ميراج لا تتعدى أربع طائرات. وبدورها تمتلك الأرجنتين أسطولا جويا من الميراج قديم لم تستطع اقتناء مقاتلات منذ أكثر من عشرين سنة، وهي الآن قد تراهن، وفق جريدة «إكتريمو سور» اللاتينية مؤخرا، على شراء مقاتلة صينية من نوع FC-1 وهي نسخة تقريبا مطابقة للمقاتلة الصينية–الباكستانية Thunder 17-JF Block II . وإذا نجحت الصين في بيع هذه المقاتلات للأرجنتين، وقتها ستكتسح سوق أمريكا اللاتينية، مما سيشكل تحديا حقيقيا للولايات المتحدة. ونجحت الصين في عقد صفقات هامة مع فنزويلا ثم بوليفيا والإكوادور، غير أن الرهان الكبير يبقى على البرازيل والأرجنتين والمكسيك، نظرا لثقل هذه الدول في المنطقة كقوى إقليمية ورغبة الصين في التصنيع المشترك معها. وفي الوقت ذاته، التشيلي التي تعتبر دولة قريبة جدا من الولايات المتحدة، اقتنت عتادا عسكريا صينيا مثل الطائرات المروحية وبعض الصواريخ، وتريد تطوير منظومة الاتصالات في صناعة مشتركة مع الشركات العسكرية الصينية.

ويبرز لورو هورتا وهو باحث في مجال الدفاع العسكري حول منطقة الهادي بنهج الجيش الشعبي الصيني استراتيجية خطوة وراء خطوة ولكن بثبات كبير ودون تسرع لربح ثقة الجيوش العسكرية في أمريكا اللاتينية. ومن ضمن الرهانات الكبرى هو بدء الصين تكوين ضباط من أمريكا اللاتينية في مدارسها العسكرية. ويعد تكوين الضباط من ضمن مفاتيح التأثير العسكري الحقيقي. فهو من جهة، يعني تعزيز النفوذ العسكري للضباط الذين يعودون إلى بلادهم، ومن جهة أخرى، تولي هؤلاء الضباط مناصب عليا في الجيش تحسم في صفقات الأسلحة، وغالبا ما تكون لصالح الدول التي قامت بتكوينهم.

ويخضع التصور الصيني في تعزيز التعاون العسكري إلى عاملين، الأول وهو أن الصين تتحول إلى قوة تجارية كبرى، الأولى في العالم، وبالتالي تحتاج للتعاون العسكري لحماية الطرق التجارية سواء البحرية أو البرية، وتعد الصين الشريك الاقتصادي الأول لأمريكا الجنوبية. ويتجلى العامل الثاني في أن صفقات الأسلحة يترتب عنها تطورات جيوسياسية كبيرة أبرزها تعزيز النفوذ وكسب حلفاء للمستقبل.

وحتى الأمس القريب، كانت الولايات المتحدة تبدي تخوفا كبيرا من التغلغل العسكري الروسي في المنطقة، وهو تغلغل يشكل استعادة للنفوذ السوفييتي في الماضي، وفي السنوات الأخيرة، تتخوف واشنطن من استراتيجية الصين العسكرية في أمريكا اللاتينية، وهي منطقة تم وصفها بالحديقة الخلفية للأمريكيين منذ إرساء عقيدة مونرو في العشرينات من القرن التاسع عشر. وترى واشنطن الخطر الصيني أكبر من الخطر الروسي في مجال التعاون العسكري وذلك لثلاثة أسباب، وهي:

في المقام الأول، الصين تستجيب للأساسيات في الحاجيات العسكرية لدول أمريكا اللاتينية، ولا تتردد في نقل بعض تكنولوجيا التصنيع مثل الذخيرة. والصين لا تبيع أسلحتها بشروط مثلما يعمل الغرب.

في المقام الثاني، كما تفعل في تمويلها للبنيات التحتية في أمريكا اللاتينية وباقي العالم، أي تقديم قروض مغرية سواء على مستوى الفوائد المنخفضة أو مدة طويلة للتسديد، تنهج بكين الاستراتيجية نفسها بتقديم قروض لتمويل صفقات الأسلحة مستفيدة من الأموال المترتبة عن فائضها المالي الكبير. وهذه الاستراتيجية ستسمح للصين بتوقيع صفقات عسكرية كبيرة مستقبلا لتكون بديلا عن الدول التي تحتكر سوق أمريكا اللاتينية في مجال صفقات الأسلحة. وقد جربت بكين هذه الاستراتيجية مع فنزويلا منذ سنوات ونجحت وكذلك مع الأورغواي وبوليفيا.

في المقام الثالث، تدرك واشنطن رغبة دول أمريكا اللاتينية في تعزيز استقلاليتها العسكرية والسياسية عن البيت الأبيض خاصة الدول الكبرى مثل المكسيك والبرازيل والأرجنتين نسبيا، علاوة على الحديث عن دول يسارية مثل فنزويلا، ولهذا ستقبل على التعاون العسكري مع الصين في إطار البحث عن التوازن وتعزيز الاستقلالية.

ويبرز ملف أمريكا اللاتينية هذا، كيف أصبحت الولايات المتحدة في موقف دفاع لتحصين نفوذها في مختلف مناطق العالم مثل أفريقيا وآسيا علاوة على أمريكا اللاتينية أمام التوسع الصيني الهادئ، وهذا ينهك دبلوماسية واقتصاد واشنطن بشكل يفوق الحرب الباردة مع الاتحاد السوفييتي، لأن الصين تمتلك القوة الاقتصادية، وهو ما لا تمتلكه موسكو.

Volume 35 - Issue 10970 Sunday 30 April 2023

فرنسا: النقابات تدعو إلى تعبئة تاريخية ضد إصلاح نظام التقاعد بمناسبة عيد العمال

السلطات تحشد 12 ألف شرطي ودركي تحسباً لاشتباكات وتوترات في شوارع فرنسا خلال مظاهرات عيد العمال. وتخشى الحكومة من حدوث تجاوزات في جميع أنحاء البلاد.

باريس – «القدس العربي»: آدم جابر

في فرنسا وفي سياق اجتماعي يبدو أكثر توتراً من أي وقت مضى بعد إصدار الحكومة قانون إصلاح نظام التقاعد، يرتبط عيد العمل هذا العام ارتباطاً وثيقاً بهذا الإصلاح المثير للجدل، حيث دعت النقابات العمالية مجموعة إلى «تعبئة تاريخية» يوم الأول من مايو/أيار في جميع المناطق وعلى مستوى جميع المهن، للتعبير عن الرفض التام لتمرير الرئيس إيمانويل ماكرون وحكومته برئاسة إليزابيت بورن لقانون إصلاح نظام التقاعد، القاضي برفع سن التقاعد من 62 إلى 64 عاما، بالقوة. وتريد النقابات أن تجعل من التجمعات التقليدية ليوم العمل/عيد العمال هذا علامة احتجاج على قانون إصلاح نظام التقاعد، وأن تكون جولة التعبئة هذه ضده «تاريخية». فعلى الرغم من إقرار القانون، إلا أن الأمينة العامة للاتحاد العام للشغل، صوفي بينيه شددت على أنه «لن تكون هناك عودة إلى الوضع الطبيعي إذا لم يتم سحب إصلاح نظام التقاعد» مؤكدة أن النقابات «لن تتحدث عن إجراءات رجعية».

وقد تم التخطيط لمسيرات احتجاجية في جميع أنحاء فرنسا، بالإضافة إلى اضطرابات على مستوى وسائل النقل. وعودت السكرتيرة الجديدة للاتحاد العام للعمال، صوفي بينيه، بـ تعبئة غير مسبوقة واستثنائية في المسيرات الـ300 المخطط لها في كافة أنحاء فرنسا» فهي تقريبا المرة الأولى التي تتظاهر فيها جميع النقابات مع بعضها البعض ضد الحكومة.

ستنطلق العشرات من المسيرات في جميع أنحاء فرنسا بمناسبة عيد العمال. ففي باريس، ستنطلق المظاهرة من ساحة الجمهورية بعد الظهر متجهة إلى ساحة ناسيون، ومن المتوقع أن يصل عدد المتظاهرين في باريس إلى ما بين ثمانين ألفا ومئة ألف متظاهر، بما في ذلك ما بين ألف وألفي عنصر متطرف، حسب مذكرة استخباراتية.

مع العلم أن التعبئة النقابية الأخيرة ضد إصلاح نظام التقاعد شهدت تراجعا، حيث خرج نحو 380 ألف شخص إلى الشوارع في جميع أنحاء البلاد حسب الداخلية «أكثر من 1.5 مليون» حسب النقابات. وخلال اليوم السابق، أحصى المصدران 570 ألفًا ونحو مليوني متظاهر.

علاوة على ذلك، ستطال الاضطرابات كذلك قطاع النقل الجوي، حيث أكدت المديرية العامة للطيران المدني أنها طلبت من شركات الطيران إلغاء أكثر من ثلاثين في المئة من الرحلات المجدولة في مطار أورلي بضاحية باريس، وكذلك ربع الرحلات في مطار رواسي شارل ديغول بضاحية باريس هو الآخر. وتمس هذه الاضطرابات أيضًا العديد من المطارات الداخلية، إذ سيتعين إلغاء أكثر من ثلاثين في المئة من الرحلات بشكل وقائي في مدن مرسيليا وليون وبوردو ونانت وتولوز، بينما سيتم إلغاء حوالي خمسة وعشرين في المئة من الرحلات الجوية في نيس.

كما ستطال هذه الاضطرابات بمناسبة يوم العمل أو عيد العمال قطاع السكك الحديدية، حيث نشرت النقابات المعنية دعوة من أجل توحيد الصفوف في الأول من ايار/مايو، لإنجاح التعبئة وجعل استيائهم مسموعًا من خلال الإضرابات والمظاهرات. وستظل بعض محطات المترو مغلقة في باريس.

وتخشى الحكومة من حدوث تجاوزات في جميع أنحاء البلاد، إذ تعتقد السلطات أن هذا اليوم «لن يكون في الواقع احتفالاً بالعمال وحدهم، بل سيكون يوماً غير مسبوق من حيث الوحدة والاحتجاج على الحكومة وروح الانتقام».

استعدادا لهذه التعبئة «التاريخية» التي دعت إليها النقابات، أعلن وزير الداخلية الفرنسي جيرار دارمانان عن تعبئة «غير مسبوقة» لرجال الشرطة، مع حشد اثني عشر ألفاً من رجال الشرطة والدرك في جميع أنحاء فرنسا خلال مظاهرات الأول من شهر ايار/مايو، بما في ذلك خمسة آلاف شرطي ودركي في العاصمة باريس. وأكد جيرار دارمانان أنه من المهم أن يتظاهر الناس والنقابات في أفضل الظروف، معلنا عن انتشار «مهم للغاية» للشرطة على هامش المسيرات الاحتجاجية، تحسباً لأي تجاوزات. فحسب وزير الداخلية، هناك عدد معين من العناصر المتطرفة ضربوا له موعداً في مدن باريس ونانت ورين، وهو ما يفسر التعبئة الأمنية الكبيرة في هذه المدن.

وأوصت الداخلية سائقي السيارات بتجنب المنطقة التي سيمر منها الموكب الاحتجاجي، على نطاق واسع. كما أوصت بإغلاق المحلات التجارية الموجودة في مسار الحدث. وأوضحت أن رجال الشرطة سيقومون بإجراءات تفتيشية قبل الحدث، تهدف بشكل خاص إلى مكافحة حمل أسلحة محظورة أو أشياء غير مشروعة أو خطرة.

من جانبها، قالت رئيسة الوزراء إليزابيت بورن إنها «تثق في النقابات» كي تتم المظاهرات دون عوائق، مشيرة، مع ذلك، إلى أنه «لا يحق لأي شخص كان قطع التيار الكهربائي» كما حدث خلال عدة زيارات رسمية في الأيام الأخيرة.

فمنذ بداية الحركة الاجتماعية ضد إصلاح الرئيس الفرنسي إيمانيول ماكرون لنظام التقاعد، في شهر كانون الثاني/يناير الماضي، أثرت أعمال الشغب التي لحقت بالبنية التحتية العامة، خلال المواكب الاحتجاجية، بشكل كبير على العاصمة باريس اقتصادياً، خلال جولات التعبئة الـ12 التي شهدتها البلاد حتى الآن. فإذا كانت التحركات قد نفد زخمها في الأسابيع الأخيرة، فقد تحولت، في بعض الأحيان، إلى عنف من قبل جماعات راديكالية معينة، حيث تسببت في كثير من الأحيان في أضرار جسيمة للبنية التحتية والممتلكات العامة، كلفت بلدية باريس في العاصمة باريس. وأكد جيرار دارمانان أنه من المهم أن يتظاهر الناس والنقابات في أفضل الظروف، معلنا عن انتشار «مهم للغاية» للشرطة على هامش المسيرات الاحتجاجية، تحسباً لأي تجاوزات. فحسب وزير الداخلية، هناك عدد معين من العناصر المتطرفة ضربوا له موعداً في مدن باريس ونانت ورين، وهو ما يفسر التعبئة الأمنية الكبيرة في هذه المدن.

وأوصت الداخلية سائقي السيارات بتجنب المنطقة التي سيمر منها الموكب الاحتجاجي، على نطاق واسع. كما أوصت بإغلاق المحلات التجارية الموجودة في مسار الحدث. وأوضحت أن رجال الشرطة سيقومون بإجراءات تفتيشية قبل الحدث، تهدف بشكل خاص إلى مكافحة حمل أسلحة محظورة أو أشياء غير مشروعة أو خطرة.

من جانبها، قالت رئيسة الوزراء إليزابيت بورن إنها «تثق في النقابات» كي تتم المظاهرات دون عوائق، مشيرة، مع ذلك، إلى أنه «لا يحق لأي شخص كان قطع التيار الكهربائي» كما حدث خلال عدة زيارات رسمية في الأيام الأخيرة.

فمنذ بداية الحركة الاجتماعية ضد إصلاح الرئيس الفرنسي إيمانيول ماكرون لنظام التقاعد، في شهر كانون الثاني/يناير الماضي، أثرت أعمال الشغب التي لحقت بالبنية التحتية العامة، خلال المواكب الاحتجاجية، بشكل كبير على العاصمة باريس اقتصادياً، خلال جولات التعبئة الـ12 التي شهدتها البلاد حتى الآن. فإذا كانت التحركات قد نفد زخمها في الأسابيع الأخيرة، فقد تحولت، في بعض الأحيان، إلى عنف من قبل جماعات راديكالية معينة، حيث تسببت في كثير من الأحيان في أضرار جسيمة للبنية التحتية والممتلكات العامة، كلفت بلدية باريس 1.6 مليون يورو، وفق ما كشفت صحيفة «لوبارزين» الفرنسية نهاية هذا الأسبوع. وأكدت بلدية باريس أن هذا المبلغ يمثل فقط تكلفة الأضرار التي لحقت بالشوارع، وليس تلك التي لحقت بالشركات الخاصة، كما المحلات التجارية والمتاجر.

ورغم المصادقة على إصلاح نظام التقاعد من قبل المجلس الدستوري وإصداره الفوري في الجريدة الرسمية من قِبَل الرئيس الفرنسي، ما يزال الغضب يسيطر على العديد من الفرنسيين، وانعكس ذلك على شعبية إيمانويل ماكرون، التي تراجعت إلى أدنى مستوى لها منذ عام 2017 وفق استطلاعات الرأي الأخيرة.

حدث الأسبوع

مآلات التطبيع العربي مع نظام بشار الأسد

منهل باريش

تتسابق دول عربية عدة إلى طي صفحة الماضي مع النظام السوري، لأسباب متعددة، فرضتها المتغيرات العالمية بعد الحرب الروسية على أوكرانيا، والموقف الغربي من برنامج إيران النووي، إضافة إلى حاجتها الملحة إلى ضرورة الخروج من الرمال المتحركة في اليمن ووقف التهديدات الأمنية التي تمثلها جماعة «أنصار الله» (الحوثي) ضد السعودية والإمارات. كل هذا وحسابات أخرى دفعت إلى إعادة تموضع استراتيجي، رفضت من خلاله الدول العربية المعنية أن تبقى تعمل في المسار الذي ترسمه لها أمريكا منذ تأسيسها.

وقد بدأت أبو ظبي محاولات إعادة تعويم نظام بشار الأسد، ثم سعت عَمّان لأسبابٍ اقتصادية أصبحت أكثر الحاحاً مع انتشار وباء «كوفيد– 19» واليوم تصل تلك المحاولات إلى الرياض التي تسابقت مع الدوحة من أجل دعم المعارضة السياسية وتسليمها مقعد جامعة الدول العربية مطلع عام 2013 إضافة إلى انخراط كل مطبعي اليوم بدعم غرفة العمليات العسكرية التي قادتها واشنطن لدعم فصائل الجيش الحر وقبلها دعم تلك الدول «هيئة الأركان» المعارضة التي تأسست نهاية عام 2012 بقيادة المملكة العربية السعودية في مؤتمر انطاكية بتركيا.

ويعتبر تحول الموقف التركي من النظام السوري واحدا من أهم أسباب استعجال بعض الدول للتطبيع معه، فهي لا ترغب أن تبقى خارج معادلة الحل في سوريا وأن تسلم بقسمة الكعكة السورية بين دول صيغة أستانا الثلاث.

ووجدت الدول العربية الراغبة بالتطبيع مع نظام الأسد وقوع زلزال 6 شباط (فبراير) فرصة لإعادة العلاقات من باب المساعدة الإنسانية، حيث فتحت دولة الإمارات جسرا جويا باتجاه مناطق سيطرة النظام تضمن عشرات الطائرات. ولم يقتصر الدعم على الجانب الإنساني فقد توجه الشيخ عبد الله بن زايد عدة مرات إلى دمشق التقى فيها الأسد وحاول جاهدا إقناع الإدارة الأمريكية تغيير موقفها في التعاطي مع دمشق لغايات إنسانية، غير ان اللقاء مع وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن، لم يغير من الموقف الأمريكي تجاه نظام الأسد.

وفي المواقف المعلنة من إعادة علاقات الدول العربية وتركيا مع النظام، قال المندوب الأمريكي في مجلس الأمن خلال جلسة عقدت الخميس، إن بلاده لن تطبع علاقاتها مع نظام الأسد وأنها «لا تشجع أحداً على ذلك». وأضاف نائب السفيرة الأمريكية في الأمم المتحدة جيفري ديلورانتس، أن نظام الأسد «رفض كافة الحلول السياسية المباشرة، وعرقل عمل اللجنة الدستورية، وواصل اعتقال المدنيين. إضافة إلى أنه «أغرق المنطقة بالمخدرات».

من جانبه، شدد المندوب الفرنسي في مجلس الأمن على أن الحل في سوريا يجب أن يُنفذ وفق القرار الأممي 2254 لافتاً إلى أن الحرب في سوريا لم تنته، وأن الأوضاع داخلها لا تسمح بعودة اللاجئين. واتفق المندوبان الفرنسي ومندوبة بريطانيا، على تحميل روسيا مسؤولية تعطيل اللجنة الدستورية.

وتأتي التصريحات الأمريكية فيما يخص التطبيع مع الأسد عقب أيام قليلة على اجتماع رباعي ضم كلاً من وزراء دفاع ورؤساء استخبارات روسيا وتركيا وإيران وسوريا، وهو اللقاء الثاني خلال العام الجاري، إلا أنه ضم في هذه النسخة، وزير الدفاع الإيراني محمد رضا أشتياني.

وأصدرت وزارة الدفاع التركية عقب الاجتماع بيانًا، أوضحت من خلاله أن اللقاء الرباعي ناقش الخطوات الملموسة التي يمكن الاعتماد عليها في مسار تطبيع علاقات أنقرة مع دمشق. وأضاف البيان الذي وصف أجواء الاجتماع بـ «الإيجابية» أن اللقاء ناقش مسألة مكافحة التنظيمات الإرهابية على الأراضي السورية، كما ناقش مسألة عودة اللاجئين. وشدد البيان على ضرورة استمرار اللقاءات الرباعية لضمان الاستقرار واستدامته في المنطقة.

وقال وزير الدفاع التركي، خلوصي أكار، من مطار فنوكوفا في موسكو عقب اللقاء، إن أنقرة تسعى من خلال اللقاءات الرباعية لتحقيق الاستقرار والسلام في المنطقة، مشيراً إلى أن المشاركين في الاجتماع الرباعي تبادلوا الأفكار حول القضايا المختلفة، وأجمعوا على أن مثل هذه اللقاءات تمثل أولوية من أجل السلام في المنطقة، وأكد أكار أن الأيام المقبلة سوف تشهد لقاءات مماثلة، لافتًا إلى أن أنقرة تهدف من اللقاء الحد من موجة اللجوء من سوريا إلى الأراضي التركية، مشيراً إلى أن ذلك لا يتم إلا من خلال تهيئة الظروف المناسبة لعودة اللاجئين، بما يضمن عودتهم الطوعية الآمنة.

وفي هذا السياق، شدد الوزير التركي على أن بلاده لا تقدم على أي خطوة من شأنها أن تضع «الأخوة السوريين، في تركيا أو سوريا، في مأزق». وأفاد الوزير أكار بأن بلاده أكدت خلال اللقاء على أن القرار الأممي 2254 هو الحل الأمثل والأشمل للأزمة السورية.

وعلى نقيض بيان وزارة الدفاع التركية، وتصريحات الوزير أكار، أصدرت وزارة الدفاع في حكومة نظام الأسد بيانًا نفت من خلال مضمونه ما ورد في بيان الدفاع التركية، وأكد البيان أن اللقاء الرباعي بحث فقط في «انسحاب القوات التركية من الأراضي السورية، وتطبيق الاتفاق الخاص بالطريق الدولي المعروف باسم مسار التطبيع بين الطرفين، ففي حين تعرب أنقرة عقب كل لقاء عن إيجابية وأهمية اللقاءات والمشاورات، وتؤكد على ضرورة محاربة التنظيمات الإرهابية، تناقضها تصريحات وبيانات رسمية وغير رسمية في نظام الأسد، وتؤكد جميعها على شرط انسحاب القوات التركية من الأراضي السورية.

ومن ذلك، تصريحات لصحيفة «الوطن» المقربة من النظام، ومملوكها خلال مسار التطبيع التأكيد على ان وجود القوات التركية في سوريا مرهون بالتنظيمات الإرهابية المنتشرة على حدود تركيا، ومتفائلة باللقاءات والمشاورات، مع إطلاق تلميحات متكررة عن إمكانية عقد لقاء قمة يجمع الرئيس اردوغان برئيس النظام بشار الأسد. وكان آخر هذه التصريحات ما أدلى به وزير الخارجية التركي، مولود جاويش أوغلو، خلال مقابلة مع صحيفة «Hürriyet» حيث قال إن «اشتراط نظام الأسد انسحاب القوات التركية من الأراضي السورية للمضي في المباحثات ومسار التطبيع يشكل خطراً كبيراً على تركيا» مضيفاً «نسعى جاهدين للحفاظ على الاستقرار والسلام الدائم، وهناك قرار من الأمم المتحدة، وعملية سياسية مستمرة، وبدونها لن يكون انسحاب القوات التركية من الأراضي السورية ذو فائدة» مشيراً إلى أن المنظمات الإرهابية سوف «تملأ الفراغ الناجم عن انسحاب قوات بلاده».

حول متابعة اللقاءات في إطار مسار التطبيع، كانت أنقرة تتوقع عقد اجتماع رباعي على مستوى وزراء الخارجية بناء على المعلومات الروسية، إلا أن زيارة مقررة للرئيس الإيراني إلى دمشق حالت دون ذلك. وأفاد جاويش أوغلو، بإن التقارب بين أنقرة ونظام الأسد من شأنه أن يزعج أمريكا لما سيشكله هذا التقارب من خطر على قوات سوريا الديمقراطية «قسد» المدعومة من واشنطن.

بدورها علقت الخارجية الأمريكية على الاجتماع الرباعي، واعتبرت أن إنهاء الصراع في سوريا يتطلب «تنفيذ القرار الأممي 2254 وهو الحل الوحيد الذي يمثل إرادة جميع السوريين». وكررت الإدارة الأمريكية في تعليقها ذاته، «أكدت لشركائها الإقليميين، الذين هم على اتصال مع النظام السوري، أن الخطوات الموثوقة لتحسين الوضع الإنساني والأمني للسوريين يجب أن تكون على رأس أولويات وفي قلب أي اتصال».

ويشير ذلك، إلى موقف الإدارة الأمريكية من تسارع وتيرة التطبيع العربي مع نظام الأسد أيضا، والتي لم تقف عند التطبيع التركي مع الأسد، والحديث عن عودته للجامعة العربية، وعلى ما يبدو من بيان الخارجية الأمريكية أن التطبيع بات أمر واقعا، والمرحلة الحالية تقتضي من حلفائها أن يحددوا أولوياتهم من عملية التطبيع مع الأسد.

وفي إطار عودة نظام الأسد للجامعة العربية، قال أمينها العام، أحمد أبو الغيط، خلال مقابلة تلفزيونية مع تلفزيون «الجديد» اللبناني «إن رئيس النظام بشار الأسد ربح المعركة» عندما حسمها عسكرياً. واعتبر عملية طرد النظام من الجامعة العربية بـ «الخطوة المتسرعة» مشيرا إلى عودته ممثلا للجمهورية العربية السورية بـ «الحتمية».

وتعارض خمس دول أعضاء في الجامعة العربية عودة النظام للجامعة، وهي قطر والمملكة المغربية واليمن والكويت ومصر. وتأتي معارضة الدول لأسباب متباينة قليلا فيما بينها، فحتى الأردن الذي كان سباقا لإعادة تعويم الأسد في وقت سابق، تعرض إلى ضرر كبير من هزيمة المعارضة في صيف 2018 فقد أصبح الحرس الثوري الإيراني على حدوده الشمالية وهو السباق في التحذير من «الهلال الشيعي» على لسان الملك عبد الله بن الحسين. وأدى ذلك إلى إغراق الأردن بالمخدرات على أنواعها، ويعزو الكثير من المطلعين أن شرط الأردن للتطبيع مع الأسد هو فقط؛ وقف تهريب المخدرات.

ومع تواصل الشكوى العربية وخصوصا لدى السعودية والأردن من قضية إغراق البلدين بالمخدرات، قام الاتحاد الأوروبي بمعاقبة قادة الميليشيات المتورطين بقضايا تهريب المخدرات إلى الرياض وعمان، والنشطين في محافظة درعا وهما، عماد أبو زريق ومصطفى المسالمة، الملقب (الكسم) ووسيم المسالمة التابعين لفرع «الأمن العسكري». كما أشارت القائمة إلى أن الثلاثة المعاقبين بقضايا صناعة «الكبتاغون» هم أبناء عم رئيس النظام السوري وهم وسيم بديع الأسد وسامر كمال الأسد ومضر رفعت الأسد. إضافة إلى قريبي العائلة جهاد بركات ومحمد شاليش.

المقلق في محاولات التطبيع أن تؤدي إلى شرخ عربي بين الراغبين والممانعين، فخفة السياسة الخارجية الواضحة وعدم الأخذ باعتبارات الأمن القومي وغياب الإستراتيجيات الرصينة والتهور لدى بعض الدولة العربية يرجح أن تؤول الخواتيم إلى انقسام عربي جديد. فالتعاطي مع بشار الأسد على أنه انتصر في الحرب ويجب مكافأته بالعودة إلى عضوية الجامعة العربية زلة خطيرة من أبو الغيط، تضفي صفة بغيضة على المنتدى العربي، تجعله يوصم باعتباره نادي للقتلة ومجرمي الحرب، ويشرعن فكرة القتل والإبادة على قضية العدالة.

نتنياهو وآل الأسد: طراز الانفتاح الآخر

صبحي حديدي

في غمرة الهرولة إلى الانفتاح على النظام السوري، والأحرى الحديث بالطبع عن إعادة إدخاله إلى حظيرة نظام عربي متوحّد متماثل من حيث الاستبداد والفساد والتبعية والفشل، تُنسى جهة مشاركة في السيرورة، سبّاقة إليها كما يتوجب القول، وصاحبة الكثير من المصالح السياسية والأمنية والعسكرية؛ على خلاف غالبية المهرولين العرب، حيث أهداف الهرولة قصيرة النظر أو محدودة أو آنية أو وصولية تتوسل اتقاء الشرّ وليس حتى دفعه.

تلك الجهة الثالثة هي دولة الاحتلال الإسرائيلي، التي تُنسى عموماً (عن سابق قصد وتصميم، مضمونه الأوّل هو التجاهل لأغراض التجهيل)؛ رغم أنّ المعطيات الشكلية يمكن أن تفضي إلى عكس هذا الافتراض، لأنّ الطيران الحربي الإسرائيلي لم يتوقف عن قصف الأهداف في عمق الأراضي السورية، وصواريخ الاحتلال تنهمر على الجولان ودمشق كما على مصياف وحلب والبوكمال، جنوب سوريا وغربها وشمالها وشرقها.

ما خلا أنّ هذه المعطيات، ذاتها، تشير إلى أنّ الغالبية الساحقة من «بنك الأهداف» الإسرائيلي تتركز على مواقع إيرانية يديرها «الحرس الثوري» الإيراني، أو ميليشيات تتبع لطهران ابتداء من «حزب الله» وحتى أصغر عصائب عراقية أو آسيوية متشيّعة المذهب؛ ويندر، في المقابل، أن تستهدف الاعتداءات الإسرائيلية ما تبقى من ألوية جيش النظام، أو حتى كتائب الفرقة الرابعة المرتبطة أكثر بالتواجد الإيراني في سوريا.

صحيح أنّ حكومة بنيامين نتنياهو أكثر انشغالاً بالشأن الإسرائيلي الداخلي ومعضلات شروخ المجتمع الإسرائيلي بين مؤيد للائتلاف الحكومي الأكثر يمينية وتطرفاً وفاشية في تاريخ الكيان من جهة، ومناهض لها يتباكى على أطلال «الديمقراطية» الإسرائيلية وأنظمتها القضائية وموقع المحكمة العليا من جهة ثانية. كما أنّ نتنياهو منشغل بآفاق التطبيع مع الإمارات والبحرين والسودان والمغرب، واحتمالات المستقبل مع ولي العهد السعودي؛ وبالتالي ليس الانخراط في أي طراز من الانفتاح العلني نحو نظام آل الأسد على جداول أعماله، الحافلة المزدحمة.

ولا يصحّ أن يُغفل، هنا، مغزى التصريحات التي نسبتها صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية إلى رامي مخلوف، ابن خال الرئاسة الذي كان حتى عهد قريب صيرفي آل الأسد/ مخلوف، وتمساح الاستثمار والأعمال الأشرس في سوريا؛ بصدد العلاقة الوثيقة بين استقرار النظام السوري، واستقرار دولة الاحتلال، حيث قال بالحرف: إذا لم يتوفّر استقرار هنا، فلا سبيل إلى استقرار هناك. كان ذلك بعد أشهر قليلة أعقبت انطلاق الانتفاضة الشعبية السورية، ولم يطل الوقت حتى تناغمت مع هذه الأقوال تسريبات على ألسنة جنرالات إسرائيليين في المؤسستين العسكرية والأمنية، تحثّ على الامتناع عن أيّ إسهام في تقويض نظام آل الأسد.

وكان منطق المطالبة الإسرائيلية بالمدّ في عمر النظام يستند على ثلاثة مسوّغات، بين أخرى أقلّ إلحاحا؛ أوّلها أنّ نظام «الحركة التصحيحية» حافظ على حدود الاحتلال الإسرائيلي للجولان، لا كما فعل أيّ نظام سوري سابق، منذ تأسيس الكيان الصهيوني. الثاني يساجل بأنّ أيّ نظام مقبل في سوريا لن يكون أفضل حالاً لدولة الاحتلال؛ بل الأرجح أنه سوف يكون أسوأ لأمنها القريب والبعيد، بالنظر إلى الروابط العميقة التي شدّت، وستظلّ تشدّ، الشعب السوري إلى القضية الفلسطينية. وأمّا المسوّغ الثالث فإنه انطلق من معادلة ذرائعية لوجستية: ما دام جيش النظام استخدم ضدّ المعارضة صنوف الأسلحة جميعها، من الدبابة والمدفعية الثقيلة إلى السلاح الصاروخي والجوّي، بما في ذلك البراميل المتفجرة، والقنابل العنقودية، والألغام البحرية...؛ وما دامت المعارضة ليست مكتوفة الأيدي، فهي تدمّر الدبابة وتُسقط الطائرة وتقتل، مثلما يُقتل منها...؛ فإنّ دولة الاحتلال رابحة في كلّ الأحوال.

طراز انفتاح آخر، إذن، لم يعكر صفوه أيّ تشدّق أمريكي معترض (علانية فقط) على هرولة بعض الأنظمة العربية إلى أحيهم ساكن الحظيرة السابق، الذي تجري إعادته إلى حيث انتمى وينتمي.

السنة الخامسة والثلاثون العدد 10970 الأحد 30 نيسان (أبريل) 2023 – 10 شوال 1444 هـ

دول عربية تسعى إلى فهم بنية النظام السوري قبل الانهيار أو السقوط المفاجئ

حسام محمد

تشهد الساحة السورية منذ فترة حراكا سياسيا ملحوظا لبعض الدول العربية تجاه النظام السوري، في حين بقيت دول عربية أخرى ثابتة على مواقفها ورؤيتها للحل السياسي في البلاد، فيما يبدو الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية يسير ما بين رفض التطبيع العربي مع الأسد والتلويح بسلاح قيصر، دون الحضور الفعال في المشهد والرغبة في مواصلة المسير بذات النهج السابق.

الجامعة العربية وعلى لسان أمينها العام أحمد أبو الغيط رأى أن عودة النظام السوري للجامعة باتت شبه حتمية، مشيرا في ذات الوقت إلى مجموعة من المطالب الدولية من النظام قبل ذلك.

وقال أبو الغيط خلال لقاء تلفزيوني بثته قناة «الجديد» في 26 نيسان/أبريل الحالي: النظام السوري ربح المعركة عندما حسمها عسكريًا قبل سنوات، وعندما فشلت المعارضة والمقاومة بدخول دمشق.

كما انتقد تعليق عضوية سوريا في الجامعة، قائلا: كان ينبغي عدم التعجل بتجميد العضوية، وإتاحة المزيد من الفرص للمفاوضات والمحاولات مع النظام.

تصريحات أبو الغيط تأتي عقب تحول كبير في الموقف السعودي الرسمي تجاه دمشق، وكذلك إبان حراك عربي لبعض الدول العربية للانفتاح على الأسد على المستوى الثنائي، فيما تعارض 5 دول عربية عودة النظام إلى الجامعة، والدول الرافضة لإعادة النظام السوري، هي قطر والمغرب والكويت ومصر واليمن، في ظل عودة علاقات النظام الرسمية مع دول عربية بعد انقطاعها في عام 2012.

خبراء تواصلت معهم «القدس العربي» أكدوا أن نظام الحكم في سوريا لم يحقق أي مكاسب حقيقية من عمليات التطبيع العربي مع الأسد على المستوى الثنائي خلال الفترات الماضية، وكذلك على الصعيد العام ما بين النظام السوري والجامعة العربية. وأن الجامعة العربية مجرد هيكل فارغ التأثير، حيث ليس لديها أي انجاز على الساحة العربية وهناك العديد من الأمثلة تشير لذلك، فلو كانت قادرة على تغيير المعادلات على الأرض لما استمر الانقسام في ليبيا حتى يومنا هذا، ولا شاهدنا حكومتين في ليبيا مع عشرات الميليشيات والتشكيلات العسكرية التي لا تحمل صفات رسمية، ولو كان للجامعة العربية أي بعد حقيقي وتأثير فعال لما شاهدنا في السودان نظامي حكم داخل قصر جمهوري واحد، ومعارك طاحنة ورحيل بعثات دولية من الخرطوم.

كذلك هي أحوال الصومال التي بقيت كما هي رغم مرور زمن طويل على أحوالها المتردية، وأحوال لبنان تعد مؤشرا واضحا على قدرات الجامعة العربية على حل الخلافات وانقاذه من الزلزال السياسي، لذلك لا يمكن التعويل على جهود الجامعة العربية للحل في سوريا.

الخبراء، رأوا أن النظام السوري لم يسع بشكل مباشر للتطبيع مع بعض الدول العربية، وإن ما جرى هو مساع عربية للتقرب من رأس النظام في دمشق حصرا وليس التقرب من الدولة السورية، وهذا ما تشير إليه بوضوح الزيارات التي قام بها الأسد أو الجهات العربية التي زارته في دمشق، حيث اقتصرت اللقاءات مع بشار الأسد وأحيانا على وزير خارجيته.

بينما لم نشاهد تعاملات عربية مع المؤسسات المعتبرة سواء على مستوى رئاسة الوزراء أو الوزارات التقنية بما فيها المؤسسات المسؤولة عن البنية التحتية أو الاقتصاد والمال، وهذا أهم مؤشر على مستوى العلاقات، وأن بعض الدول العربية تحاول فهم حالة النظام السوري بشكل مقرب قبل أن ينهار أو يسقط بشكل مفاجئ، وما قد ينتج عن أزمات كبرى في الإقليم العربي ككل جراء ذلك.

وهنا يمكننا القول: التعامل العربي مع الأسد يرمي إلى معرفة الآلية التي يدار من خلالها نظامه والأدوات والطرق التي يتعامل فيها مع العالم الخارجي، ومعرفة الجهات الداخلية في بنيته والتي تمتلك المواد الحساسة والمعلومات السرية، في حين أن النظام لا يمتلك ما يمكن تقديمه مقابل عمليات التطبيع ولن يحقق أي مكاسب قوية.

ورغم حملات التطبيع الثنائية وإعادة العلاقات بشكل حذر، وتكرار الزيارات ما بين عدة دول عربية والنظام السوري، إلا أن الاقتصاد السوري لم يستقبل أي فوائد من هذا الحراك الدبلوماسي والسياسي، بل أن قيمة الليرة السورية في تراجع مستمر.

من جانبه، قال المستشار الاقتصادي، الدكتور أسامة القاضي لـ «القدس العربي»: حملة التطبيع العربية مع النظام السوري منذ عام 2019 لم تفلح في انقاذ الليرة السورية، حيث تراجعت قيمتها أمام العملات الأجنبية إلى مستويات قياسية.

وأضاف، لم تتحسن قيمة الليرة السورية أمام الدولار، بل على العكس انهارت أكثر لتصبح قيمتها من 500 ليرة للدولار الأمريكي الواحد عام 2019 إلى 8100 ليرة للدولار الواحد، وكذلك هو الحال منذ التدخل العسكري الروسي في سوريا لصالح النظام في عام 2015.

تطبيع هش ورهان فاشل

عمليات التطبيع الجارية بين عدة دول عربية والنظام السوري حققت للأخير شبكة علاقات على المستوى الثنائي مع بعض الدول، لكنها لم تفض إلى إعادة دمجه في النظام الدولي أو الجامعة العربية، ولعل هذا الخيار ما يرغب به الأسد حاليا، فالنظام السوري يفضل هذا النوع من العلاقات التي لا التزامات واضحة فيها على وجود شروط كبيرة لا يرغب في تطبيقها في الواقع.

الباحث في الشأن السوري عرابي عبد الحي عرابي، رأى خلال تصريحاته لـ «القدس العربي»: أن مشكلة عمليات التطبيع الأخيرة ليست في التحرك في هامش أتاحته الولايات المتحدة الأمريكية للاعبين الإقليميين، وإنما في أن هذه العملية لن تصل إلى أي حل منطقي وفق القرارات الأممية، لأن المشكلة تكمن في طبيعة النظام ذاته، وهي طبيعة غير قابلة للإصلاح.

ويعتقد الباحث، أن هذه الطبيعة تدركها دول المبادرات، ولذا فهي تناور حسب ما يمكن أن تحقق من فوائد جانبية خاصة بها في ملف تجارة المخدرات مثلا، فالسعودية تعاني من سيل المخدرات الذي يتدفق من جانب النظام السوري إليها، وهي تريد ضبط هذا الموضوع وإيقافه، لكن على الأغلب ستبوء بالفشل، فتجارة المخدرات باتت الرئة الأساسية للنظام وتدر عليه عشرات المليارات سنويا حسب ما قالته وزارة الخزانة البريطانية.

من ناحية أخرى فإن هذه الجهات لن تستطيع التورّط بدعم ماليّ يصل إلى حدود إعادة الإعمار، ولو نظرنا إلى الإمارات على سبيل المثال فسنرى أنها لم تساعد قيس سعيّد في تونس مالياً رغم الحالة الاقتصادية المتردية لبلاده، ولا يمكن لهذه الدول أن تدعم النظام بالمليارات وهي تعلم أنها ستذهب في نهاية المطاف إلى جيوب القادة والشخصيات المتنفذين في النظام السوري.

لن يستطيع النظام تحقيق أي مكسب إستراتيجي من التطبيع، سواء على صعيد العلاقات العالمية –أوروبا– أمريكا كندا– وهو نفسه لن يحقق له ذلك أيّ قدرة على استعادة المناطق الخارجة عن سيطرته كمناطق قوات سوريا الديمقراطية «قسد» أو الشمال السوري، ولن يستطيع بما أوتي من قوة أن يفكك هيئة تحرير الشام وبقية الفصائل. التطبيع الدبلوماسي الثنائي وفق عرابي لن يحقق الشروط الدولية كتشكيل هيئة كاملة الصلاحيات في سوريا بناء على القرار 2254 وعليه فإن عمليات التطبيع ستبقى محدودة، وربما تتحول في المستقبل إلى دورة جديدة من المعاداة في حال تأزمت العلاقات بين إيران والسعودية مجددا.

تسارعت وتيرة التطبيع العربي مع النظام في سوريا بعد حالة جمود شبه كامل في الملف السوري مستمرة منذ 2020 تخللها غياب التقدم في المبادرة العربية التي اقترحتها الأردن عام 2021.

إلا أن النظام السوري لم يحقق أي مكاسب على كافة المستويات، فمناطق نفوذه وفق مدير مركز جسور للدراسات محمد سرميني لم تشهد أي تغيير يذكر، كما أن الأسد فاقد لأكثر من ثلث الخريطة السورية، ويمتلك الشرعية فقط بفعل التوازنات الدولية، إضافة إلى أن النظام السوري مسلوب السيادة مع استمرار تقاسم 4 دول للخريطة السورية والنفوذ الجوي للدولة الخامسة.

أما على المستوى السياسي فإن النظام كان وما زال في حالة تعطيل للعملية السياسية المتمثلة باللجنة الدستورية، وعلى المستوى الأمني فإن الميليشيات المحلية والخارجية تنتشر على امتداد مناطق نفوذه وهو عملياً لا يسيطر عليها، كما أنه لم يستطع السيطرة على مناطق التسويات والمصالحات وخاصة الجنوب.

عسكريا، النظام لا يمتلك قرار السلم والحرب وغير قادر على تغيير واقع السيطرة، واقتصاديا فقد سيطر اقتصاد الحرب على الهياكل والمؤسسات بعد انهيار الاقتصاد الحكومي، والأهم أن النظام أصبح من أكبر مشاريع تصنيع وتهريب المخدرات على مستوى المنطقة والعالم.

إن بقاء النظام على حاله كدولة فاشلة بالمعايير القانونية والسياسية يشير إلى أن التطبيع معه ليس مقصوداً لذاته؛ ومع ذلك فإن هذا التطبيع يمثل فشلاً للدول العربية التي تمضي في هذا المسار، ويمهد لمنح إيران مقعداً آخر في جامعة الدول العربية، ويسوق سياسياً وإعلامياً لنظام مخدرات.

التطبيع مع النظام السوري يرتبط بنظرة الدول إلى مصالح إقليمية ودولية يمثل النظام فيها مساحة اختبار نوايا وتبادل رسائل سلبية أو إيجابية، خاصة وأن تحرك الدول الإقليمية جاء مع حالة عدم الثقة بالولايات المتحدة التي أسهم سلوكها في توجه هذه الدول نحو روسيا وإيران

ويرى سرميني، أن مسار التطبيع القائم لا يعني إعادة إنتاج النظام، فبنيته الداخلية وفقدانه السيطرة لصالح حلفائه روسيا وإيران من أهم الأسباب التي تجعل محاولة النظام العودة لما قبل 2011 مستحيلة، ومن السهل اكتشاف دلائل ذلك للدول التي تعيد تواصلها مع النظام وتكتشفه على الواقع ومن قرب، وفي النهاية يمكن القول: لن تساهم عمليات التطبيع في إعادة إنتاج النظام أو تعديل سلوكه، ولن يحصل المطبعون على أية مصالح مباشرة من النظام. وستكون عمليات التطبيع محاولات هشة في الوقت بدل الضائع، فيما المشهد السوري قد يتغير بمجرد انهيار جهود التهدئة الإقليمية أو اندلاع تصعيد جديد أو تطور المشهد في أوكرانيا.

Volume 35 - Issue 10970 Sunday 30 April 2023

انفتاح السعودية على سوريا لن يُغيِّر «الستاتيكو» وطموح الأسد دعمٌ ماليّ بـ«قنوات ناعمة»

رلى موفّق

طُويت مسألة عودة سوريا إلى مقعدها في الجامعة العربية مع انعقاد القمة العربية المرتقبة في الرياض في 19 أيار/مايو. هكذا تؤكد أوساط على إطلاع وثيق بمجريات الأمور في دمشق. أعاق اعتراض دول خليجية (قطر والكويت) وعربية (المغرب، ومصر، والأردن) تلك العودة التي رغبت السعودية، ومعها دول خليجية وعربية، أن تكون بغطاء عربي موحَّد وإلاّ تنحصر في «تطبيع ثُنائي» بين دمشق وكل من العواصم التي تنفتح على النظام السوري. كانت الرياض، التي تترأس القمة العربية، وتمضي في سياسة «تصغير المشاكل» تأمل في دعوة الأسد إلى قمة الرياض، بما يُنهي القطيعة التي أقرّها مجلس وزراء الخارجية العرب في تشرين الثاني/نوفمبر 2011 بعد مماطلة النظام السوري في تنفيذ الخطة العربية لحل الأزمة التي اندلعت في آذار/مارس 2011. كانت الحكومة السورية قد وافقت في مطلع شهر تشرين الثاني/نوفمبر على الخطة العربية التي تقضي بوقف العنف ضد المتظاهرين والذهاب إلى حوار سياسي مع المعارضة. حينها كانت أعداد الشهداء، وفق أرقام الأمم المتحدة، 3500 شخص. سحبت غالبية الدول العربية سفراءها، وبعدها خرج الدبلوماسيون الغربيون ولم يرفّ جفنٌ للنظام الذي اختار قمع الاحتجاجات وإخمادها بالسلاح، ما أدخل سوريا في مسار حرب أوقعت ما يزيد على نصف مليون قتيل، ومحو مدن بأكملها، ودمار بالمليارات، وتهجير ملايين السوريين، وعمليات تطهير مذهبيّ.

التفَّ النظام على اتفاق «جنيف 1» (2012) واتفاق «جنيف 2» (2013) وقرار مجلس الأمن 2254 (كانون الأول/ديسمبر 2015) حول السلام والانتقال السياسي وبناء سوريا الجديدة. دخلت روسيا في أيلول/سبتمبر 2015 الحرب بعدما كان النظام ومعه الحرس الثوري والميليشيات الإيرانية التابعة، ومن بينها حزب الله، على وشك الهزيمة على يد المعارضة المسلحة. استخدمتْ موسكو سلاح الجو لتغيير المعادلات على الأرض ونجحت تباعاً في إعادة بسط نفوذ النظام على رقع واسعة من الأراضي السورية. أدى دخولُ عوامل عدّة على خط «الثورة السورية» إلى خطفها، ودفْع أبناؤها ثمناً باهظاً وتلاشتْ قيادتها وتفككتْ. أضحت سوريا، في نهاية المطاف، مُقسّمة مناطق نفوذ دولية: روسية وإيرانية تدعم النظام، وأمريكية وتركية تدعم المعارضات المختلفة، فيما إسرائيل، الداعمة المستترة والمُعلَنة لبقاء نظام الأسد، حاضرة بغاراتها الجوية. خرج العربُ من المشهد السوري وخَفَتَ تأثيرهم عسكرياً وسياسياً، على الرغم من إقرار الداخل والخارج أنه حين تنتهي الحرب في سوريا، ويصدر القرار بإعادة الإعمار، فإن الدور الرئيسي والفاعل سيكون للخليج، ولا سيما للمملكة العربية السعودية.

وقرار انتهاء الحرب لن يكون سوى قرار أمريكي. الغرب يفرض عقوبات، وأمريكا تخنق سوريا بـ«قانون قيصر» وعلى الطريق يأتي «قانون الكبتاغون» الذي أقرّه الكونغرس الأمريكي قبل أشهر. لا أحد من الدول المرتبطة بالنظام المالي الدولي يمكنه أن يتجرّأ علانية على كسر العقوبات الأمريكية، إنْ لم يحصل «غض طرف» من واشنطن. لجأ النظام وحلفاؤه إلى الالتفاف على تلك العقوبات. استخدموا لبنان، فدفع الثمن في اقتصاده، وماليته، ونظامه المصرفيّ، وعيش أبنائه. واستخدموا العراق، فطارت الملايين من خزينته على حساب مواطنيه. حاولت الصين، وروسيا، وإيران، التحايل بما لديها من طرق. كل ذلك ساهم في مدّ النظام بالأوكسجين، لكن ركيزته الأساسية قامت على صناعة ذلك المُخدّر الرائج والقليل الكلفة الذي غزا به أسواق الخليج عبر شحنات التهريب براً مستخدماً الأردن والعراق، وبحراً عبر مرفأ بيروت. أخذ «محور إيران» السعودية هدفاً للمخدرات. نَظر إلى تدمير المجتمع السعودي وإغراق شبابه في تلك الآفة كجزء من المعركة المفتوحة على المملكة، وأدرج «حرب الكبتاغون» في إطار قواعد الاشتباك.

سعت روسيا بقوة، منذ أن أنقذت الأسد، إلى إعادة تأمين مظلّة عربية له. كان همُّها الأكبر أن يستعيدَ رجُلها في سوريا العلاقات مع السعودية بوصفها الدولة المحورية عربياً والأكثر تأثيراً وثقلاً، ويمكنها تالياً أن تُشكّل قاطرة لدول أخرى إنْ خَطتْ الرياض صوب دمشق. بقيت الخطوطُ الأمنية مفتوحة وتعزّزت بفعلَ موسكو، لكن باب الانفتاح السياسي بات أكثر ملاءمة بعد التحوّلات الدولية الناجمة عن حرب روسيا على أوكرانيا. كانت موسكو تُعزّز موقعها في الشرق الأوسط قبل أن تغزو هذا البلد، وتستفيد وبكين من الانسحاب الأمريكي التدريجي من المنطقة في تمتين ارتباطهما مع المملكة التي شاب علاقاتها مع واشنطن الفتور مع وصول الحزب الديمقراطي إلى البيت الأبيض. ذهبت الرياض، رغم أنها حليف استراتيجي للولايات المتحدة، إلى توسيع تعاونها خارج إطار ذلك الحلف. لم تصطفّ مع الغرب في النزاع الروسي – الأوكراني، ولم تُساير جو بايدن في قرارات «أوبك بلس» خدمة له في الانتخابات النصفية أو تضييقاً على روسيا. وفتحت الباب واسعاً أمام الصين، الحليف التجاري الأول للمملكة، لتلعب دوراً سياسياً كدولة ضامنة لفكّ الاشتباك مع إيران.

من الصعب فصل مدّ الجسور السعودية مع سوريا كحدث منفصل تماماً عن نتائج عودة العلاقات مع إيران. حتى ولو كان الأمر غير معلن، أو كان الأسد يُفضّل أن يكون له هامشه في التحرُّك، فإن عودة العلاقات السعودية – السورية ما كان يمكن أن تحصل بهذا اليسر لو كان التأزم سيّد الموقف بين طهران والرياض. سبق للإمارات أن أعادت العلاقات الدبلوماسية عام 2018، وعزا مراقبون موقفها إلى رغبتها في مواجهة مبطّنة لتركيا بدعم الأسد. ستذهب البحرين بذات منحى السعودية الإيجابي في اتجاه دمشق، وإنْ كانت تعتبر أن سفارتها في سوريا ما زالت تعمل.

يقول مقرّبون من النظام أن الرئيس السوري لم يبدِ حماساً لطروحات العودة إلى الجامعة العربية. وهو ليس على استعداد للاستجابة لمتطلبات الحل السياسي أو ما يمكن أن يُفهم منه أنه تنازلات في تركيبة النظام السياسي لبلاده. ويُبدي تالياً ارتياحاً لصوغ علاقات ثنائية، والذهاب إلى تطويرها بالحد الذي يخدمه. هذا يدفع هؤلاء إلى الاستنتاج أنه لن يألو جهداً في توظيف الانفتاح العربي عليه لصالح مزيد من ترسيخ سلطته.

في موضوع العلاقات مع المملكة، ثمة استكمال لترتيب الأمور بين البلدين، فالزيارات مستمرة على المستويات السياسية، والدبلوماسية، والأمنية، بشكل غير مُعلن، منها زيارة لمعاون وزير الخارجية السوري محمد أيمن سوسان إلى السعودية. وأجواء دمشق لا تزال تضع في أجندة الأسد زيارة مرتقبة إلى الرياض، وربما قبل أيار/مايو، تُوصف سورياً بـ«زيارة تعويض» عن عدم دعوته لحضوره القمة العربية. يُدرك الرئيس السوري أن هناك أوراقاً لا بدَّ من أن يُقدّمها مقابل الانفتاح السعودي عليه، وأولها في ملف الكبتاغون. ويسرُّ المقرَّبون من النظام أنه سيتجاوب في هذا الأمر، كما سيتعزّز التعاون في المسائل الأمنية. ما يُعوّل عليه الأسد هو تخفيف الطوق الاقتصادي والمالي عنه. يتوق إلى دفق مالي كبير يدخل في خانة إعادة الإعمار الشاملة والاستثمارات الكبرى، لكن المأمول الحصول عليه هو «تمرير ناعم» للأموال تحت عناوين مختلفة لا بأس إذا اتّخذت الشكل الإنساني، أو تهيئة الظروف لإعادة اللاجئين عبر تأهيل مناطق معيّنة بالبنى التحتية وإعادة بناء المساكن لتأمين عودة أصحابها، حتى إن هؤلاء يتحدّثون عن انفتاح الأسد إذا تطوّرت العلاقات نحو إشراك بعض الأسماء المقبولة سعودياً في الحكومة، بما يعطي الجوّ السُّني العام في سوريا قدراً من الاطمئنان.

سبق لوزير الخارجية السعودي فيصل بن فرحان أن تحدَّث في منتدى ميونيخ للأمن في شباط/فبراير الماضي عن غياب السبيل لتحقيق الأهداف القصوى من أجل حل سياسي، وأن معالجة مسألة اللاجئين السوريين في دول الجوار تتطلب حواراً مع حكومة دمشق. لا شك أن تحقيق عودة – ولو تدريجية – للاجئين السوريين إلى قراهم ومدنهم سيكون إنجازاً، لكنه من الصعب توقّع أن يكون الأسد منفتحاً على عودة يمكن أن تُشكّل تغييراً كبيراً في الخريطة الديموغرافية التي عمل على رسمها في مناطق سيطرته واستدعت تهجيراً جماعياً، فكيف إذا كانت هناك مناطق تغلغلت فيها إيران وميليشياتها وأضحت صاحبة النفوذ فيها، من حمص إلى جوار السيدة زينب في دمشق، إلى جزء كبير من درعا والسويداء، وإلى حلب ودير الزور وغيرها من الجغرافيا السورية؟

لا رهانات لدى الرياض حول إنجاز الحل السياسي المنشود، ولا رهانات لدى دمشق حول إمكان تطبيع كامل. فكل ما يمكن أن يتحقق يندرجُ في إطار «ترييح الوضع». الزمن ليس زمن انتهاء الحرب في سوريا. فكل الدول الحاضرة بقواتها العسكرية على الساحة السورية لا تزال أياديها على الزناد. الكلام المُسرَّب هو أن أمريكا أوصلت رسالتها، إلى مَن يعنيه الأمر، أنها لن تسمح بتغيير «الستاتيكو» في سوريا.

قطر ترفض ركوب قطار التطبيع مع نظام بشار الأسد صوناً لذاكرة الضحايا وتأكيدا على حقوق السوريين

الدوحة ـ«القدس العربي»: سليمان حاج إبراهيم

ترفض قطر ركوب قطار التطبيع العربي مع النظام السوري، وتؤكد أنها لن تمد جسور التواصل مع دمشق، ما لم يتحقق الحد الأدنى من المطالب التي دفعت الجماهير في سوريا للثورة على واقعها، والمطالبة بحقوقها، والتي ووجهت بعنف شرس، وتعتبر الأمر مسألة مبدأ، وصوناً لدماء الضحايا حتى لا تذهب سدى وتنسى في خضم الحسابات السياسية.

وحتى الآن تقف قطر إلى جانب عدد من الدول العربية الرافضة لعودة النظام السوري لحضن الجامعة العربية بشكل مجاني، عائقاً أساسياً أمام مسار التطبيع العربي مع النظام الذي بدأ منذ 2018.

الموقف القطري المسنود من الكويت وعدد من الدول العربية، يتناغم مع سياسة كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا وفرنسا، التي لا تشجع على فك العزلة المفروضة على النظام منذ عام 2011 ما لم يكن هناك تغيير حقيقي وجدي في سلوكه الذي يهدد الأمن المحلي والإقليمي والدولي. وأعلنت قطر صراحة وبلغة واضحة أنها ليست بصدد تطبيع علاقاتها مع النظام السوري، بالرغم من ركوب العديد من الدول قطارَ التطبيع مع دمشق. وتشدد الدوحة، أن موقفها ثابت وراسخ في دعم عدالة مطالب الجماهير السورية، وأنها لن تخذل دماء الضحايا الذين سقطوا في الميدان دفاعاً عن حقوقهم. ويؤكد مسؤولون تواصلت معهم «القدس العربي» أن الدوحة ما تزال ترى الوضع الذي قاد لطرد دمشق من الجامعة العربية قائما، ولا ترى مؤشرات تحفزها على تغيير موقفها. وأكد الدكتور ماجد الأنصاري، المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية القطرية، لـ«القدس العربي» أن موقف قطر من حل الأزمة السورية لم يتغير. وردا على سؤال سابق لـ «القدس العربي» حول موقف قطر من التطبيع العربي الحاصل مع النظام السوري، وتحول بعض الدول نحو الضفة الأخرى في علاقاتها مع دمشق، بعدما اتخذت موقفها السابق بنبذ النظام بإجماع عربي، أكد الأنصاري أن «قطر تدعم جميع المبادرات التي تهدف إلى إيجاد سلام شامل في سوريا يحقق تطلعات الشعب السوري، وتدعم أيضاً الجهود العربية والدولية في هذا الإطار». وقطر عكس ما يروج له، لا ترى وجود إجماع عربي على عودة بشار الأسد لطاولة الجامعة العربية في الوقت الحالي. وأن «المؤشرات لا توحي بأي تطور لافت في الساحة السورية». وتؤكد قطر في مناسبات مختلفة أنها مع أي جهد سيؤدي إلى تحقيق السلام الشامل في سوريا، وحل الأزمة في البلاد من خلال تطبيق بيان جنيف ا وتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم 2254. وجدد مؤخراً رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية القطري محمد بن عبد الرحمن آل ثاني، موقف بلاده الرافض لأي تطبيع مع النظام السوري بدون تحقيق دمشق خطوات نحو حل سياسي يضمن حقوق السوريين وتضحياتهم. وكشف آل ثاني أن الموقف القطري من النظام السوري لم يتغير، مشدداً أن الدوحة قررت أن «لا تتخذ أي خطوة للتطبيع مع نظام بشار الأسد دون خطوات من دمشق للحل السياسي». وإن كانت الدوحة أوضحت موقفها لكنها تشير أن: «كل دولة لها قرارها السيادي بشأن التطبيع مع نظام الأسد».

وتضيف الدوحة أن: «دولة قطر موقفها واضح ولديها أسباب لدعم تعليق عضوية سوريا في الجامعة العربية. وهذه الأسباب ما زالت قائمة». وعكس ما قيل حتى الآن وما سرب لوسائل الإعلام، تكشف قطر على لسان مسؤوليها، أنه «حتى الآن لا يوجد شيء على الطاولة بشأن التطبيع العربي مع نظام بشار الأسد، وكل ما يقال مجرد تكهنات تظهر في وسائل الإعلام».

وتنطلق قطر من رفض ركوب قطار التطبيع من قناعة راسخة وموقف أخلاقي يصون ذاكرة ضحايا الثورة السورية، حتى لا تذهب دماؤهم سدى. وكشف المتحدث باسم وزارة الخارجية القطرية في وقت سابق، أن «موقف بلاده من عودة سوريا للجامعة العربية ثابت» مشيراً إلى أن أسباب تجميد العضوية ما زالت قائمة، وأن الجرائم بحق الشعب السوري لا يمكن أن تسقط بالتقادم. وتعتبر الدوحة، أن الموقف من عودة سوريا إلى الجامعة العربية ليس موقفاً قطرياً منفرداً، فقرار عودة سوريا إلى جامعة الدول العربية هو قرار عربي عام. وحسب عدد من المسؤولين فإن معظم الدول العربية التي اتخذت قراراً ضد النظام السوري لم تجد إلى اليوم مسببات لإنهاء تجميد العضوية بما أن الأسباب ما زالت قائمة. وتتمنى قطر «وجود حل للأزمة السورية يحقق تطلعات الشعب السوري في الأمن والاستقرار».

وعلى ضوء التطورات الأخيرة فيما يخص التطبيع مع النظام السوري يبرز موقف قطر كتغريد خارج سرب الدول المطبعة، وعلى رأسها الإمارات والسعودية والبحرين وعمان، والقاهرة التي تلحق بالركب، مع تغير مزاج القيادة التركية نحو انفتاح على دمشق. وفي الوقت الذي تتحضر فيه السعودية لاستقبال مؤتمر القمة العربية، وتنوي دعوة رأس النظام السوري بشار الأسد كخطوة للتطبيع وعودته إلى حضن الجامعة العربية، تتمسك قطر في موقفها الثابت من النظام السوري.

أولوية حل الأزمات الإنسانية في سوريا

وكشفت قطر في وقت سابق، تفاصيل الاجتماع التشاوري الخليجي العربي في جدة، وقالت إن وزراء الخارجية لدول مجلس التعاون الخليجي ومصر والأردن والعراق، تبادلوا في جدة وجهات نظر حول الأزمة السورية وناقشوا اتفاقا إطاريا يهدف لتسريع الحلول الإنسانية. وأعلنت الدوحة، أن الاتفاق تم على دعم أولوية الجانب الإنساني، وتوفير وصول المساعدات وإنهاء معاناة اللاجئين وعودتهم الآمنة لمناطقهم. وتركز الحديث في قمة جدة، على ضرورة وضع حلول إنسانية تحقق المصلحة العامة للشعب السوري. وتنفي قطر حتى الآن أي اتصال مباشر بينها والنظام السوري، وتشدد أنه ليس هناك ما يدعو لإعادة النظر في العلاقة مع نظام الأسد الذي سبق وأن وصفته بالمجرم.

ولم تُحقق التسوية السياسية في إطار اللجنة الدستورية وقرار مجلس الأمن الدولي رقم 2254 لعام 2015 – باعتبارها أحد بنود المبادرة– أي خرق أو تقدم، بل باتت معطلة بالكامل منذ منتصف عام 2022 بسبب موقف النظام الذي ربط استمرارها باستجابة الغرب لشروط روسيا. وتستأسد دمشق بدعم موسكو وإيران، وتعول عليها لتكريس نظام الأسد وبقائه في السلطة. وحتى الآن ترى العديد من الدول، أن مستوى التهديد للأمن الإقليمي العربي بسبب ممارسات النظام قائمة، إذ أصبحت شحنات المواد المخدرة تتدفق أكثر من أي وقت مضى نحو دول الخليج العربي.

وترى الدوحة أن المخرج من المأزق الحالي، لن يكون إلا بحل سياسي في سوريا في أقرب فرصة، وهذا لن يكون إلا بمشاركة جميع السوريين.

وتقف قطر صخرة في وجه المناورات الروسية لتجميل وجه النظام السوري تصطدم بها جهود الإدارة الروسية عبر استخدام حزمة من الدول العربية الحليفة لها ورقة ضغط دبلوماسية وسياسية لإعادة الحديث العربي–العربي حول ضرورة إعادة النظام السوري إلى جامعة الدول العربية. وإن كانت موسكو تلوح بورقة الصفقات الاقتصادية تارة والعسكرية تارة أخرى لإغراء بعض الدول العربية الحليفة للولايات المتحدة الأمريكية بإحداث نقلة في طبيعة العلاقات مع دمشق.

وتستغل روسيا تأرجح الموقف الأمريكي، وتبعثر القرار العربي وغياب التأثير الأوروبي لإحداث ممشى لمخططها السياسي الرامي لصبغ النظام بـ «الشرعية» عبر إعادة المقعد السوري في الجامعة للأسد، إلا أن الهندسة الدبلوماسية الروسية اصطدمت بمواقف عربية وإقليمية لدول حسمت قراراتها ورفعت فيتو نافذ سيكون من شأنه إحباط ذلك المشروع، تزامنًا مع فرز الدول مجدداً إلى معسكرات حول طبيعة الحل في سوريا، وسط تراجع بعض الدول العربية عدة خطوات للوراء.

تباعدٌ في مواقف البلدان المغاربية من عودة سوريا إلى الجامعة العربية ومساهمة في تعميق الأزمة

رشيد خشانة

تباعدت المواقف المغاربية من عودة سوريا إلى الجامعة العربية، بين مُتحمس بل مشارك في طبخ العودة (الجزائر) ورافض أو متحفظ (المغرب) علما أن هذه المواقف لم تبق جامدة، بل تطورت تفاعلا مع المبادرات الآتية من السعودية ومصر والإمارات لتسريع العودة. وكان الزلزال الذي ضرب سوريا وتركيا، مناسبة للرئيس الجزائري عبد المجيد تبون لكسر الجليد في العلاقات الثنائية، الذي استمر أكثر من عشر سنوات، لإجراء أول اتصال هاتفي مع نظيره بشار الأسد، والتعبير عن تعازيه في ضحايا الزلزال. وكانت الجزائر من الداعين لعودة سوريا إلى المؤسسات العربية منذ فترة بعيدة، إلا أنها ما كانت قادرة على تزعُّم مسار المصالحة، الذي قدرت السعودية على إطلاقه، بمعية مصر والإمارات. في هذا المناخ أتت زيارة بشار الأسد إلى كل من الإمارات وعُمان لتشكل خرقا للقرارات العربية السابقة، ولكي تضع ملف مقاطعة سوريا على الرف. وبعدما كانت رؤية وزير الخارجية السوري فيصل المقداد مجتمعا مع نظيره السعودي فيصل بن فرحان بن عبد الله حدثا خارقا قبل بضعة أشهر، شاهدنا على الشاشات المقداد في الرياض، وهو يحظى بكثير من الحفاوة من السعوديين، مُعبدا الطريق من هناك للقيام بزيارات مماثلة إلى دول عربية أخرى.

وإذا كانت السعودية أضفت على المصالحة مع الأسد بُعدا إقليميا من خلال «الاتفاق التاريخي» الذي سبقه بين الرياض وطهران، والتي تعد الحليف الرئيسي لبشار الأسد، ما كان ذلك مُتاحا للجزائر، التي لا تُضمر ودا لحكام إيران. مع ذلك لم تتوان عن تنشيط العلاقات مع دمشق في الآونة الأخيرة، لا بل باتت تحْض على المصالحة مع النظام السوري. وبرز هذا المنحى الجديد بشكل جلي في دعوة الدول العربية إلى إعادة نظام الأسد إلى مقعد سوريا في الجامعة العربية، بعد اللغط الذي أثارته الدعوات إلى تعليق عضوية سوريا والجلوس المعارضة في مقعدها. كما اعتُبر تشكيل مجلس الأعمال السوري–الجزائري خطوة مهمة على طريق تطبيع العلاقات، بهدف تطوير التعاون الاقتصادي بين البلدين، في كل المجالات التجارية والصناعية والسياحية.

ويجوز القول إن التقارب الجزائري السوري كان متوقعا، لأن المسؤولين الجزائريين يعتقدون أن رياح التمرد المسلح الذي قادته «الجبهة الاسلامية للإنقاذ» في تسعينات القرن الماضي، في الجزائر، والذي يوصف بـ«العشرية السوداء» كان المقدمة لما حدث في سوريا لاحقا، حسب الوزير فيصل المقداد، في تصريحات أدلى بها لإحدى القنوات التلفزيونية الجزائرية. وأكد في هذا الحوار أن مواقف الجزائر كانت واضحة وثابتة من الأحداث التي عرفتها سوريا طيلة العشرية الأخيرة، وأن الدولتين كانتا تُقاتلان نفس الأعداء.

كرس اجتماع وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي، الخاص بسوريا في جدة، بمشاركة مصر والعراق والأردن، فتح باب التطبيع السوري العربي على مصراعيه، إذ كان الهدف من الاجتماع تذليل الخلافات الخليجية حول سوريا قدر الإمكان. وانعقد الاجتماع، الذي لم يحضره أكثر من عشرة أعضاء في الجامعة، قبل شهر من استضافة الرياض القمة العربية المقبلة، التي ستبتُّ في مسألة عودة سوريا إلى جامعة الدول العربية، بعد تعليق عضويتها منذ العام 2012.

واللافت في هذا المجال أن تونس التي كانت آنذاك خلف اعتماد قرار تعليق العضوية، بتشجيع من دول خليجية، هي اليوم من أول المبادرين إلى المصالحة مع دمشق، إذ أعادت فتح سفارتها لدى سوريا وعينت سفيرا جديدا في دمشق، واستقبلت وزير الخارجية السوري فيصل المقداد، في ثاني زيارة مغاربية له بعد الجزائر. ومن الواضح أن الموقف التونسي شكل استدارة بـ180 درجة في هذا الملف، إذ أن الحكومة التي كانت تقودها «حركة النهضة» في 2012 هي التي دعت إلى «مؤتمر أصدقاء سوريا» الذي مهد لفرض عقوبات على النظام السوري، وعزله عربيا ودوليا. وتُعزى استضافة المؤتمر إلى أن الحكومة التونسية «النهضوية» آنذاك، كانت منخرطة في حلف إقليمي ودولي برعاية أمريكا وفرنسا وتركيا، جعل من تنظيمات الإسلام السياسي قادة المرحلة، بعد الإطاحة بن علي في تونس ومبارك في مصر والقذافي في ليبيا. والملاحظ أن الرئيس الفرنسي آنذاك نيكولا ساركوزي هو أول من اقترح تشكيل «مجموعة أصدقاء سوريا» لدعم الانتفاضة التي استهدفت الإطاحة ببشار الأسد.

وشارك في المؤتمر، الذي عُقد يوم 24 شباط/فبراير 2012 أكثر من سبعين دولة ومنظمة دولية، وحضرته وزيرة الخارجية الأمريكية وقتذاك هيلاري كلينتون، وشخصيات أخرى من بينها وزير الخارجية السابقة مادلين أولبرايت. وخُتم المؤتمر بإعلان يدعو الحكومة السورية إلى إنهاء العنف ووقف إطلاق النار والسماح بدخول المساعدات الإنسانية لأكثر المناطق تضررا من الحرب في سوريا، وفرض مزيد من العقوبات على أركان النظام، مثل حظر السفر على المسؤولين وتجميد أرصدتهم، ووقف التعامل التجاري في مجال النفط وتخفيض مستوى التمثيل الدبلوماسي. لكن الخطوة التي أزعجت النظام السوري أكثر من سواها، هي الاعتراف بـ«المجلس الوطني السوري» المعارض ممثلا وحيدا للشعب السوري. وفي السياق قطعت تونس علاقاتها الدبلوماسية مع دمشق وطردت السفير السوري، وحذت حذوها عدة دول عربية، من بينها السعودية والمغرب. وبعد اعتلاء الرئيس الراحل الباجي قائد السبسي سدة الرئاسة في تونس العام 2014 لم يكن موافقا على التعاطي بتلك الطريقة مع النظام السوري، لكنه لم يستطع تغيير الموقف التونسي، لأنه كان مُكبلا بتحالف يجمعُ بين حزبه «نداء تونس» و«حركة النهضة». وكان قائد السبسي ميالا للدول المعتدلة، التي بدأت تُظهر في السنوات الأخيرة رغبتها بمراجعة المقاطعة العربية لسوريا.

إقبال على القتال في سوريا

ما كان يُغضب السوريين أكثر من المقاطعة الدبلوماسية، هو تدفقُ عناصر تونسية متشددة على سوريا، عن طريق ليبيا وتركيا، لدعم الانتفاضة في الداخل بتنفيذ عمليات إرهابية. وتمركزت تلك العناصر وهي تُعد بالآلاف، في الشمال السوري، وحصلت على أسلحة متطورة من أمريكا ودول عربية، عن طريق تركيا، وأقامت ما قالت إنه «نظام الخلافة». وعُرفت تلك الميليشيات بارتكابها جرائم عدة وثقتها المنظمات الإنسانية العربية والدولية.

والثابت أن التونسيين لعبوا دورا مهما في تنظيم «الدولة الاسلامية في العراق والشام» (داعش) ليس فقط في المجال العسكري، وإنما أيضا في الإدارة المالية والتوجيه العقائدي. لكن حضورهم تقلص في سوريا، بعد مقتل زعيم التنظيم أبو بكر البغدادي في تشرين الأول/أكتوبر 2019. وعادت أسر البعض منهم إلى تونس حيث تثير طريقة التعاطي مع أفرادها جدلا مفتوحا في وسائل الإعلام المحلية. من هنا فإن المسألة السورية صارت بمثابة خط الفصل في تونس بين الداعين إلى محاكمة من سفروا الشباب إلى سوريا، ومن بينهم رئيس الجمهورية قيس سعيد، ومن يُبررون ذلك، ويُدافعون عنه.

أما المغرب فبالرغم من «الاتفاق التاريخي» على تطبيع العلاقات بين السعودية وسوريا، فإنه لم يتزحزح عن قراره بقطع علاقاته الدبلوماسية مع دمشق في العام 2012. والأرجح أن ذلك سيتم خلال القمة العربية المقبلة في الرياض بوساطة سعودية، باعتبار أن المصالحة بين الرباط ودمشق هي إحدى تداعيات التغييرات المتسارعة، التي طرأت على النظام الإقليمي العربي، في الآونة الأخيرة. وتوقع الدكتور إدريس لكريني، أستاذ العلوم السياسية في جامعة القاضي عياض في مراكش، أن يُعلن المغرب استئناف العلاقات الدبلوماسية مع سوريا في القمة العربية، انسجاما مع الموقف العام من هذه المسألة. إلا أن لكريني رجح أيضا في حوار أجرته معه الصحيفة الإلكترونية المغربية «هسبريس» أن يربط المغرب إقدامه على استئناف العلاقات، «بالموقف السوري من قضية الوحدة الترابية» أي قضية الصحراء. وبالنظر لحدة الخلافات بين الجزائر والمغرب، رأى بعض المحللين أن الموقف المغربي المتباطئ في التطبيع مع دمشق، هو امتدادٌ للمناكفات المستمرة مع الجزائر، في جميع الملفات الإقليمية والدولية.

ويختلف موقف موريتانيا عن شقيقاتها المغاربيات، فهي لم تقطع العلاقات الدبلوماسية مع سوريا في 2012 أسوة بباقي البلدان الأعضاء في الجامعة، وظل السفير السوري يعمل من نواكشوط، والعلم السوري مُرفرفا في سماء العاصمة الموريتانية. وأتى هذا الموقف استجابة لضغوط من أحزاب وجمعيات ذات منحى عروبي. أكثر من ذلك تعددت زيارات المسؤولين الموريتانيين إلى دمشق للتعبير عن دعمهم للنظام، بمن فيهم وفد برلماني موريتاني زار سوريا في تشرين الأول/اكتوبر الماضي، وأشاد رئيسه بـ«صمود سوريا».

ومن مفارقات السياسة الموريتانية أنها تحافظ على علاقات متينة مع سوريا الأسد، وتفتح أراضيها الشمالية في الوقت نفسه، لإجراء المناورات السنوية لقوات أربع وثلاثين دولة، بإشراف القيادة الأمريكية لأفريقيا، المعروفة بـ«أفريكوم». من هنا فالمؤكد أن موريتانيا ستؤيد دعوة القمة العربية في الرياض إلى المصالحة مع سوريا، كونها لم تلتزم أصلا الخطوة السابقة، أي القطيعة، قبل اثني عشر عاما.

سوريتان في ليبيا

في ليبيا يتعاطى السياسيون مع سوريتين، إن صحت التثنية، فهناك سوريا الأسد، التي تحظى بدعم الحكومات الليبية المعترف بها دوليا، وفي الجانب الآخر سوريا التي ترسل المرتزقة لدعم قوات اللواء المتقاعد خليفة حفتر. ولوحظ أن الأتراك، الذين أنقذوا حكومة فائز السراج من السقوط في العام 2019 اكتفوا بإرسال مدربين وخبراء عسكريين أتراك إلى طرابلس، إلى جانب ميليشيات سورية جندها حفتر للقتال في صفوف قواته. وتُقدر الباحثة الفرنسية ماري فردبي عدد المرتزقة السوريين في غرب ليبيا بـ3500 عنصر. أما في المنطقة الشرقية التي يسيطر عليها حفتر، فتقدر فردبي أعداد المرتزقة بـ7000 عنصر بينهم روسٌ وسوريون وسودانيون وتشاديون. وتقدر الأمم المتحدة العدد الإجمالي للمرتزقة في ليبيا بـ20000 عنصر، فيما يعتقد الباحث جلال حرشاوي أن العدد لا يتجاوز 10000 مرتزق.

على أساس هذه الخلفية بدا المغرب العربي طرفا فعالا في الصراع الإقليمي على سوريا، سلبا وإيجابا، إلا أنه ساهم في تعميق الأزمة اعتبارا من استضافة تونس مؤتمر «أصدقاء سوريا» وإرسال آلاف المقاتلين التونسيين إلى مناطق الحرب، حيث تقلص دورهم بعد مقتل أبي بكر البغدادي.

السيسي والأسد: علاقات في العلن

القاهرة ـ«القدس العربي»: تامر هنداوي

حافظ نظام الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي خلال الأعوام العشرة الماضية على استمرار العلاقات مع نظام الرئيس السوري بشار الأسد، رغم قرار القاهرة قطع العلاقات الدبلوماسية في حزيران/يونيو 2013 في عهد الرئيس المصري الأسبق محمد مرسي.

السيسي، ومنذ وصوله للحكم صيف 2014 تبنى أهمية إيجاد حل سياسي للأزمة السورية وعدم المساس بالجيش الوطني السوري، كما تبنى العمل على عودة سوريا إلى الجامعة العربية بعيدا عن الحديث عن مصير الأسد.

تواصل التنسيق الأمني بين القاهرة ودمشق، وتعددت اللقاءات بين مسؤولي الأجهزة الأمنية في البلدين، وإن ظلت كل اللقاءات غير معلنة، إلى أن كشفت القاهرة في كانون الأول/ديسمبر 2018 عن لقاء جمع رئيس المخابرات العامة المصرية، اللواء عباس كامل، واللواء علي المملوك رئيس مكتب الأمن الوطني في النظام السوري، حيث بحثا قضايا أمنية وسياسية وسبل مكافحة الإرهاب.

ولعبت القاهرة دورا في إنجاز اتفاقيات تهدئة في الداخل السوري بالتنسيق مع روسيا (الداعمة للأسد) عام 2017 وسط تطلع للمشاركة في إعادة إعمار سوريا.

ظلت علاقات القاهرة ودمشق على المستوى الأمني لسنوات، إذ اعتبر نظام السيسي أن سوريا تخوض معركة ضد الإرهاب وحال سقوط النظام فإن الدعم الذي يتلقاه كثير من المسلحين الإسلاميين سيتوجه إلى شبه جزيرة سيناء.

وشهد العام الجاري ولأول مرة منذ 10 سنوات تبادل الزيارات الدبلوماسية بين البلدين.

وتحت عنوان الدعم في مواجهة آثار الزلزال الذي شهدته كلا من سوريا وتركيا، استقبل الرئيس السوري، بشار الأسد، وزير الخارجية المصري، سامح شكري، الاثنين، في أول زيارة لدبلوماسي مصري رفيع المستوى إلى دمشق منذ بدء الحرب الأهلية في 2011.

وأعرب الأسد عن شكره لمصر لما قدمته من مساعدات لدعم جهود الحكومة السورية في إغاثة المتضررين من الزلزال.

وأكد الأسد أن سوريا حريصة أيضا على العلاقات التي تربطها مع مصر، واعتبر أن العمل لتحسين العلاقات بين الدول العربية بشكل ثنائي هو الأساس لتحسين الوضع العربي بشكل عام.

وزير الخارجية المصري قال خلال مؤتمر صحافي في دمشق أن الهدف من الزيارة «إنساني بالدرجة الأولى ونقل تضامننا، من قيادة وحكومة وشعب مصر إلى الشعب السوري» ولم يرد شكري على أسئلة الصحافيين عما إذا كانت مصر ستدعم رفع تعليق عضوية سوريا في الجامعة العربية.

ووصفت وكالة الأنباء السورية الرسمية «سانا» الزيارة بأنها تظهر «التضامن مع سوريا في مواجهة تداعيات الزلزال» مضيفة أن وزير الخارجية السورية، فيصل المقداد، كان في استقبال نظيره المصري في مطار دمشق.

وقال المقداد: «عندما يأتي وزير خارجية مصر إلى دمشق، يأتي إلى بيته وشعبه وبلده» لافتا إلى أن لقاء شكري مع الأسد تركز على آثار الزلزال، إضافة إلى العلاقات التاريخية التي تربط البلدين الشقيقين، حسب «سانا».

وتحدث شكري عن أن العلاقات التي تربط الشعبين المصري والسوري أخوية قوية وراسخة، قائلا: مصر متضامنة مع سوريا وتدعمها بمواجهة التحديات التي تواجه شعبها، معربا عن أمل بلاده بأن تتجاوز سوريا الآثار المترتبة على الزلزال بأسرع وقت.

زيارة شكري إلى دمشق، مهدت إلى زيارة وزير الخارجية السوري فيصل المقداد إلى القاهرة.

وحسب المتحدث الرسمي باسم الخارجية المصرية أحمد أبو زيد فإن محادثات الوزيرين «تناولت مختلف جوانب العلاقات الثنائية وسبل دفعها وتعزيزها، بالإضافة إلى عدد من الملفات الإقليمية والدولية ذات الاهتمام المشترك».

وأكد المتحدث باسم الخارجية أنه «على ضوء ما يربط بين البلدين من صلات أخوة وروابط تاريخية، وما تقتضيه المصلحة العربية المشتركة من تضامن وتكاتف الأشقاء في مواجهة التحديات الإقليمية والدولية المتزايدة، فقد تناولت المباحثات سبل مساعدة الشعب السوري على استعادة وحدته وسيادته على كامل أراضيه» فضلا عن «جهود تحقيق التسوية السياسية الشاملة للأزمة السورية».

وكانت الجامعة العربية، التي تتخذ من القاهرة مقرا لها، علقت عضوية سوريا عام 2011 وسحبت دول عربية كثيرة مبعوثيها من دمشق.

إلى ذلك أصدرت وزارة الهجرة المصرية، في 15 نيسان/ابريل الجاري، قراراً يمنح تسهيلات جديدة للسوريين بخصوص القدوم إلى مصر.

وينص القرار على السماح للسوريين من حاملي تأشيرات دخول سارية ومستخدمة لدول (الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، كندا، أستراليا، نيوزيلندا، اليابان، منطقة شنغن، ودول مجلس التعاون الخليجي) بالدخول إلى مصر بتأشيرة اضطرارية.

وأوضح القرار أنه يمكن الحصول على هذه التأشيرة الاضطرارية من مطار القاهرة الدولي أو أي منافذ حدودية سواء برية، جوية، أو بحرية لجمهورية مصر العربية.

وأكد القرار أن التأشيرة الاضطرارية تمنحك الدخول إلى مصر دون مرافقين، على أن يتم تقييم هذه الضوابط الجديدة عقب مرور 6 أشهر من تاريخ تطبيقها.

ووفق أحدث إحصائية لأعداد اللاجئين السوريين المسجلين لدى المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين والصادرة في كانون الثاني/يناير الماضي، شكّل السوريون ما يقارب نصف أعداد اللاجئين في مصر، إذ بلغ عددهم 137.599 بصفة لاجئ من مجموع 273.152.

بعد سنوات من التنسيق الأمني

السنة الخامسة والثلاثون العدد 10970 الأحد 30 نيسان (أبريل) 2023 – 10 شوال 1444 هـ

التطبيع العربي والحرب السورية المؤجّلة

وسام سعادة

تنطلق حجّة التطبيع الرسميّ العربيّ مع النظام السوريّ من ملاحظة واقعيّة، وهي أنّ الاستمرار في عزل هذا النظام عربياً وغربياً لا يؤدي في ظل تقاطع الأوضاع القائمة في السنوات الأخيرة وإلى أجل غير محدّد لسنوات إلى الأمام، لا إلى إبدال هذا النظام بآخر، ولا إلى الاضعاف من النفوذ الإيراني في كل من سوريا ولبنان، ناهيك عن العراق، كما أنه من غير الممكن وضع تصورات استشرافية لآلية حل النزاعات وخفض التوترات في المنطقة العربية من الشرق الأوسط على قاعدة الاستمرار في سياسة العزل ليس إلا وليس أكثر.

يضاف إلى هذه الملاحظة الواقعية بعدٌ آخر، وهو أن النظام السوري ليست له سمة أيديولوجية من نوع «تصدير ثورة»، ما، على غرار النموذج الخميني الإيراني. هذا بالرغم من أنّه قد تحوّل منذ رحيل حافظ الأسد وانسداد المسار السوري من عملية السلام، أكثر فأكثر إلى التعكيز على التحالف مع إيران.

ولئن كانت رؤى وأدوات النظامين الإيراني والسوري متضاربة بعد 2003 – ولسنوات – فيما تعلق بالعراق، فإن الأمور سارت، وخاصة بعد الانسحاب السوري من لبنان 2005 في إثر صدور القرار 1559 ثم اغتيال رئيس الحكومة الأسبق رفيق الحريري، إلى الاحتياج أكثر فأكثر إلى الحليف الإيراني.

ولم تجد كذلك الأمر التماريين الأمريكية والفرنسية نفعاً، لجهة التبديل من سلوكيات النظام السوري، وبشكل أساسي تعديل مسلكه «الفنائي» في المنظومة الإقليمية التي تقودها إيران، وقد وصلت تمارين تغيير السلوك حدّ إشراك بشار الأسد في عيد الثورة الفرنسية يوم 14 تموز/يوليو 2008 جنباً إلى جنب مع نيكولا ساركوزي، في مفارقة صارخة ومستغزة لذاكرة ذلك اليوم الذي شهد سقوط سجن الباستيل، إنما في اعتراف مكبوت أيضاً إلى أن الديكتاتورية السورية هي وريثة تجربة الجنرالات الفرنسيين أيام استعمارهم لسوريا.

لم يسمح شيء من هذا بتعكير صفو التحالف الإيراني السوري، ولا حتى إلى تحسين شروط النظام السوري ضمن هذا التحالف، حيث زادت أحواله فيه تبعية.

كذلك، التعويل التركي على تنمية العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلدين الجارين في مرحلة رجب طيب اردوغان، والصفح السعودي السريع عن بشار الأسد بعد اغتيال الحريري، خاصة بعد رحيل الملك فهد بن عبد العزيز (1 أغسطس 2005) ومن ثم الضغط السعودي على مكونات 14 آذار اللبنانية «لترشيد» عداوتها مع نظام دمشق، وتوجيب تطبيع سعد الحريري بعد ترؤسه للحكومة مع بشار الأسد، بل والميت عنده، بعد سنوات من الانتهام السياسي الموجه من آل الحريري وتيارهم وقوى 14 آذار للرئيس السوري بأنه من أعطى الأمر بتصفية الحريري الأب. كل هذا لم ينفع في «استرداد» النظام السوري من الحلف الانقيادي وراء إيران، ومن إعادته إلى مرحلة التوفيق بين علاقته مع الجمهورية الإسلامية وبين علاقته مع السعودية والخليج أيام حافظ الأسد.

حتى إذا انتقلت شرارة الربيع العربي إلى سوريا في آذار/مارس 2011، وجدت كل من تركيا والسعودية أنه لم يعد من الممكن الاستمرار في السياسة نفسها، وكذلك وجدت الولايات المتحدة أن الرهان على التعديل في سلوكيات الرئيس السوري ونظامه خائب.

في المقابل، ظهر أن الرهان على انهيار النظام السوري لم يطلح هو الآخر. بعكس الحال في تونس ومصر وليبيا واليمن لم يتمكن السوريون من خلع «رئيسهم». هذا قبل أن يظهر أن هذا الاستثناء السوري نسبي هو الآخر. ففي مصر وتونس وأجزاء من ليبيا، ظهر أن النظام نفسه لم يتبدّد بعد أن أطيح برأسه. المفارقة أن ثمة من أخذ يطرح هنا وهناك المعادلة بالمقلوب: هل يمكن، في سوريا، الإبقاء على الرأس مع إبدال النظام؟ ثم، وفي محاولة للتخفيف بعض الشيء من فانتازيا السؤال: هل بقي النظام بالفعل؟ ثم أن بشار الأسد هو رئيس لنظام منحسر ينساب بين النفوذين الروسي والإيراني في سوريا، فضلا عن لا مركزية أمنية محلية ضمنية مستمدة من الوضع الجديد؟

ظهر في المقابل أن النفوذ العسكري الروسي وحده هو الذي نجح في الحد من تبعية نظام آل الأسد لإيران، وفي إدخال سوريا في وضعية بالغة التركيب حتى بعد أفول موجة «الثورة السورية». فالشرطة العسكرية الروسية لها الكلمة في مناطق عديدة ما أن تخرج من دمشق. وللحرس الثوري الإيراني مناطق نفوذه. والضيق والتبرم من البث الأيديولوجي الديني الدائر في فلك هذا الحرس وملحقاته العراقية واللبنانية والسورية المحلية يتشارك فيه السنّة والعلويون.

أما المنطقة الخاضعة للفرع السوري من «حزب العمال الكردستاني» ألد أعداء تركيا في برّ الأناضول، فلا تزال تشمل ربع مساحة سوريا، وتشمل مناطق ليست فقط كردية بل عربية أيضاً. وكل من واشنطن وموسكو غير مقتنعين بوجهة النظر التركية حيال «روجافا» هذه وكيفية التعامل معها. وكل سنة تمرّ تعطي لهذا الكيان مادة أقوى للبقاء، بحيث تصعب عملية ازالته بعد ذلك كان شيئا لم يكن. والحال أن أكراد العراق وسوريا تمكنوا في مطلع هذا القرن من تحقيق ما كان يبدو صعب المنال في القرن الماضي. كيانية كردستانية شمال عراقية، لها حد أدنى من المواثيق الضامنة لها، ولو أنها كيانية لا تزال تنظر إلى عاصمتها المرغوبة على أنها خارجها، وهي كركوك ونفطها. وكيانية كردية شمال شرق سوريا، لا تنحصر بالمنطقة الكردية فقط، بل تشمل الحسكة.

ولئن كانت تركيا تفرض نفوذاً شبه مباشر في بعض المناطق الملاصقة لحدودها، ربطا بمشكلتها المستدامة مع الحركة الثورية الكردية، فإن المنطقة التي تسيطر عليها الفصائل الإسلامية المنبثقة من – أو على – أنقاض الثورة السورية، في ريفي شمال حلب وإدلب على حالها منذ قراية خمس سنوات، تكاد لا تزيد أو تنقص. هذه المنطقة طرفية بامتياز إذا قيست المسافة من دمشق، لكن عشرات آلاف المقاتلين الموجودين فيها من مختلف الفصائل هم على مسافة عشرات الكيلومترات في نهاية المطاف من كل من حلب واللاذقية، ويصعب أن يتطبع النظام الأسدي مع استمرار هذه المعادلة.

فلئن قلنا مثلا أن تبدلا طرأ في الحرب السورية عام 2016 لجهة الترجيح الروسي لكفة النظام، وأن الحرب نفسها باتت أشبه بالمعلقة منذ عام 2018، أو أقله خفتت وتيرتها، فإن الزمن يمضي ومعه مجموعة من الأوضاع المؤقتة – يفترض – انما الذي كلما طال الوقت بها غدت عملية نفضها أصعب من قبل.

والحال أن التطبيع العربي الرسمي مع النظام السوري تبدأ مشكلته من هنا. فهذا التطبيع ينطلق من نظرة واقعية ليصطدم من ثم بما هو غير واقعي من أمور بمجرد طرحه سؤال ما الذي يمكن عمله من بعد التصريح عن هذه النظرة الواقعية.

لنشرح. هناك مجموعة من الأوضاع القائمة لم تعد تسمح بابقاء النظام الرسمي العربي على سياسة عزل النظام السوري. أولها أن هذا النظام الرسمي العربي لا يتعرف على الديمقراطية من قريب أو من بعيد كي تكون هذه هي مشكلته مع نظام دمشق. وثانيها أن النظام السوري ليس من طبيعة ثورية تريد تصدير عقيدتها إلى بقية البلدان. وثالثها ان المصالحة مع إيران بدأت، بإشراف صيني، فما تكون الحجة حينها للاستمرار في معاداة نظام دمشق؟ الستاتيكو الحالي لا يسمح أساسا ببناء السياسات كما لو ان هذا النظام آيل للسقوط. في الوقت نفسه، هو في موقع الرابح، قياسا على انهزام القوى التي خرجت تقاتله. لكن الأسد لم يخرج من الحرب السورية مظفراً بالشكل الذي خرج فيه الجنرال فرانكو من الحرب الأهلية الإسبانية. فرانكو قمع الجمهوريين بالحديد والنار، لكنه استطاع من ثم إطلاق عملية تصنيعية للبلاد، وتمكن من نقل البندقية من تحالفه مع المحور الألماني الإيطالي إلى تحالفه مع الولايات المتحدة في زمن الحرب الباردة. بشار الأسد ليس أبدا في هذه الخانة. ربح حرباً جُمّدت جبهاتها ولكنها لم تنته. أي محاولة لمعالجة أي من الملفات العالقة وكل ما في سوريا ملفات عالقة من شأنه استئناف الحرب من جديد. فهل يمكن معالجة موضوع روجافا من دون حرب؟ وهذه ما يكون شكلها؟ انقضاضا تركيا وسوريا رسميا وسوريا «ثوريا» على روجافا؟ وهل يمكن معالجة موضوع منطقة سيطرة النظام في ريفي حلب وإدلب من دون حرب؟ وهذه ما يكون شكلها؟ انقضاضا سوريا وروسيا وكرديا وتخليا تركيا عن هذه المنطقة؟ هل يمكن السير جديا بإعادة إعمار سوريا فيما أكثر من ثلث مساحة البلد لا تخضع بأي شكل للدولة السورية؟ والثلثان الباقيان يخضعان لأحوال مختلفة ومتقلبة من منطقة إلى أخرى؟ ومسألة اللاجئين السوريين تأخذ طابعا متوترا ان في تركيا أو في لبنان؟

هناك ميل في العامين الماضيين لفك الترابط بين مسارات إعادة إعمار سوريا، والعملية السياسية فيها، وعودة اللاجئين إليها. والتطبيع العربي الرسمي المنطلق من ملاحظة واقعية للأوضاع القائمة يتحول إلى نفيض للواقعية حين يساهم هو الآخر في فك الترابط بين هذه المسارات الثلاثة. المطب هنا أنه كلما جرى الابتعاد عن الربط بين مسارات العملية السياسية الداخلية، إعادة الإعمار، عودة اللاجئين، كلما آل الوضع إلى أن الأنظمة تقول لنظام دمشق «لم يعد لنا مشكلة معك، لكن ليس عندنا ما نقدمه لك» إلى أن تبدل أمريكا سياستها تجاهك. هي الآن لا تقف حجر عثرة دون انفتاحنا عليك، لكن انفتاحنا عليك لا يعني انها بصدد الانفتاح عليك هي الأخرى. أساسا الولايات المتحدة، وحتى إشعار آخر، تكاد تكون سياستها الخارجية محصورة في موضوعين اثنين: مساعدة أوكرانيا في الحرب، وتنبيه الصين من مغبة الاستفادة من الاستغراق الغربي في الحرب الروسية الأوكرانية لتعديل ستاتيكو تايوان ومنطقة بحر الصين الجنوبي بشكل عام. في هذه الغضون، ليس للولايات المتحدة أي سياسة شرق أوسطية متكاملة في الوقت الحالي. تتكل فقط على تخبط بلدان المنطقة بمشكلاتها المستعصية والمتفاقمة، وتخبطها بعد أكثر بمحاولات الخروج من هذه المشكلات دون امتلاك شروط ذلك. ويدخل التطبيع العربي مع نظام دمشق ضمن هذه الخانة. يمكن للدول العربية تطبيع علاقتها مع هذا النظام، انما لا يمكنها «احياؤه» ليعود كما كان عليه عام 2011. فكيف إذا كان هناك، بصدد لبنان تحديدا، من لا يزال يمني النفس بإعادته إلى ما قبل 2005؟ في سوريا حرب معلّقة لم تنته بعد، وأي محاولة غير متمكنة من شروطها لمعالجة أي من الملفات العالقة يمكنها أن تفجر مرحلة جديدة من الحرب.

Volume 35 - Issue 10970 Sunday 30 April 2023

الطريق إلى دمشق: عندما يستبدل هدف الإطاحة بالأسد إلى عودة للحظيرة وواقعية سياسية

إبراهيم درويش

يمكن اعتبار هذا العام هو عام الإشارات المتناقضة ومحاولات العرب البحث عن إجماع بشأن إعادة سوريا للحظيرة العربية بعد سنوات من عزلة نظام بشار الأسد عن سياقه العربي، نظرا للمعاملة القاسية التي مارسها ضد المتظاهرين السلميين الذين طالبوا مثل بقية الجماهير العربية بالحرية والكرامة الاجتماعية ليقابلوا بالدبابات والرصاص والسجن والتشريد.

ومنذ بداية الانتفاضة التي تحولت إلى حرب أهلية لم يبق من سوريا إلا بقاياها أو ما يحب بشار الأسد إطلاق عليها «سوريا المفيدة» التي استطاع بدعم من الميليشيات المدعومة من إيران والطيران الروسي استعادتها من المعارضين الذين أجبرهم قمع النظام على حمل السلاح.

وسوريا المفيدة هذه مثقلة بالعقوبات وتحولت إلى «جمهورية مخدرات» باتت مصدر مادة امفيتامين أو كبتاغون التي غمرت الأسواق في العالم العربي، خاصة الأردن والسعودية. ومن هنا نفهم سر المحاولات العربية «تطبيع» العلاقات مع نظام الأسد، فهي إما مدفوعة بتحولات إقليمية أو مصالح فردية، منع المخدرات واحد منها أو أنها محاولات تدعمها دول مثل روسيا التي حاولت الدفع بتطبيع العلاقات السورية– التركية، وسط تحول موضوع اللاجئين السوريين في تركيا إلى ورقة انتخابية ومحاولة للتأجيج ضد النظام الحاكم ونيل الأصوات.

بقاء النظام

وفي الحالة العربية، قال وزير الخارجية السعودي الأمير فيصل بن فرحان أثناء مشاركة له بمؤتمر ميونيخ للأمن هذا العام إن «الوضع الراهن» لم يعد قابلا للبقاء. وهناك شعور أن نظام الأسد قد انتصر في الحرب على المعارضة التي لقيت دعما من دول الجوار التي كانت تأمل بالإطاحة به، ومولت جماعات المعارضة ودفعت الولايات المتحدة لتدريب المقاتلين السوريين في مهمة أشرفت عليها المخابرات الأمريكية ولم تطل الجهود الأمريكية كثيرا، ولم تحقق نتيجة على الأرض، حيث تبنت لاحقا المقاتلين الأكراد الذين رأت فيهم حليفا جيدا لمكافحة تنظيم الدولة الإسلامية الذي سيطر على مناطق واسعة في سوريا والعراق. ولا بد من الإشارة أن دولا عربية أبقت طوال السنوات الماضية على وجود دبلوماسي في سوريا رغم طرد نظام دمشق من الجامعة العربية. وأضافت الهزة الأرضية التي ضربت كلا من تركيا وسوريا في 6 شباط/فبراير بعدا لهذه الجهود، فرغم أن الهزة ضربت مناطق خاضعة للمعارضة المسلحة شمال البلاد إلا أن نظام الأسد سارع لاستغلال الكارثة وأصر ورعاته على ضرورة مرور كل المساعدات الإنسانية من خلال المعابر الخاضعة لسيطرته. ولم تكن الجهود الدولية على نفس القاعدة التي حصلت في تركيا، واعترف منسق الجهود الإنسانية في الأمم المتحدة بالقصور في شمال سوريا، لكن الكارثة كانت فرصة للأسد للعودة إلى الأضواء حيث أصبح مركز اهتمام الدبلوماسيين والبعثات الإنسانية وسط اتهام المعارضة والمنظمات الحقوقية نظام الأسد باستخدام الكارثة لتبييض صفحته والعودة إلى المسرح الدولي. وأكدت الولايات المتحدة التي خففت بعضا من القيود وتسهيل المساعدات الإنسانية أن سياستها من النظام لم تتغير. لكن أحدا من الدول العربية ولا الغربية يتحدث اليوم عن إسقاط النظام أو تحقيق تسوية سياسية لا يكون الأسد طرفا فيها، فالجميع متفق ويشعر بالإحباط من أن التخلص من النظام لم يعد على الطاولة. ووسط التغير في أولويات دول المنطقة والاصطفاف الإقليمي ومحاولة دول الخليج التركيز على قضاياها الداخلية فهناك اتجاه نحو دمشق، حيث فتحت الإمارات الطريق إليها قبل عامين، واستقبل الأسد في أبو ظبي ومسقط هذا العام، وزار عدد من وزراء الخارجية العرب الأسد، من الإمارات والأردن ومصر وكان وزير الخارجية السعودية آخر القادمين إلى دمشق، حيث سبق هذه زيارة لوزير الخارجية السوري، فيصل مقداد إلى الرياض حيث تم الاتفاق على إعادة فتح القنصليات واستئناف الرحلات الجوية بين البلدين.

مقعد سوريا

وتأتي الجهود الأخيرة بعد التقارب السعودي– الإيراني الشهر الماضي برعاية صينية وغياب أمريكي عن هذه الجهود إلى جانب التحضير للقمة العربية المقررة الشهر المقبل في الرياض، وهناك تكهنات حول إعادة مقعد سوريا ودعوة النظام إن لم يكن الأسد لحضورها، مع أنه لم تصدر بعد بيانات حول هذا الأمر. ورغم الدفعة الخليجية باتجاه سوريا ومحاولات التطبيع إلا أن الإجماع العربي على سوريا لم يتحقق بعد، ففي تقرير لصحيفة «وول ستريت جورنال» (2023/4/12) أشار إلى ما أطلق عليه «نكسة» للجهود السعودية لإعادة سوريا إلى الحظيرة العربية، وأن هناك خمس دول أعضاء في الجامعة تعارض إعادة مقعد الجامعة لها. وقالت إن الجهود السعودية هي محاولة لإظهار نفوذ ولي العهد محمد بن سلمان في وقت يقوم فيه الخصوم بترتيب علاقاتهم مع دول مثل سوريا وتحاول فيه كل من الصين وروسيا تحدي التأثير الأمريكي بالمنطقة التي تعاني من اضطرابات. وتضفي عودة سوريا إلى الجامعة العربية أو تمت في القمة المقبلة «شرعية» على أي جهد لإعادة العلاقات مع النظام بعد عقد من نبذه واستبعاده. ورغم الزيارة غير المعلنة لمقداد إلى الرياض إلا أنها أول زيارة لدبلوماسي سوري كبير إلى السعودية منذ عقود، وهو ما يصلح على زيارة وزير الخارجية السعودية في 18نيسان/إبريل. إلا أن الزخم الدبلوماسي العربي قوبل بمعارضة خمس دول عربية على الأقل، منها الكويت والمغرب وقطر واليمن وحتى مصر التي أعادت العلاقات في الأشهر الماضية والحليف الأقوى للسعودية تدفع ضد الزخم. وتشترط هذه الدول على الأسد التحاور مع المعارضة السورية قبل اتخاذ قرار بإعادة المقعد في الجامعة العربية أو التطبيع مع نظامه، وهو ما يعطي كل السوريين صوتا في تحديد مستقبل بلادهم. وتظل عودة سوريا إلى الجامعة العربية رمزية بقدر ما هي تحول في المواقف بالمنطقة وتدفع به مصالح كل دولة. ولا تحتاج عودة سوريا إلا لأغلبية بسيطة كي تعود إلى الجامعة إلا أن اجماع الدول العربية هو ما تحتاجه سوريا كي تقوم من خلاله الدول الأعضاء بالضغط على المجتمع الدولي لرفع العقوبات عن سوريا. يشار إلى أن مسؤولين عربا تحدثوا عن مطالب لدمشق بقبول قوات عربية لحماية اللاجئين العائدين والحد من النشاطات غير المشروعة في إنتاج وتصدير المخدرات إلى جانب معارضة الوجود الإيراني وتأثيره على البلد. وتريد دول عربية من النظام مطالب تتعلق بالعلاقات الثنائية، فالمغرب يريد من دمشق وقف دعمه لجبهة البوليساريو التي تطالب باستقلال الصحراء الغربية. أما الحكومة المعترف بها دوليا في اليمن، فتعارض انضمام سوريا إلى الجامعة العربية مباشرة، رغم دعمها للسعودية، وذلك لموقف دمشق الداعم للحوثيين في اليمن وفي الوقت الذي تشجب فيه دول عربية معاملة الأسد لشعبه إلا أنها تعترف بفشل سياسة عزل النظام السوري والتي لم تعزز إلا إيران وتأثيرها عليه. وقال هؤلاء المسؤولون إنه لو استجابت سوريا للمطالب هذه، فإنها ستعبد الطريق، ليس لعودة سوريا إلى الجامعة العربية بل وستحصل على مساعدتها في المحافل الدولية والسياسات القاضية بفرض مزيد من العقوبات، من الولايات المتحدة أو الدول الأوروبية. وعلى العموم لم يظهر الأسد أي اهتمام بتغيير سياساته ومواقفه إلا أنه راغب بتحسين صورته وتسهم في وصول الدعم لإعادة بناء البلاد. وطلبت الولايات المتحدة والدول الأوروبية في لقاء مع الدول العربية ضرورة أن يكون لديها موقف منسق من حكومة الأسد. وتدعم الدول الغربية وقفا شاملا لإطلاق النار وممرات آمنة للاجئين والإفراج عن المعتقلين السياسيين. مع أن وزارة الخارجية أكدت قائلة: «موقفنا من التطبيع واضح جدا، ولن نطبع العلاقات مع نظام الأسد ولن ندعم الآخرين الذين يطبعون في غياب تقدم حقيقي باتجاه الحل السياسي» وفي الشهر الماضي أرسل مسؤولون سابقون وخبراء في الشأن السوري، رسالة إلى الرئيس بايدن، عبروا فيها عن رفضهم للمحاولات العربية لتطبيع العلاقات مع سوريا بدون إصلاحات سياسية. وقالوا إنها تتعارض مع أولويات الأمن القومي وحقوق الإنسان الأمريكي، كما ورد في تقرير لصحيفة «الفاردين» (2023/3/27).

مكسب إيراني

وأي تقارب عربي مع نظام الأسد الذي نبذ بسبب الدمار الذي أحدثه على سوريا، هو مكسب لإيران وروسيا حسبما يرى موقع «بلومبيرغ» (2023/4/5) سواء توسعت الجهود السعودية والخليجية أم فشلت، مع اعتراف الولايات المتحدة أنها لم تعد قادرة على الوقوف في وجه الجهود هذه. ورأى الموقع أن خلف الحراك السعودي محاولة من ولي العهد تقديم بلاده كزعيمة اقتصادية وسياسية للعالم العربي. وحتى لو وافقت الجامعة العربية على عودة سوريا من جديد، فسيكون القرار رمزيا، لأن الجامعة التي مضى على تأسيسها 80 عاما لا تؤثر على السياسة وليس لقراراتها وزن في صناعة القرارات العالمية. ومع ذلك ستكون المصالحة مع سوريا ضربة للتأثير الأمريكي في المنطقة وتعزز من الإنقسام بين القوى الإقليمية والولايات المتحدة. وستكون مكسبا لإيران التي دعمت نظام بشار الأسد بالمال والسلاح ضد المعارضة التي كانت تريد الإطاحة به وتقيم علاقات مع سوريا منذ 1979. وأشار التقرير ان كلا من قطر والكويت تعارضان عودة سوريا إلى الجامعة العربية، مع أن هناك شكوكا حول قدرتهما للوقوف أمام المد ولوقت طويل. وفي شهادة قدمها وزير الخارجية أنطوني بلينكن أمام الكونغرس في 23 آذار/مارس قال فيها إن واشنطن حذرت من خطوات التطبيع مع الأسد، وإنها مع دول أوروبية أخرى اقترحت في مؤتمر متعلق بسوريا عقد في الأردن وحضرته السعودية، قيام الأسد بخطوات مثل الإفراج عن السجناء والحد من ممارسات قواته الأمنية، مقابل التواصل والتطبيع معه. وحذر مسؤولون أمريكيون سابقون عملوا في الشرق الأوسط في رسالة لجو بايدن وبليكنن من خطوات التطبيع وضرورة اتخاذ الإدارة خطوات لمنعها فهي «ضيقة النظر ومضرة لأي أمل للأمن والاستقرار الإقليمي».

إلى أي مدى؟

ولكن هل تجدي جهود التطبيع العربي، وإلى ماذا ستؤدي؟ ففي مقال لكيم غطاس بصحيفة «فايننشال تايمز» (2023/4/26) علقت فيه على زيارة وزير الخارجية السعودي الأخيرة لدمشق الأسبوع الماضي قائلة إنها كانت بمثابة فرحة للأسد وشعور بالغضب وحس الخيانة من ملايين السوريين. وقالت إن المعلقين العرب الذين رحبوا بالسياسات السعودية على تويتر وفي الإعلام العربي، أبدوا صمتا بعد زيارة الأمير فيصل. لأن التحول السعودي كان من الصعب تسويقه. مذكرة أنه في 2012 وأثناء قمة أصدقاء سوريا في تونس، ضغط السعوديون على وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون لتسليح المعارضة السورية. وأخبر مسؤول بارز في الوفد السعودي الكاتبة في ذلك الوقت أن الأسد هو محتل ولا بد من الإطاحة به. وفي ذلك العام وصلت حصيلة القتلى للمعارضة السورية حوالي 10.000. ومنذ ذلك الوقت قتل نصف مليون سوري من الإمارات أولا ثم الأردن. ولوحظ غياب الولايات المتحدة من الجهود الدبلوماسية الأخيرة المتعلقة بسوريا. وهذا لا يعني أن الأسد قد يعود مرة إلى المسرح الدولي، لأن الثمن الأخلاقي للغرب سيكون باهظا. فالعقوبات الدولية المفروضة على النظام منذ سنين إلى جانب المحاكمات التي واجهت سوريين من حملة الجنسية المزدوجة في الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا تقف في طريق عودة الأسد الرسمية للمسرح الدولي. ويواجه مهندسون لنظام الاعتقال والتعذيب الوحشي، مثل مسؤول المخابرات علي مملوك تحقيقات واتهامات كما أوردت صحيفة «نيويورك تايمز» (2023/4/17) في تقرير لها عندما تحدثت عن تحقيقات اف بي آي في مقتل ناشطة سورية–أمريكية، ثم هناك قانون قيصر الذي مرره الكونغرس عام 2019 والذي فرض عقوبات واسعة على أعداد من الأفراد والكيانات بمن فيهم غير سوريين وأطرافا ثالثة. ونتيجة لهذا فأي مسؤول يرغب بالتعامل التجاري مع سوريا سيفكر مرتين. وفي ظل موجة التطبيع العربي، فإن حدود ما يمكن أن يحصل عليه هو زيارات وترحيب في بعض العواصم العربية، فرئيس السودان السابق عمر البشير الذي ظل يتحرك على الصعيد العربي ويحضر اجتماعات القمة العربية، بما فيها قمة عمان في 2017 مع أن الأردن من الموقعين على وثيقة روما. بل وزار البشير الأسد عام 2018 في دمشق. لكن هذه الزيارات لم تنقذ البشير ولا نظامه. وفي النهاية فما حصل عليه البشير هو ما سيحصل عليه الأسد. فالعقوبات ستظل قائمة على النظام السوري، كما ظلت على نظام البشير التي لم تشطب إلا بعد الإطاحة به في 2019. ورغم الخلل في عملية التحول الديمقراطي في السودان وحرب الجنرالين في شوارع الخرطوم، فما جرى هو درس مهم للشخصيات البارزة التي بدأت بشق طريقها نحو دمشق. لأن التنازل للطغاة، سواء قابعين في قصور رئاسية أو من أصحاب البزات العسكرية، بدون نفوذ، ردع أو محاسبة وصفة للفشل المأساوي.

المبادرة الأردنية نحو سوريا سبقت الجميع والدوافع اقتصادية

عمان ـ «القدس العربي»:
بسام البدارين

سرعان ما يمكن اعتبار الحراك الدبلوماسي الأردني النشط ضمن مبادرة إعادة سوريا إلى مقعدها في الجامعة العربية خطوة أو محطة باتجاه تحسين الشروط الاقتصادية للأردن ضمن خريطة الإقليم بعدما ثبت بالوجه القاطع بان الالتزام الأردني التفصيلي والشامل والكامل بالانخراط في الترتيبات الأمريكية الإقليمية في المنطقة نتجت عنه خسائر فادحة ليس على مستوى الدور والسياسة فقط، ولكن على المستوى الاقتصادي أيضا.

طوال الوقت يحاجج سياسيون كبار من بينهم رئيس الوزراء الأسبق طاهر المصري والبرلماني والوزير السابق المسيس الدكتور ممدوح العبادي بان الالتزام الحرفي بالانخراط في المخططات الأمريكية في المنطقة حرم الأردن وقيودا على أي حراك سياسي أردني في المساحة الإقليمية.

والواضح لمن يحاججون بهذا المنطق أن تلك القيود طالت إلى حد بعيد دولا في الجوار الإقليمي من بينها إيران وفي بعض الأحيان تركيا وارتبطت بلبنان أو في جزء منه.

ولاحقا والأهم في سوريا فقد نتج عن الالتزام الأردني بقانون قيصر الأمريكي خسائر فادحة على المستوى التجاري وفي مستوى البروتوكول الزراعي والتعاون الحدودي، وهي مسألة أدركها مبكرا صانع القرار الأردني وهو يذهب باتجاه خطوات افتتاح غير مسبوقة وفجأة مع السوريين بمجرد خلط أوراق قانون قيصر بسبب الزلزال الأردني. بكل حال قانون قيصر شكل مبكرا علامة فارقة في سجل الاقتصاد الأردني خصوصا وان الحكومة تعسفت وهي تلتزم بمتطلبات ومقتضيات قانون قيصر حيث قناعة بهامش صغير مرسوم بسبب المساعدات المالية الأمريكية التي تقارب مليار ونصف المليار من الدولارات سنويا، وهو سواء تعلق الأمر بسوريا أو غيرها يعيده خبير اقتصادي بارز من وزن الدكتور خير ابو صعليك إلى ان بلاده لديها أولويات ومصالح وتوازنات ولا تستطيع التصرف بشكل غير مدروس ما دامت تتلقى مساعدات أمريكية سنوية.

لا مجال أردنيا في المطبخ الاقتصادي الرسمي لأي مغامرات سياسية غير محسوبة حتى وإن كان الالتزام بقانون قيصر الأمريكي الحق ضررا بالمصالح.

يحاجج كثيرون بأن الولايات المتحدة الأمريكية هي الممول الوحيد للخزينة في الأردن على شكل هبات ومنح ومساعدات، وبأن هذا الواقع الموضوعي يفرض محددات وقيودا على أي حراك سياسي أردني في المساحة الإقليمية.

والواضح لمن يحاججون بهذا المنطق أن تلك القيود طالت إلى حد بعيد دولا في الجوار الإقليمي من بينها إيران وفي بعض الأحيان تركيا وارتبطت بلبنان أو في جزء منه.

ولاحقا والأهم في سوريا فقد نتج عن الالتزام الأردني بقانون قيصر الأمريكي خسائر فادحة على المستوى التجاري وفي مستوى البروتوكول الزراعي والتعاون الحدودي، وهي مسألة أدركها مبكرا صانع القرار الأردني وهو يذهب باتجاه خطوات افتتاح غير مسبوقة وفجأة مع السوريين بمجرد خلط أوراق قانون قيصر بسبب الزلزال المدمر الذي ضرب تركيا وشمال شرق سوريا معا.

الأردن بوضوح اقتنص اللحظة المناسبة حتى قبل توقيع الاتفاق الإيراني السعودي في خلخلة قواعد التزامه هو بقانون قيصر وبالمحددات الأمريكية عندما استثمر في لحظة الزلزال، حيث كان الدولة الأولى تماما التي أرسلت قوافل مساعدة إلى مناطق ضربها الزلزال وتتبع النظام السوري، وأعقب ذلك تماما تحويل غرفة عمليات أردنية إلى قاعدة لوجستيات تساعد الشعب السوري قدر الإمكان.

وفي الأثناء كان وزير الخارجية أيمن الصفدي أول من يسجل حضورا في سوريا تحت هذا البند وتحت هذا العنوان حين زار دمشق والتقى الرئيس بشار الأسد. بمعنى أخر أي حراك أردني باتجاه إعادة سوريا إلى مقعدها في الجامعة العربية وتفاعل مع هذه المبادرة هدفه الأساسي قد يكون تنويع مصادر اقتصادية، فالعلاقات الاقتصادية بين سوريا والسوق الأردني قديمة وعين الأردنيين دوما على خطط إعادة إعمار المناطق التي تضررت بالحرب السورية الداخلية، وعلى تنشيط تعاقدات المقاولين والموردين التجاريين الذين سبق ان هددهم الملحق التجاري في السفارة الأمريكية في عمان العاصمة بقوانين أمريكية تضع من يتعامل مع النظام السوري في بند القوائم السوداء وهو ما عارضه علنا البرلماني البارز عبد الكريم الدغمي تحت القبة.

بالتالي إستراتيجية الحراك تجاه سوريا في جزء حيوي منها هي أقرب إلى محاولة للبقاء قريبا من السوق السورية. وهي مسألة ملحة وأساسية حتى في عرف وتقليد رئيس غرفة تجارة الأردن خليل الحاج توفيق، الذي يظهر دائما حرصا إضافيا على التعاون مع دول الجوار والتأسيس لشراكات مع القطاعين العام والخاص في أو عند الجار السوري الشقيق.

وقد سبقت القيادة الأردنية عمليا الجميع بإطلاق مبادرة تحت عنوان إعادة سوريا لمقعدها في الجامعة العربية وتطبيع العلاقات معها وتحدث العاهل الملك عبد الله الثاني شخصيا في هذا الموضوع بعدما أوفد الوزير الصفدي إلى دمشق وقابل الأخير الرئيس السوري بشار الأسد.

ومن هنا حضر الأردن لاحقا بعد الوزير الصفدي وكما أبلغ هو شخصيا «القدس العربي» اجتماعات مدينة جدة السعودية التي بحثت الملف، والأردن يرمي بثقله الدبلوماسي اليوم وراء هذه المقاربة حتى يكتب له سبق الخطوة الأهم في إقرار عودة سوريا إلى حضنها العربي، لأن الرهان كبير على ان الاسترخاء الذي حصل في الاتصالات مع إيران سيخفف أمام صانع القرار الأردني وعورة الطريق ومتاعبه مما يتعلق الأمر بالتعاون التجاري والحدودي والاقتصادي مع كل من العراق وسوريا في آن واحد.

لكن المرصود على هامش تحضيرات القمة العربية في الرياض أن مبادرة الأردن قد تكون سياسيا دون السقف السعودي بملف التطبيع مع الرئيس بشار الأسد حيث الاستدارة السعودية الشاملة الأخيرة تخلط كل الأوراق وقد برز ذلك في لقاء جدة الذي بحث مسألة عودة سوريا إلى مقعدها العربي.

حوار

مدير مكتب قناة «الجزيرة» في فلسطين وليد العمري:

الشهيدة شيرين أبو عاقلة صوت انحاز للحقيقة والاحتلال لم يتوقع أن نجد الرصاصة التي قتلتها

حاوره: سعيد أبو معلا

قبل أن يدخل الزائر لمكتب الإعلامي وليد العمري، مدير مكتب قناة «الجزيرة» في فلسطين، سيمر لزاما على المكان الذي كانت تجلس فيه الشهيدة شيرين أبو عاقلة قبل عام لممارسة عملها اليومي، إنه يقع على اليمين تماما، وسيجد أن المكتب الصغير، الذي خرج منه ما يقرب من 3 آلاف تقرير تلفزيوني، تحول إلى متحف صغير يضم قبلات الموطنين ودموعهم، تضامنهم واحتفائهم بخسارتهم الكبيرة.

نظرات فاحصة على المكان ستجعل الزائر يدرك القيمة التي عكستها تجربة شيرين المهنية، سيدرك ذلك من حجم الحب الذي ما زال المواطنون العاديون قادرين على منحها إياه عبر الورد والشموع، وبكل بساطة ووجع، وحسب العمري فإن «شيرين هي صوت الناس الذي سكنهم برحيلها».

أما قضية الشهيدة أبو عاقلة فتبدو لنا أنها بالنسبة للعمري تحولت لمسألة شخصية، فلا يقاس الأمر بما يفرضه عليه واجب العمل ومتطلباته، إنما هي قضيته الخاصة التي تدفعه للتواجد في كل الفعاليات والمناسبات التي تتعلق بها، فهو يشرف بشكل شخصي، على ملف كبير، يحمل اسم «قضية شيرين أبو عاقلة».

وفي حواره الخاص مع «القدس العربي» نقف على ما وصل إليه ملف القضية التي رفعتها شبكة «الجزيرة» إلى محكمة الجنايات الدولية، ومن هناك نذهب إلى أسرار العمل وتفاصيله بعد استشهادها مباشرة، وصولا إلى حديث الرصاصة/الدليل التي اعتقد الاحتلال أنها لن تكون موجودة لتثبت إدانة الاحتلال، تلك الرصاصة التي استقرت في خوذة «أبو عاقلة» التي يصفها العمري بأنها كانت «الأكثر حرصا على سلامتها وأمنها».

يقول العمري إن شيرين، لم تكن شخصا عابرا، سواء بالنسبة للشعب الفلسطيني أو لشبكة «الجزيرة» إنها تجربة فريدة في العمل الصحافي المهني المنحاز للحقيقة التي دفعت ثمنها غاليا. وفيما يلي نص الحوار.

○ بعد أيام ستمر الذكرى السنوية الأولى على استشهاد الإعلامية ومراسلة «الجزيرة» شيرين أبو عاقلة، ما أبرز الأمور التي حدثت في سبيل تخليد الذكرى وجعلها على قدر الخسارة؟

● في الذكرى السنوية الأولى ستكون هناك مجموعة من الأنشطة ولعل أبرزها وضع حجر الأساس لمتحف شيرين أبو عاقلة للإعلام، وهو متحف سيناط به تخليد ذكراها وذكرى شهداء الصحافة الفلسطينية. لقد تبرعت بلدية رام الله بالأرض التي سيقام عليها المتحف، فيما «الجزيرة» تكفلت بكلفة البناء والتأهيل والتجهيز، ومن المتوقع أن يكون تحفة فنية تضاف إلى معالم مدينة رام الله، مثل: متحف الشهيد ياسر عرفات وتمثال مانديلا ومتحف محمود درويش.

في جانب آخر، هناك عدة جامعات فلسطينية وعربية قدمت منحا باسم الشهيدة، منها منحة دراسة الإعلام الرقمي التي قدمتها الجامعة العربية الأمريكية في رام الله، ومنحة مقدمة من جامعة بيرزيت، إلى جانب جوائز التميز الإعلامي باسم الشهيدة شيرين، أيضا قدمت جامعة اليرموك في الأردن، والأمريكية في لبنان وبالتعاون مع مؤسسة يافا منحا لدراسة الماجستير باسم الشهيدة، وهذا أمر مهم في الإبقاء على الشهيدة حية.

أضيف أن هناك متبرعا مجهول الهوية قدم خمسين ألف دولار باسم شيرين أبو عاقلة لمستشفى عالية بالخليل، كما أن قسم الطوارئ في المستشفى الحكومي في مدينة جنين الذي يعاد تأهيله سيحمل أيضا اسم شيرين، «الجزيرة» أيضا ستصدر كتابا خاصا بالذكرى الأولى، كما أن هناك أكثر من كتاب صدر باسم الشهيدة منها كتاب مؤسسة الدراسات الفلسطينية التوثيقي.

بكل الأحوال، نأمل أن ننجح في أن تكون قضية شيرين التي خدمت الجميع حية في النفوس والمجتمع وحقل الإعلام.

○ ماذا عن الشق القانوني والمتابعة في ملف التحقيق في استشهادها؟

● على الصعيد القانوني نحن نعمل على القضية في محكمة الجنائية الدولية، ولدينا طاقم قانوني بريطاني محترف وبالتعاون مع القسم القانوني بشبكة «الجزيرة» لمتابعة القضية. من المهم الحديث عن أن «الجزيرة» أفرزت هيئة خاصة مكلفة بقضية شيرين ويقع على عاتقها متابعة كل التفاصيل، ونحن في مكتب فلسطين جزء أساسي من هذه الهيئة.

نتعاطى مع هذه القضية في ضوء حقيقة شيرين، لم تكن شخصا عابرا، سواء بالنسبة للشعب الفلسطيني أو لشبكة «الجزيرة» لقد كانت كبيرة مراسلي «الجزيرة» وقامت بتغطيات صحافية هائلة متنوعة المجالات على مدار 25 عاما.

يمكنني القول إنها أنتجت آلاف التقارير الصحافية التلفزيونية، كانت تنتج شهريا ما بين 10 – 13 تقريرا، وعلى مدار 25 سنة يمكن أن نصل إلى أنها أنتجت ما بين 2500 إلى 3000 تقرير، إلى جانب أكثر من ستة آلاف ظهور مباشر، يمكن أن أضرب لك مثالا أنها في حرب 2021 وأحداث حي الشيخ جراح والأقصى ظهرت مباشر على قناة «الجزيرة» وفي يوم واحد من خمسة أماكن، البداية من القدس ثم من اللد ولاحقا في الناصرة وأم الفحم وختمت ظهورها في بيت لحم. ومن المهم هنا الحديث عن أنها لم تقم بتغطية القضايا السياسية والحروب إنما كانت تقدم تغطيات صحافية متنوعة في الرياضة والاقتصاد والفن والقضايا الاجتماعية.. ألخ.

عندما ننظر إلى حجم ما أنجزته وطبيعة عملها ندرك حجم الخسارة الفادحة التي تعرضنا لها باغتيالها، كانت طاقم عمل كاملا.

من زاوية شخصية وإنسانية لقد خسرنا إنسانة تمتاز بالرقي والفهم، في المكتب في رام الله كنا ننظر إليها على أنها أشبه بالمسطرة التي نقيس عليها أنفسنا مهنيا وأخلاقيا، لم تكن شخصا عابرا. عندما نراجع ما كانت تفعله نجد أنها كانت تتواجد في الحركة النسائية والفنية أيضا، والأهم أنها كانت طالبة (تتعلم) حتى آخر لحظة حيث حصلت على شهادة دبلوم الإعلام الرقمي قبل استشهادها بفترة ليست طويلة.

أقول لك إنه طوال 25 سنة لم يقدم أحد أي شكوى أو ملاحظة أو تذمرا من شيرين، لم تقدم أي تغطية إلا وكانت كاملة، لم تكن ترسل عملها ناقصا أو غير مهني.

○ نعود للحديث عن ظروف اغتيالها والجهد المبذول في سبيل عدم ضياع حقها؟

● من الواضح لنا أن من قام باغتيالها هو الاحتلال الإسرائيلي، كل الدلائل والتحقيقات تؤشر على ذلك، لدينا تحقيقات النائب العام الفلسطيني، وتحقيق منظمة بتسيلم الحقوقية الإسرائيلية، وتحقيق «الجزيرة» أيضا. ولن نتوقف عن هذه التحقيقات، لدينا ما يقرب من عشرة تحقيقات أنجزتها شبكات إعلامية عالمية، وكلها أكدت على مصدر النيران وأنها أطلقت من حيث تواجدت قوات الاحتلال.

لقد أصيبت في منطقة خلف الأذن، وهي منطقة لا تحميها الخوذة ولا الدرع، لقد جاءت الرصاصة من الخلف، وسقطت أسفل شجرة الخروب التي عليها آثار 12 رصاصة، عند التدقيق نجد أن الرصاصات جاءت ضمن ارتفاع ما بين 127 سم و178 سم، وكلها رصاصات أطلقت بعد سقوطها، وهو أمر يدلل على استهدفها.

نحن نرى أن المسألة كانت تستهدف «الجزيرة» لكونها الوسيلة العالمية الوحيدة التي تعمل وتتواجد في جنين، ومن الواضح أن قناصا إسرائيليا أطلق الرصاص، وحاول الاحتلال التهرب من المسؤولية، فعلى مدار يومين غير الرواية عدة مرات، فيما أظهرت نتائج تحقيق الجيش بعد ما يقرب من أربعة شهور أن هناك احتمالية عالية جدا أن يكون رصاص الجيش هو من أصاب شيرين، لكن من دون أن يوجد ما يؤكد ذلك، تخيل هذه الصيغة.

إسرائيل بدورها أعلنت أنها لن تسمح بمحاكمة جنودها وبالتالي لجأنا لمحكمة الجنايات الدولية والرأي العام الدولي، ونحن معنيون تماما في أن تأخذ العدالة الدولية مجراها.

○ هنا السؤال المهم هل ترهنون على القضاء الدولي، هناك من يقول إن المحكمة لا تنظر في قضايا مماثلة؟

● القاعدة لدينا تقول إنه يجب أن نذهب للمطالبة بالمحاسبة الدولية. وهنا أسمح لي أن أقول إن الوفود تزورنا بشكل يومي، والجميع يطرح علينا نفس السؤال، ومن الزوار من كانوا طلابا من مركز لذوي الاعاقات السمعية بنابلس يسمى «شغف» وكذلك أربع طالبات من مدرسة في الصف الخامس كن يعملن على مشروع عن حقوق الصحافيين. هذا أمر يضع علينا مسؤولية، نحن نذهب من أجل شيرين ومن أجل الجيل القادم الذي لا نريد له أن يفقد ثقته بالمجتمع الدولي ومؤسسات العدالة الدولية والقانون الدولي، كي لا يحبط ويشعر باليأس. كما أننا نأمل أن تقف العدالة إلى جانبنا، وعلى من يدعي العدالة ويمثلها أن يعمل على القضية، وبالتالي ما نقوم به هو مطالبة بالمبادرة وفتح التحقيق الدولي.

○ ما تفاصيل القضية التي رفعتها «الجزيرة» ولماذا بادرتم إلى ذلك رغم أن السلطة فعلت ذلك وكذلك نقابة الصحافيين الفلسطينيين؟

● سلمنا الملف للجنائية الدولية في شهر تشرين الثاني/نوفمبر من العام الماضي، هذه قضايا تأخذ وقتا طويلا، كما أننا نعي أن هناك اعتبارات وضغوطا دولية، فلسنا الجهة الوحيدة، نحن لسنا سذجا لنظن أن القضية ستمر بلا ضغوط أو مقاومة للمسار الذي نعمل عليه، نحن معنيون بالموضوع، قضية شيرين قضية رأي عام محلي وعالمي، وبالتالي «لا يجب النوم عليها» يجب أن تبقى حية.

○ ما الذي يميز ملف «الجزيرة» المرفوع لمحكمة الجنايات الدولية؟

● ملف القضية الذي رفعناه أضفنا عليه ملف الاعتداء على مراسلة «الجزيرة» جيفارا البديري في حي الشيخ جراح في القدس، وكذلك قصف المبنى الذي يقع فيه مكتب «الجزيرة» في قطاع غزة، كان ذلك في نفس الفترة الزمنية.

في المقابل السلطة الفلسطينية رفعت ملفا آخر، أما النقابة قامت بدورها في هذا المجال.

ننظر للمسألة ضمن إطار أن هناك حقا ويجب أن نطالب به، يجب أن نحقق العدالة لشيرين أبو عاقلة عبر محاسبة الجناة، وهذا مفيد لنا، مفيد للعمل على توفير حماية للزملاء، ولكل من يعمل صحافيا.

○ في فترة ما ظهرت وجهات نظر تقول إن «الجزيرة» ستقوم بالتنازل عن القضية، ضمن صفقات أو مساومات، كيف ترد على من يقول ذلك؟

● لا أتصور أن أمرا من هذا حدث أو سيحدث، لقد عانينا بما يكفي وفي كل الأماكن، ونحن نواصل عملنا، «الجزيرة» ليست نكرة كي تفعل ذلك، نحن شبكة إعلامية عالمية، وطوال تاريخنا، ولا مرة، دخلنا في صفقات مع أي طرف. قضية شيرين هي حق لا يضيع بالتقادم أو بإبرام الصفقات، هنا أقول إنه مورست علينا ضغوط وتهديدات، لا يمكن أن نستثني أمريكا أو إسرائيل من ذلك، وليس علينا فقط، بل على السلطة الفلسطينية والرئاسة الفلسطينية ودولة قطر أيضا، لكننا ماضون في القضية.

○ ماذا عن الرصاصة التي حصل جدل حولها وتحديدا مسألة تسليمها لجهات تحقيق أمريكية؟

● لقد رأيت الرصاصة بمعهد التشريح العدلي في جامعة النجاح الوطنية، علينا أن نعي أن شيرين تحمل الجنسية الأمريكية، والأمريكيون ينظرون لشيرين على أنها مواطنة، وبالتالي أخذوا الرصاصة لمدة 24 ساعة فقط، قاموا بفحصها في السفارة الأمريكية في القدس، وخلصوا إلى استنتاج أنها مشوهة ويصعب التأكد منها.

ما أريد قوله هنا أن الرصاصة بالنسبة للجيش مشكلة، لم يتوقعوا أن يتم العثور عليها، والسبب أن الرصاصة دخلت من أسفل أذن شيرين وارتفعت داخل رأسها حتى ارتطمت في الخوذة (وهناك تشوه رأسها قليلا) ولولا الخوذة لما كانت هناك رصاصة.

المسألة الثانية أنه وبعد اندفاع الجميع نحو المستشفى بانتشار خبر استشهاد شيرين عاد الجيش إلى المنطقة التي استهدفت فيها وإلى الشجرة التي سقطت أسفلها، وقام بعدة أمور من ضمنها تنظيف المكان من الرصاص. ومن المؤكد أن الرصاصة تشبه ما يستخدمه الأمريكيون في سلاح «روجر» وما يستخدمه الجنود في حلف شمال الأطلسي.

ما أود قوله إننا أمام رصاصة خارقة، قوية، كالتي يستخدمها القناصة، ليست رصاصة دمدم (متفجر) إنها رصاص قاتل، بحجم عقدة الإصبع أي حوالي 2 سم أو أقل قليلا.

○ رغم حجم الغضب والاستنكار الدولي والعربي والمحلي إلا أن الاحتلال استمر في استهداف الصحافيين الفلسطينيين، واضح أنه لا يتعلم ولا يريد التوقف عن استهداف الصحافيين؟

● بعد 20 يوما من استشهاد شيرين قتلوا غفران رواسنة، وهي صحافية مبتدئة في مدينة الخليل، كانت تقوم بعملها بعيدا عن الجيش لكنهم قتلوها، بعدها أيضا تم الاعتداء على طواقم تلفزيون «فلسطين» في أكثر من مرة في مدينة نابلس. الجيش الإسرائيلي يستهدف الكل الفلسطيني، بمن فيهم الصحافيون. والرسالة واضحة، يريدون أن نبتعد عن نقل الحقيقة، استهداف الصحافيين يستمر لغياب الردع، وبالتالي الاحتلال يتصرف على مزاجه. هنا على العالم أن يفكر: لماذا يقتل 104 من الصحافيين الفلسطينيين فيما لم يتم استهداف صحافي إسرائيلي واحد؟ لماذا يتم استهداف الصحافيين الفلسطينيين، رغم أن القوانين تقول إنه يجب أن يتم التعامل معهم تماما كالمدنيين؟ هناك قانون دولي ويجب أن تحترمه إسرائيل، وفي حال لم تفعل ذلك يجب أن تحاسب على أساسه. المفارقة أن دولة احتلال تحظى بتعاطف من الغرب، لكن بالنسبة لنا آن الأوان لحسم الأمر ومعاقبة القتلة.

○ توقعنا باستشهاد شيرين أن يضعف إقبال الفتيات على دراسة الإعلام لكن النتيجة معاكسة، كيف تقرأ ذلك؟

● المؤكد أن شيرين أصبحت أيقونة ورمزا، ونموذجا يحتذى عند الصحافيات والصحافيين أيضا، الصحافة مهنة المخاطر، ويجب أن يكون هناك من يقوم بهذه المهمة، وشيرين كانت من أحرص الصحافيين الذين عرفتهم، لم نتصور، ولا لمرة، أنه يمكن أن تستهدف، نقول للطواقم يوميا «الله يحميكم» فيما يحركهم في العمل الحب والرغبة بنقل الحقيقة للعالم ونقل صوت الناس. هنا ندرك أن شيرين دفعت ثمن الانحياز للحقيقة، فهي لم تنحز لفصيل سياسي، دفعت ثمن الجرأة والشجاعة، والتميز الأخلاقي والمهني.

اليوم نفكر في شيرين فنجد أنها كانت متوازنة دوما وهادئة عبر إيقاع صوتها الخاص، فتبين لنا لماذا سكن صوتها في نفوس الناس، وفي المقابل نسي الناس أصحاب الصوت العالي، وهذا ما يفسر لنا الطريقة المختلفة تماما في تشييع جثمانها وعلى مدى مسار طويل من جنين إلى القدس.

○ سؤال شخصي، ماذا تغير فيك بعد استشهاد شيرين؟

● على الصعيد الشخصي، يمكن الناس لم تشاهدني وأنا أبكي، لكني في الحقيقة خسرت صديقة وزميلة، إنها إنسانة وعلى مستوى عال من العطاء والتسامح والتواضع، مهنيا فقدت كمدير لمكتب «الجزيرة» طاقم عمل كاملا، لا يمكن لأحد أن يسد مكانها، أعتقد أننا بحاجة لثلاثة مراسلين ومنتجين إثنين كي يحلوا مكانها.

لقد رحلت وهي في ذروة عطائها وتألقها المهني. كانت خسارة فادحة، سألت نفسي أسئلة من نوع: هل تستحق المهنة ما نقوم به من مخاطر قد تؤدي إلى الموت؟ قلت لنفسي قد يأتينا الموت ونحن أمام شاشة التلفزيون، والحقيقة أننا نؤدي رسالة هامة جدا.

○ سؤال مرتبط بالساعات والأيام التي تلت مباشرة استشهاد شيرين، ما هذا التماسك والقوة التي ظهرت بها أنت تحديدا وكذلك طاقم العمل في المكتب الذي عمل وهي يبكي؟

● صراحة، الناس لم تستوعب ما قمنا به، «أنا زي أي بني آدم» وعلي أن اعترف أن الموقف فرض علي، لم يكن أمامي من خيار إلا التماسك، ولو تراجعت أو ضعفت لانهار المكتب كله، لقد كانت أمامنا مسؤوليات جسام، صحيح أن زميلة استشهدت بحجم شيرين، لكن لم يكن أمامنا خيارات كثيرة، كان يجب أن نضمن لها جنازة تليق بها أولا، ولم يكن ممكنا أن نقصر في التغطية، كان من المهم أن ننقذ الموقف، ولا سيما وأننا أمام صراع على رواية الحقيقة، فإذا لم تظهر الحقيقة ولو نتواجد بقوة فتسود الرواية الإسرائيلية وبالتالي سيضيع الحق، والنقطة الأخرى هناك واجب مهني وشخصي تجاه شيرين، لقد ألزمت الطاقم على العمل، «قلت لهم: ممنوع نقول مش قادرين..» هذا كان يعني أن تضيع القضية، لقد عملنا 11 يوما ليلا نهارا والدموع في عيون الطاقم كله.

○ متى حصلت على أول إجازة بعد استشهاد شيرين؟

● حتى اليوم لم أحصل على إجازة منذ أن استشهدت شيرين، إضافة لعملي وعمل الطاقم، وهو فريق عمل مميز، فأنا ملزم بمتابعة قضية شيرين بكافة تفاصيلها، أنا ألاحق الموضوع ويجب ان أكون في الصورة في كل التفاصيل.

○ هل وظفتم شخصا أو أكثر بدل الشهيدة شيرين؟

● بصراحة، لم يكن من السهل أن نوظف أي شخص ونقول إنه بديل عن شيرين، ولا أخفي أننا نسعى لجلب طاقم عمل ليسد مكانها، لم يكن الأمر سهلا على الزملاء، كما أننا سنظلم الشخص الجديد، لكونه لن يقدر على العطاء بمقدارها أو أن يحل مكانها، فلن يسد الفراغ الذي تركته، وبالتالي قررنا بوعي عدم تعيين موظفين بعد استشهاد شيرين مباشرة. ما قمنا به خلال العام الماضي وحتى اللحظة أننا ضغطنا على أنفسنا وأدرنا الأمور قدر الإمكان، نفسيا كان الأمر مريحا للطاقم، حيث عملوا بجد ولفترة أطول في سبيل قضية زميلتهم الراحلة وخدمة لقضيتها.

○ بكلمات موجزة، ما القيمة التي ترى أن شيرين تعكسها من خلال عملها على مدى 25 عاما أو من خلال نهايتها المأساوية؟

● لعل أبرز قيمة تعكسها شيرين هي المهنية العالية، والتي عنت انحيازها الكامل للحقيقة، وبصدق أقول إن كل ما نقلته شيرين كان حقيقيا، هذا أولا، ثانيا، شيرين كانت بمثابة نموذج للصحافي الشامل، القادر على كل أنواع التغطيات وفي مختلف الموضوعات، وفي جميع الأماكن الجغرافية وفي كل الظروف، وهذا أمر لا يقدر عليه أي صحافي.

اليوم، نتذكر شيرين في كل حادث وحديث، وفي كل واقعة وموقع. شيرين صوت هادئ لم ينجر خلف الشعارات والمزايدات والتحريض، إنها صوت استقر في النفوس وهو ما حولها إلى أيقونة.

حريات

ليبيا: منظمات المجتمع المدني تقع فريسة لانعدام الأمن وسلطة الدولة وغياب القانون

طرابلس – «القدس العربي»: نسرين سليمان

عقب اندلاع الثورة الليبية في عام 2011 والتي نجحت في إزاحة حكم العقيد السابق معمر القذافي الذي اعتبر دكتاتور زمانه بعد أن حكم ليبيا لأكثر من 40 سنة متواصلة، بدأت ليبيا مرحلة جديدة لم تكن بأفضل من سابقتها، إلا أن مواطنيها تمكنوا على الأقل من الوصول جزئيا إلى الحرية المنشودة في جانب الفكر والرأي والتعبير، وإنشاء الصحف ومنظمات المجتمع المدني.

وبشكل عام تعتبر منظمات المجتمع المدني مقياسا مهما للحرية والتحضر لأي دولة في العالم، فهي تمثل صوت الشعب ويده المعينة، وشكلا متحضرا لمؤسسات تقع خارج سيطرة الدولة وقد تكون أداة مراقبة لتصرفاتها، وقد تقف جنبا إلى جنب مع ضحايا الأنظمة القمعية أيضا.

في ليبيا واجهت هذه المنظمات صعوبات متعددة تمثلت بداية في غياب الأرضية المناسبة لانطلاقتها، حيث أنها كانت شبه معدمة قبل ثورة السابع عشر من شباط/فبراير ولم يكن لها قوانين مناسبة لتنظيمها، ما جعلها تنطلق بعشوائية كبيرة وبأعداد مهولة جدا، وجعل بنيتها ضعيفة ومعرضة للاستغلال والتسييس أيضا من قبل عدد من الجهات.

الانقسام والأمن

من نواحٍ عديدة، تنقسم ليبيا الحالية بين حكومة الوحدة الوطنية في الغرب التي تدعمها الأمم المتحدة ومقرها طرابلس، وحكومة شكلها مجلس النواب يدعمها خليفة حفتر في الشرق ومقرها بنغازي، وتحت إمرة كل حكومة وجهة هناك عدد كبير من الميليشيات المتنافسة والمسلحة تجوب البلاد، وتقاتل نيابة عن طرف أو آخر.

وحاولت مؤسسات المجتمع المدني أن تقاوم وتعمل وسط هذا الصراع المسلح والفوضى على الرغم من المخاطر المستمرة والمضايقات والعنف التي تعرض لها مسؤولو هذه المنظمات خاصة في المنطقة الشرقية من ليبيا.

ورغم أن الإعلان الدستوري الليبي لعام 2011 يضمن حرية تكوين الأحزاب والجمعيات السياسية، إلا أن منظمات المجتمع المدني تواجه عقبات هائلة لأن قانون عام 2001 لا يزال ساريًا والذي يمنح السلطات الحكومية والأجهزة الأمنية الحق في السيطرة عليها.

وخلال الفترة الماضية واجهت مؤسسات المجتمع المدني عوائق عديدة فيما يتعلق بتعامل الدولة معها حيث عاشت الأوساط المحلية الليبية جدلا كبيرا على مدار أسبوع كامل على إثر صدور فتوى من إدارة القانون في المجلس الأعلى للقضاء تؤكد أن كل منظمة مجتمع مدني شُكلت عقب عام 2011 أي بعد الثورة الليبية التي أطاحت بنظام العقيد معمر القذافي، تعتبر ملغاة وفي حكم العدم.

وأصدرت إدارة القانون خطاباً أوضحت فيه وبشكل صريح رأيها حول منظمات المجتمع المدني، الذي أكدت من خلاله «عدم شرعية كافة الجمعيات الأهلية ومنظمات المجتمع المدني التي لم يتم تأسيسها استناداً إلى أحكام القانون رقم 19 لسنة 2001 بشأن الجمعيات الأهلية».

دواع قانونية

الإدارة قالت حسب الخطاب الصادر عنها، إنه «لا يجوز البتة تشكيل الجمعيات الأهلية وسائر منظمات المجتمع المدني الأخرى إلا إذا كان هناك قانون ينظم تكوينها تكويناً محكماً من حيث تحديد عدد أعضائها والشروط الواجب توافرها فيهم».

وتابعت الإدارة أنه «بناء على ما سبق فإن كافة المنظمات والجمعيات التي تم تشكيلها استناداً إلى لوائح تنظيمية صادرة عن السلطة دون الاستناد لأي قانون، فإنها والعدم سواء، ويجب على الجهات العليا في الدولة أن تتخذ الإجراءات اللازمة لحلها، وتستثنى من ذلك الجمعيات الأهلية التي أسست استناداً إلى القانون رقم 19 لسنة 2001 بشأن الجمعيات الأهلية الذي لا يزال سارياً ونافذاً».

اتهامات كبيرة طالت شخص رئيس حكومة الوحدة الوطنية الذي دعم هذا القرار، وشككت في نواياه، خاصة مع وجود أكثر من 6000 منظمة مجتمع مدني في ليبيا ظلت تحت طائلة الخطر مع صدور هذه المخاطبة.

ضغوط كبيرة تعرض لها الدبيبة حتى اضطر إلى التراجع عن رأيه جزئياً، حيث أمر رئيس حكومة الوحدة الوطنية باستمرار عمل المنظمات الأهلية المحلية والأجنبية غير الحكومية، شريطة أن تصحح أوضاعها القانونية وفق قرار حكومي.

خطر أمني

العوائق التي تواجهها منظمات المجتمع المدني لا تتعلق فقط بالسلطة الحكومية حيث تعرض الجماعات المسلحة النشطاء وأعضاء المجتمع المدني لأشكال مختلفة من القمع فقد يؤدي الكشف عن الفساد وانتهاكات حقوق الإنسان إلى الاعتقال التعسفي أو التعذيب أو القتل خارج نطاق القضاء.

وفقًا لتقرير نُشر في حزيران/يونيو 2022 وشمل الفترة من كانون الأول/ديسمبر 2021 احتجزت الأجهزة الأمنية بشكل تعسفي 12 شابًا من المدافعين عن حقوق الإنسان تم إطلاق سراح أحدهم في النهاية، لكنه لا يزال قيد التحقيق ومُنع من السفر. وكان بعض هؤلاء النشطاء الشباب قد وصلوا لتوهم إلى المطار للسفر لحضور تدريب عندما تم اعتقالهم، بينما تم القبض على آخرين لإجراء محادثة حول حقوق الإنسان على تطبيق Clubhouse للتواصل الاجتماعي.

ونشرت الأجهزة الأمنية الليبية «اعترافات» أحد النشطاء على صفحاتها على فيسبوك وتويتر ووصف التقرير مناخ الخوف والذعر بين المدافعين عن حقوق الإنسان في جميع أنحاء البلاد، وقامت بعض المنظمات بتعليق أو تقليص أنشطتها خوفا من المضايقات من قبل قوات الأمن والملاحقة القانونية.

وخلال النصف الثاني من اذار/مارس 2022 اعتقلت الجماعات المسلحة لجهاز الأمن الداخلي في شرق ليبيا، ما لا يقل عن 11 متظاهرًا سلميًا وصحافيًا في سرت. وكان المعتقلون قد شاركوا في مظاهرة نُظمت في 19 اذار/مارس للتنديد بالانتهاكات المرتكبة خلال تدخل حلف الناتو عام 2011 والمطالبة بتعويض الضحايا. كانت هذه هي الموجة الثالثة من الاعتقالات بحق سكان سرت منذ استيلاء الجيش الوطني الليبي على السلطة في عام 2020.

فضلًا عن ذلك، فقد نُفذت سلسلة من الاعتقالات التعسفية في شرق ليبيا وغربها في أعقاب مظاهرات خرجت في الأول من تموز/يوليو ضد المؤسسات السياسية؛ بسبب تدهور الأوضاع المعيشية والمطالبة بإجراء انتخابات. وتعرض عدد من المتظاهرين – بينهم أطفال– للاختطاف والاعتقال من سلطات الدولة والجهات المسلحة.

وفي أيار/مايو 2022 دعت مجموعة من الجمعيات الحقوقية السلطات الليبية الشرقية والغربية، إلى التوقف الفوري عن «هجماتها على ما تبقى من الفضاء المدني في ليبيا» وإلى ضمان قدرة منظمات المجتمع المدني والنشطاء والصحافيين على أداء مهامها بحرّية، دون قيود ومخاوف غير مبررة وذلك حفاظا على سلامتهم.

التشريعات المنظمة

في ليبيا يتواجد جسم يسمى مفوضية المجتمع المدني وهي هيئة تنظيمية أسستها حكومة الوفاق الوطني السابقة في طرابلس عام 2018 وهي مُكلّفة بتسجيل المنظمات غير الحكومية واعتمادها في ليبيا، وتخضع مفوضية المجتمع المدني للإشراف المباشر من مجلس الوزراء، ولها سلطات واسعة للتحكم في تمويل ورفض وإلغاء تسجيل وتصاريح العمل للمنظمات المحلية والأجنبية بالإضافة إلى ذلك، يُطلب من المنظمات الدولية الحصول على إذن المفوضية قبل ممارسة أي عمل.

وتثير هذه الصلاحيات مخاوف بشأن تدخل المفوضية في عمل الجمعيات، وقدرة المجتمع المدني على العمل مستقلًا نتيجة لهذه الصلاحيات.

وبالنسبة للتشريعات المنظمة فتعتمد كل من السلطات الشرقية والغربية في ليبيا على قوانين مقيِدة للغاية بعضها موروث منذ عهد القذافي في تنظيم عمل مؤسسات المجتمع المدني ما أثر على انسياب عملها.

وفي تشرين الأول/أكتوبر الماضي قام مجلس النواب الليبي باعتماد قانون الجرائم الإلكترونية الذي يحد بشكل كبير من حرية الصحافة وحرية التعبير على الإنترنت، ويسمح للسلطات الليبية باستهداف نشطاء حقوق الإنسان والمدافعين عن حقوق الإنسان ومعاقبتهم. كما يمنح القانونُ السلطات الليبية سلطة واسعة لمراقبةَ ما يُنشر على وسائل التواصل الاجتماعي.

كما أن العديد من المواد والقرارات الموجودة فعليا في القوانين الليبية تقيد حرية الكلام والتعبير وتكوين الجمعيات بشكل جسيم، وتشمل هذه القيود فرض عقوبات على عدم احترام الأمة والعلم الليبيين، وازدراء الدين، والأعمال التي تهدف إلى قلب النظام السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي للدولة. كما يجري تجريم الحريات الأساسية من خلال مواد قانونية غامضة الصياغة في قانون العقوبات الليبي مثل المادتين 206 و207.

ورغم وجود هذه الأحكام فعليا إلا أنها تبدو متناقضة جدا عند النظر للإعلان الدستوري الليبي لعام 2011 (المادتان 14 و15) والمعايير الدولية لحرية تكوين الجمعيات وفقًا للالتزامات ليبيا بموجب «العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية».

قانون عام 2001 يمنح السلطات الحكومية والأجهزة الأمنية الحق في السيطرة على منظمات المجتمع المدني

كما يتواجد قرار آخر أصدره المجلس الرئاسي ويحمل رقم 286 ويتمحور حول تنظيم عمل المنظمات غير الحكومية، وقدّمته حكومة الوفاق الوطني في عام 2019 ويتضمن هذا القرار متطلبات تسجيل صعبة ولوائح تمويل صارمة، ويتطلب إخطارًا مسبقًا للجماعات التي ترغب في تنظيم أو حضور فعاليات المجتمع المدني وأنشطته؛ إذ ينهي بشكل أساسي حق المجتمع المدني في الوجود والعمل بحرية من خلال منح مفوضية المجتمع المدني صلاحيات أحادية الجانب لتسجيل الجمعيات وتشغيلها.

وفي محاولة لتوفير وضع قانوني للمنظمات غير الحكومية العاملة في ليبيا، دعت المنظمات الحقوقية الوطنية مجلس النواب لتمرير مشروع قانون ينظم عمل المنظمات غير الحكومية؛ من شأنه أن يضمن استقلال المجتمع المدني وحريته. وقدمت جماعات حقوقية وشخصيات عامة ليبية مشروع القانون إلى البرلمان في تشرين الأول/أكتوبر 2021. وحتى الآن، لم يعتمد مشروع القانون المقترح.

وبالنظر لكل هذه المعطيات يعتبر عمل منظمات المجتمع المدني في ليبيا مقيدا بالنظر لظروف الأمن والانقسام، كما يعد مقيدا بالتشريعات والتنظيمات، ولم تعمل الدولة حتى الآن على استحداث أي قوانين تنصف هذه المنظمات وتضمن حقها في العمل بحرية، وتضمن حق الدولة في الرقابة الجزئية، بل أن العشوائية ظلت سيدة الموقف في التعامل مع هذا الجسم المهم رغم المطالبات بإيجاد الحلول.

كتب

«سيرة سكان مدينة ر» مجموعة الشاعرة الفلسطينية داليا طه: تداخل الأكوان بعصا سِحر الشّعر

المثنى الشيخ عطية

لا تبتعد مخاطرة الأدباء الشغوفين بالتداخل بين العناصر الأدبية، وبالأخص عند إجرائه بين الشعرِ والرواية، عن الوقوع في فخاخ التداخل به، فهتْكُ الجدران بين الأكوان ليس كمثل هدم جدارٍ لتوسيع غرفةٍ، وعلى المغامر دفع ضريبة الهتْك إن لم يكن على قدْرِ عزمه. وكثيرةٌ هي الروايات التي كتبها شعراء وسقطت في فخاخ الرواية عند اعتمادها على لغة الشعر، من دون التسلح بميزان الصاغة، كما هي كثيرة دواوين الشعر التي سقطت بإنتاج روائيين عندما ابتلع شاعريتها السّرد بالمقابل. ولا يَسْلَمُ من ميزان معادلة التداخل هذه سوى الصاغة المبدعون مثل الشاعرة الفلسطينية داليا طه التي أصدرت مجموعة شعرية متداخلةً مع الرواية تحت مسمى ثانوي وضعته بجملة «شعر في مونولوجات» تحت العنوان الرئيس الذي يوحي بالروائية: «سيرة سكان مدينة ر» ويفاجئُنا بقصائد نثر تنبض تحت جناحه، وترتقي شعرية عالية عند ربطها باقةً تقدَّم إلى قارئ شغوف بأزهار الشعر، وأكثر، بغرائب ارتباطات هذه الأزهارِ.

في «سيرة سكان مدينة ر» ومنذ البداية يفاجئكَ الغلاف الذي تهجسُ أن من صمّمه شاعرٌ، وتكشف بيانات المجموعة صدقَ حدسك في أن من صمّمه فعلاً، هو الشاعر الذوّاق زهير أبو شايب، باستخدام لوحةٍ للفنان خالد حوراني.

ويقودك زوال سحابات الخوف على الشعر إلى القصيدة الأولى التي تخاطبك بعنوان يختلف بطوله عن بقية عناوين القصائد التي تأخذ سطرين وثلاثة، بأخذ كلمة واحدة، لكنّها تكبر لتصل حجم الكون الذي أتيت منه وتذهبُ إليه حين تدرك أنها: «أنت»، كفرد من سكان مدينة ر، ومدينة أخرى، وأخرى، إلى ما لا ينتهي من احتمالات يوفّرها لك كونُك، ويمنحُك متعةَ التشابك الشعري الكمي مع آخرك، ولو كنتَ في طرف الكون وكان الذي هو أنت في الطرف الآخر من هذا الكون. وتزيد طه تحويل تشابكها من عنب إلى نبيذٍ بفتح باب تساؤلاتكَ عن وجودك، ومدّها أكثر إلى قلبِ مفاهيمك عنكَ كمولود تعرفُ أنه ولد من عائلة تنتمي إلى بلد ودين معيّن؛ حيث تخطفك القصيدة وتوقعك بتوقّع الانخطافات في بقيّة القصائد، وفي أنك غيرٌ ما تعرفُ عنك، بسؤالك:

«هل تذكر أوّل ليلةٍ لك في هذا العالم؟
إنها ليست ليلتك الأولى
في القاهرة أو باريس
في كينشاسا أو بوينوس آيريس
قد تكونُ وُلدتَ في قريةٍ هادئةٍ إلى جانب النهر
أو بجانب ناطحة سحاب
ولكنها ليلتُكَ الأولى على وجهِ الأرض.
ما يحيطُ بمكان ولادتك
ليست المدنَ والبلداتِ المحاذية
ولا حتى الدولَ أو القاراتِ المجاورة
إنها المجرّات والكواكب».

بعد «أنت» في سيرة سكان مدينة ر، تتوالى كبتية تضعُها طه «زمكانًا» لتداخلها مع شخصيات مدينتها التي تتخطّى كونها البشري إلى الأشجار وغيرها، أربعونَ قصيدة نثرٍ يغلبُ عليها التوسّط في الطول جسداً، والعناوينُ الطويلة، برقّاب تقترب من سحر أشكال مولدياني. إذ يشكل كلٌّ منها عنوانَ المشهد، كما لو كان عنوانَ ورقةٍ تُعطى لممثل مسرحي أو سينمائي ليعرف دوره، بإلغاء الأزمنة، حاسماً فرض الحاضر المفتوح على المستقبل، مع تكريس طه لهذا باستخدام فعل المضارع في لغة العنوان، ورفع لغة الإيضاح إلى مشهدية عالية تدفع القارئ إلى التصوّر، بإضافة كلمات زمن الحاضر مثل كلمة «الآن» في عنوان: «الرجل وصديقته اللذان تشاجرا طوال ليلة أمس ويقفان الآن في إحدى صيدليات مدينة لشراء حبوب الصداع»، وكلمة «اللحظة» في عنوان: «زوجة الرجل السابقة وهي تعمل في إذاعة مدينة ر وتقدم برنامجاً إذاعياً صباحياً عن الأسرى في اللحظة التي أخرجت فيها ورقةً بقائمة ما عليها أن تفعله اليوم». وكلمة «التوّ» في عنوان: «المرأة التي فتحتْ للتوّ البابَ الزجاجيّ لأحد المتاجر في الشارع الرئيسي في مدينة ر».

وفي بنيتها هذه تُجري طه شعراً عذباً تدعمُ امتداداته السرديةَ من دون تأثير على شعريته، قدراتُ قصيدة نثر ما بعد الحداثة والسوريالية التي تصل حدودَ إلغاء الواقع، وخلق واقعات افتراضية تتشابك فيها الحياة بالموت، ويتحرك فيها سكان المدينة الواقعية وغير الواقعية ر، الذين ماتوا ولم يموتوا كما يبدو، لكنهم يتحوّلون إلى أشجارٍ وطيور، وكائنات، وأكثر من ذلك، طاولةً لدى امرأة، في أكوانٍ موازيةٍ.

ومنذ البداية بـ: «أنتَ»، إلى النهاية التي لا تنتهي بـ: «نحن»، سكان مدينة ر: «التعساء/ سكان هذه المدينة التعيسة/ نحن الذين نقطع الحواجز ونحلم بالأفق، نقصقص نهايات الشجر/ نعيش ونأكل/ ونطالب الأعداء بأن يعيدوا لنا أمواتنا/ بينما حبال هائلة من الدموع/ تنمو في حلوقنا/ وأحشائنا/ كأجنّة بلا أطراف.»؛ تفرش طه تفاصيلَ مدينتها التي يتضح أنها أيّ مدينة تعاني مرارات الاحتلال. وأنها فلسطين تحتَ الاحتلال الإسرائيلي، الذي يقيم الحواجز، يهجّر الناس، يقتل الرجال والنساء والأطفال، يعذّب المعتقلين، ويشتهي حتى الهريسة على طاولة البيت الذي يذهب لتفتيشه، تاركاً أنفاس شهوة اغتصاب ما لدى الغير فيها، بما يدعو الأم الفلسطينية إلى رميها في الطريق أمام أطفالها قائلةً بحسم: «لقد ترك أنفاسه فيها». الأمر الذي يحفظ لطه خَصوصيتها في أسلوب مقاومة الاحتلال، ويُذكّر بقصيدة محمود درويش: «عابرون في كلام عابر» التي يطلب فيها من المحتلين أن ينصرفوا عن أرض فلسطين بأوهامهم وأساطيرهم وجثث موتاهم كذلك: «آن أن تنصرفوا/ ولتموتوا أينما شئتم، ولكن لا تموتوا بيننا». وتهمس صارخةً بالضمير الإنساني على طريقتها أيضاً في المقاومة تشابكاً مع عبارة درويش: «على هذه الأرض ما يستحق الحياة»، في مونولوج امرأة تُرجّح أنها ميتةٌ من سكان ر: «نعم هناك الكثير من الأشياء التي تستحقّ الحياة/ لا يمكنني أن أقول ذلك/ وفمي ممتلئ بالتراب/ على أحد أن يتوقّف عن قتل هذه المدينة/ كلّ يوم أمامي/ أن يجمع كل البنايات غير المكتملة/ يضعَها في عربةٍ ويدفعَها بعيداً عنا/ قبل أن تَنبت أشواكُها».

وفي هذا الفَرش المتشابك لا تخفي طه الحديث عن قمع المحتلّ الإسرائيلي، ومقاومة الاحتلال في الانتفاضة الفلسطينية

نها ية ثمانينيات القرن الماضي، واستمرار ذلك حتى أيامنا، موردةً أسماء الأماكن، وشهود التعذيب، محافظةً على الشعرية سالمةً من فخاخ التوثيق.

كما تُداخل طه، بتعاطف إنساني واضح، شخصيات سكان ر بمآسي المهجّرين قسراً من مدنهم، والهاربين من الجازر إلى اضطرار المجازفة بالحياة في عبور البحار، معيدةً في أكثر من قصيدة تعالج الموتَ غرقاً والنجاةَ التي يحولها الخوف إلى موتٍ آخر، مأساةَ السوريين التي ضربت ولم تضرب ضمير العالم في أعماق بحاره:

«أنا أحلم أحلاماً مخيفةً كلَّ يوم
في كل مرة أنام فيها
أفكر كيف كنا في القوارب
للقوارب رائحةٌ لا يعرفها أحد
لا أحد يعرف الرائحةَ
التي تخرج من مئة جسدٍ متلاصقٍ وخائف
في عرض البحر
كيف تهشّم قرب الشاطئ
كيف نجونا
كيف تهاوت أرجلنا حين صعدنا إلى اليابسة».

في شِعرها المونولوجي غير السّردي، يلمس قارئ سيرة مدينة طه التي منحتها اسم الراء، قوة أسلوبها في خلق التشابك والإزاحة، وفتح المجازات، مثلما تفعل في توزع وتداخل الشخصيات كذرات من ذرات الطبيعة والكون. ففي مونولوج «المرأة التي تقطع شارع الحسبة بنظرة ساهمة وتحمل أكياساً بلاستيكية»، يمرّ أماماً شريط مشاركتها رجلاً في مظاهرة، يتشابك فيها جسديهما بالأشجار، وينخلع قلب القارئ باكتشافه احتمالية أنهما ميتين، ليعود إلى بداية القصيدة ويتأكد من خوفه إلى نهايتها التي تعيده مرة أخرى إلى بدايتها، وهكذا: «هناك حواجز كثيرة/ وجنود على مداخل المدينة/ ومن يدري/ إذا خرجنا قد لا نعرف كيف نعود إلى بيوتنا/ ولكننا ولدنا للتو/ ولا نعرف أين نحن بالضبط/ وفي الليل نحن والأشجار نصبح عائلة/ وهذا سبب وحيد وكافٍ/ لأن نسمي هذا العالم/ الشاسع والغامض/ بيتاً».

كما يعيش القارئ متعة أسلوب طه في التراكب الذي تخلقه على سبيل المثال في مونولوج: «الرجل وصديقته اللذان تشاجرا طوال ليلة أمس ويقفان الآن في إحدى صيدليات مدينة ر لشراء حبوب الصداع»، الذي يتراكب فيه شجارهما غير المباشر، بالحدث المختبئ فيه والمتمثل في المذابح التي جرت على سكاكين الاحتلال، حيث: «لا يوجد أي شيء يشير إلى القرى العربية/ أعلّق/ وأنت تهزّ رأسك/ رأسك الجميل/ حتى الصمت الذي يُطبق على المشهد بعد المذبحة/ ولا يغادرها أبداً/ الصمت الذي يلتصقُ بلحاء الأشجار وبالصخور/ ويخرج كالغازات من الأتربة/ صمتٌ ثقيل من نوع خاص/ أنت تعرف ما أعني/ ستشعر به حين تزور تلال رواندا أو البوسنة/ ذلك الذي تحسّ به للتو – ودون أن تعرف ما حصل بالضبط/ حين تبدأ بالمشي إلى الوراء/ دون أن تشعر/ كما لو أنك لا تمشي على عشبٍ/ بل على شهقات القتلى/ كما لو أن ما يَخرجُ من الأشجارِ/ ليس أغصاناً/ بل كلماتهم الأخيرة/ شاخصةً وتحط على أغصانها الغربان».

وفي ختام سيرة مدينتها بالياس الذي يولّد الأمل من خلال لعبتها الشعرية في التداخل والتفاعل بين كائنات الكون، وتصوّراتها عن ذواتها، وإنتاجها للحياةَ في قلب الموت، وللأعمال الفنية التي تعالج تداخلات الحياة والموت، تقدّم داليا طه لقارئها ما هو جدير بالقراءة والعيش.

داليا طه: «سيرة سكان مدينة ر»
الأهلية للنشر والتوزيع، عمان 2021
168 صفحة.

م. د. والهوت في «المثقفون العرب والنفوذ الأمريكي»: الموقف من حرب 1967 فرّق إدوارد سعيد عن معلمه شارل مالك

سمير ناصيف

أحد الأسئلة المطروحة هذه الأيام بالنسبة لدور المثقفين عموماً، والعرب منهم خصوصاً، هو هل من المفيد خوضهم المعترك السياسي بشكل مكثف أو الاستمرار في مراقبة وتقييم الأوضاع السياسية من مواقعهم الأكاديمية والفكرية بموضوعية وعدم الغوص أكثر مما يجب في عمليات اتخاذ القرارات السياسية بشكل مباشر؟

هذا سؤال يطرحه كتاب صدَرَ مؤخراً بالانكليزية بعنوان: «المثقفون العرب والنفوذ الأمريكي: إدوارد سعيد وشارل مالك وأمريكا في الشرق الأوسط» لمؤلفه م. د. والهوت، الأستاذ المخضرم في جامعة سياتل باسيفيك الأمريكية، المتخصص في متابعة المواقف الفكرية والفلسفية لكبار المثقفين العرب الذين اختبروا العالمين الغربي والعربي في عملهم وانخرطوا في حضاراتيهما في شتى المجالات واحتلوا مناصب فاعلة فيهما.

اعتمد والهوت على دراسته المعمقة لما أتيح له الحصول عليه من معلومات في مكتبة الكونغرس الأمريكي في واشنطن وعبر اتصالاته المباشرة بشخصيات من عائلتي سعيد ومالك ومع زملاءِ لهما في مناصبهما المتعددة والبارزة في العالم، علماً ان مالك كان وزيراً للخارجية اللبنانية في أواخر خمسينيات القرن الماضي، وقبل ذلك مثّل بلده لبنان كسفير في أمريكا وشارك في وضع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إلى جانب اليانور زوجة الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت، قبل أن يترأس الجمعية العمومية للأمم المتحدة في عام 1958. وإدوارد سعيد كان مستشاراً للرئيس الفلسطيني ياسر عرفات وشخصية مقربة من قيادات منظمة التحرير الفلسطينية في منتصف سبعينيات القرن الماضي، وشارك في وضع اللمسات الأخيرة على خطاب عرفات الشهير في الأمم المتحدة في عام 1974 والذي قال فيه: «انني أحمل البندقية في إحدى يدي وغصن الزيتون في يدي الأخرى» إلى جانب مناصبه الأكاديمية خصوصاً في جامعة كولومبيا الأمريكية.

شارل مالك كان يُعتبر حليف أمريكا المقرب في الشرق الأوسط خصوصاً في الفترات التي كان الحزب الجمهوري الأمريكي في السلطة، في فترة حكم الرئيس دوايت ايزنهاور في خمسينيات القرن الماضي بمعاونة وزير خارجيته جون فوستر دالاس والمسؤولين الأمنيين في عهده.

وكان مالك يتمتع بنفوذ كبير في فترة حكم الرئيس ريتشارد نيكسون، أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات وفي عهد الرئيس رونالد ريغان في الثمانينيات.

أما إدوارد سعيد فكان مقرباً من الحزب الديمقراطي الأمريكي، وجناحه المعتدل المتحفظ إزاء الهيمنة السياسية والإعلامية والأكاديمية للصهيونية المؤيدة للاحتلال الإسرائيلي للفلسطين، لكون ادوارد ولدَ في القدس ونشأ في عائلة متمسكة بجذورها الفلسطينية حتى عندما عاشت في مصر أو أمريكا أو لبنان.

ويؤكد الكاتب أن سعيد تأثر فكرياً في شبابه بمواقف معلمه وقريبه شارل مالك ولكنه ابتعد عن هذا الموقف بعدما شعر بإحباط إزاء ما اعتبره موقف مالك المتخاذل بعد حرب الأيام الستة التي استولت خلالها إسرائيل على الضفة الغربية وغزة والقدس عام 1967. واعتبر سعيد انه كان من المنتظر من مالك استخدام نفوذه لدى أمريكا واتصالاته الوثيقة بقادتها لدعم الموقف العربي الفلسطيني ودفعهم لمواقف شبيهة لما فعلوه عام 1956 عندما أفشل الرئيس الأمريكي ايزنهاور الغزو البريطاني - الفرنسي - الإسرائيلي لمصر تحت قيادة الرئيس المصري جمال عبد الناصر.

وكان مالك لعب دوراً هاماً آنذاك وكذلك في عام 1948 عندما دافع كسفير لبلده عن حقوق الشعب الفلسطيني في الأمم المتحدة، وتحفظ إزاء مشروع تقسيم فلسطين على أسس إثنية وطائفية.

ولعل السبب في تبدل موقف مالك كان أن الرئيس الأمريكي ليندون جونسون، الذي ورث الرئاسة بعد اغتيال الرئيس جون كنيدي وكان رئيساً في عام 1967 اعتبره المراقبون أحد أشد قادة أمريكا تأييداً للأهداف والمشاريع الصهيونية الإسرائيلية ولم يكن بوسع مالك القيام بما كان يقوم به خلال عهود الرؤساء الجمهوريين السابقين، حسب قول المؤلف.

فقد كان مالك كما ورد في الكتاب، يملك خط اتصال مع وزير الخارجية جون فوستر دالاس وشقيقه آلان دالاس مدير وكالة الاستخبارات المركزية في عهد الرئيس ايزنهاور، وكانا يستمعان إلى نصائحه، هما وأعوانهم المسؤولين عن شؤون الشرق الأوسط وبينهم كيم روزفلت ومايلز كوبلاند وبيل ايفلاند إلى درجة انه بعد فشل غزو مصر ورغبة الرئيس جمال عبد الناصر بإعادة فتح قناة السويس، تحت شروط مفيدة لمصر وقيادتها، طلب الرئيس المصري من مالك (كوزير خارجية لبنان) المجيء إلى القاهرة والاجتماع معه في هذا الشأن، وقد تم مثل هذا الاجتماع في مطلع عام 1957 وساهم في تحقيق خطوات فاعلة لتقريب النظام المصري من الغرب قبل ان تعود مصر لاحقاً إلى الانفتاح على المعسكر السوفييتي. (ص 57). وطالب الرئيس عبد الناصر في الرسالة التي سلمها لمالك الانسحاب الإسرائيلي الشامل من سيناء وغزة لحل مشكلة قناة السويس. وقد حمل مالك الرسالة إلى باريس ولندن قبل ذهابه إلى نيويورك وواشنطن حيث اجتمع بالمسؤولين الأمريكيين حول ما ورد فيها.

لكن مالك كان في الوقت نفسه مؤيداً لـ(مشروع ايزنهاور) الذي صدَرَ في مطلع 1957 والذي نص على حماية أمريكا لأي دولة تتعرض لاعتداء عسكري من جيرانها، والذي تم استخدامه لدعوة قوات عسكرية أمريكية إلى لبنان في صيف عام 1958. وحاضرَ مالك على منبر هيئة الأمم المتحدة في نيويورك في 16 أيلول (سبتمبر) 1958 داعياً إلى مثل هذه الخطوة التي نُفذّت في لبنان.

ويعرض المؤلف طبيعة العلاقة بين سعيد ومالك مشيراً إلى: «تأثير حرب 1967 المفصلي الكبير على علاقة شارل مالك بإدوارد سعيد، فقد أصبح إدوارد مناضلاً فلسطينياً بكامل معتقداته وخياراته، فيما تحفّظ مالك إزاء مواقف القيادات الفلسطينية في لبنان آنذاك واعتنق القضية القومية اللبنانية ومواقفها». (ص 80).

وفي مقطع آخر في الكتاب، يقول المؤلف بإن مالك ربما كان يسعى للوصول إلى رئاسة الجمهورية اللبنانية بعد عودة نيكسون إلى الرئاسة الأمريكية عام 1968 (برغم انه ليس مارونياً في انتمائه المسيحي بل أرثوذكسياً) وان رسائل من السفير الأمريكي في بيروت في تلك الحقبة (دوايت بورتر) إلى الخارجية الأمريكية

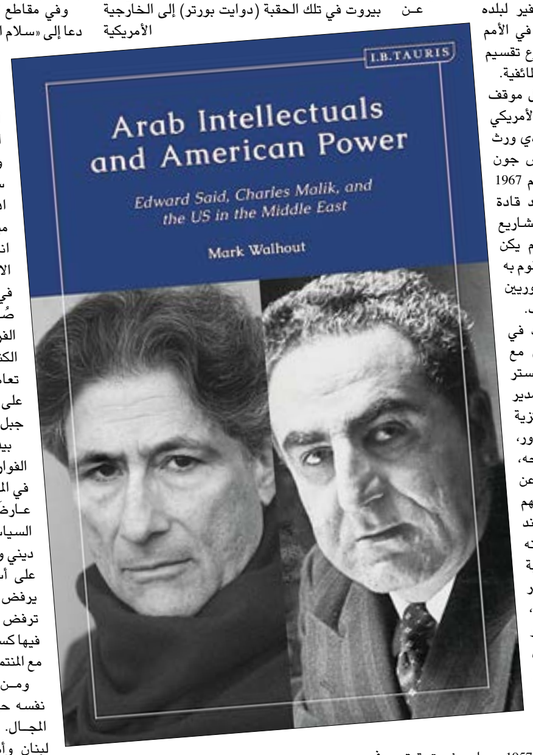

في (ص 92).

وفي مقاطع لاحقة، يقول الكاتب إن شارل مالك دعا إلى «سلام ابراهيمي إسلامي - يهودي - مسيحي» وليس إسلامياً يهودياً فقط كما حدث في كامب ديفيد بين الرئيس أنور السادات ومناحيم بيغين. علماً أن مالك كان من المؤمنين بوحدة الطوائف المسيحية الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية تحت سلطة البابا الكاثوليكي في روما. أما ادوارد سعيد فمع انه كان علمانياً في ميوله السياسية والدينية فإن عائلته انتمت إلى الطائفة البروتستانتية الانغليكانية، وصُلّي على جثمان والده في إحدى هذه الكنائس في بيروت بينما صُلّي على جثمانه هو ودُفن في كنيسة الفريندز في برمانا لبنان، وهي أقل الكنائس البروتستانتية تعصباً وأكثرها تعاطفاً مع القضية الفلسطينية. وقد دُفن على مقربة من مدرسة برمانا العالية في جبل لبنان التابعة لهذه المجموعة.

بيد ان الكاتب يشير إلى ان أحد أهم الفوارق بين إدوارد سعيد وشارل مالك في المجال الديني - السياسي كان أن سعيد عارضَ ورفض بوضوح إنشاء الكيانات السياسية في فلسطين وغيرها على أساس ديني ولذلك كان يرفض أي تقسيم لفلسطين على أساس عرقي - ديني، وبالتالي كان يرفض قطعاً أي دولة يهودية أو غير يهودية ترفض الاعتراف بأبناء الطوائف الأخرى فيها كسكان ومواطنين متساوين في حقوقهم مع المنتمين إلى الطائفة الحاكمة فيها.

ومن الملاحظ أن الكاتب ربما ناقض نفسه حول اختلاف مالك عن سعيد في هذا المجال. ففي خطابات مالك المتواصلة في لبنان وأمريكا عن الدور الرئيسي للمسيح والمسيحية ومبادئهما في تحرير العالم من الديكتاتورية والظلم كان هو أيضاً يرفض تقسيم فلسطين (أو غيرها) على أساس ديني ويعارض مبدأ الدولة اليهودية العنصرية الصهيونية منذ أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي. وكان يدعو إلى دولة فدرالية لبنانية في قالب شبيه بالفدرالية في الولايات المتحدة بحيث لا تهيمن أي طائفة دينية على الطوائف المنتشرة في الفدراليات المختلفة الأخرى تذرعاً بحجج دينية - سياسية.

وفي نهاية هذه المراجعة، لا بد من الإشارة إلى أن شارل مالك الفاعل في التأثير على القرارات الأمريكية تقلص تدريجياً عندما نجحت المنظمات واللوبيات الصهيونية في أمريكا في خلق بديل له مؤثر جداً على قرارات الرؤساء والمسؤولين الأمنيين في الولايات المتحدة الآلا وهو هنري كيسنجر الذي تمتع بالمؤهلات التي تسمح له بذلك.

والآن... لبنان وفلسطين هما في عهد مواجهة العنصرية والفشل الاقتصادي والمالي، ودول عربية أخرى ربما لحقت أو ستلحق بهما. وهذا أمر لن يفرح له لا شارل مالك ولا ادوارد سعيد (حيث هما) ولن يقضي على انجازاتهما كمفكرين بارزين تقاربا ثم تخاصما سياسياً فتباعدا.

M.D. Walhout: «Arab Intellectuals and American Power»
I.B. Tauris, London and New York 2021
295 pages.

المقال

عبدالباسط سيدا

ستبتسم سوريا بهمّة شبابها

حظي مسلسل «ابتسم أيها الجنرال» بالكثير من الجدل والانتقادات والإشادات والإسقاطات والمطالبات. هذا رغم أنه لم يتناول مرحلة الثورة، والحرب الطاحنة التي أعلنتها السلطة الأسدية على الشعب تحت شعار: «الأسد أو نحرق البلد». قد تكون هذه المرحلة موضوعاً لجزء آخر من هذا المسلسل غير المعهود من جهة الجرأة في العالم العربي. ولعل ما يفسر المتابعة الواسعة لهذا المسلسل مشاهدة وإشادة ونقداً وتحليلاً، هو أنه حاول ضمن حدود المتاح تقديم صورة من الداخل لسلطة مافيوية قائمة أنهكت الشعب ودمرت الوطن، واستخدمت، وتستخدم، كل الأدوات والأساليب الوحشية والتنازلات الوطنية من أجل البقاء.

والجدير بالذكر في هذا السياق، هو أنه رغم حرص القائمين على المسلسل على تأكيد خيالية الأحداث والشخصيات، وبما لاعتبارات لها علاقة بأجهزة الرقابة والمولين وجهات التسويق ومحطات البث، فإن المشاهدين المتابعين له سرعان ما اكتشفوا تقاطعات كثيرة بين الأحداث التي تناولها المسلسل وتلك التي جرت في سوريا ولبنان، خاصة موضوع توريث الجمهورية بموجب الترتيبات التي كان الأسد الأب قد اتخذها قبل وفاته، وبناء على التوافقات الطوعية–الإجبارية التي كانت بين أركان الحكم من عسكريين وأمنيين والواجهات المدنية. بل لاحظ المشاهدون حتى وجه الشبه في الملامح الشخصية بين بعض الممثلين وقسم من أولئك الذين أسهموا في تزيين عملية التوريث، البدعة غير المسبوقة في الجمهوريات العربية رغم مساوئها الكثيرة، وحتى على المستوى العالمي بهذا الشكل المفضوح ما عدا كوريا الشمالية بطبيعة الحال.

وبعيداً عن الانتقادات التي تناولت المسلسل من الناحية الفنية، وعدم التناسب بين خبرة الممثلين المحترفين والمستجدين، والمسائل التقنية الأخرى التي من الأفضل أن تترك لأصحاب الاختصاص والمطلعين على كواليس المسلسل ومصادر المعلومات؛ نرى أن المسلسل قد نجح على صعيد المتابعة الكثيفة له من جانب السوريين بصورة عامة، ومن جمهور عربي واسع. وهذا ربما يجد تفسيره في طبيعة الأسلوب غير العادي الذي اعتمده القائمون على المسلسل في عرض الأحداث، ودخولهم المساحات الخطرة جداً، وفق سياسات ومعايير الأنظمة الاستبدادية، بشجاعة استثنائية، وبلغة واضحة عارية لا تحتاج إلى التأويل أو التفسير.

الأمر المهم بالنسبة إلى هذا المسلسل غير المسبوق في الدراما السورية، بغض النظر عن كل الملاحظات التي سجلت، أو ستسجل حوله، وبمنأى عن التشكيك الذي تناوله، أو سيتناوله، فإنه قد أثبت قيمة القدرات الكبيرة المخزنة لدى السوريين، ووصولهم إلى حد الاستعداد للمجازفة بكل شيء في سبيل التعبير عن آرائهم بحرية، هؤلاء الذين أضطروا نتيجة عدم قبولهم بفساد السلطة الأسدية واستبدادها، بل إدانتهم لممارساتها، إلى الخروج من البلد، حفاظاً على أرواحهم، وسمعتهم، وبحثاً عن حريتهم.

فمنذ بدايات الثورة السورية أعلن الكثير من الفنانين السوريين والفنانات السوريات وقوفهم إلى جانب شعبهم، وتخلوا عن الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها؛ وتحمّلوا التهديدات والحملات المغرضة التي تعرضوا لها. ولكن الأمر المؤسف هو أن مؤسسات المعارضة الرسمية لم تتمكن، لأسباب كثيرة يطول الحديث حولها، من استيعابهم، وعجزت عن تأمين الحد الأدنى من الشروط الضرورية لتمكينهم من الاستمرار في تأدية رسالتهم الفنية على ضوء التزامهم بأهداف ثورة شعبهم.

لقد هتك هذا المسلسل ستر الزمرة الحاكمة وكشف عن وجهها القبيح، ومكّن المشاهدين من الاطلاع على حقيقة السلوكيات الإجرامية التي اعتمدتها السلطة الأسدية، ومازالت تتعمدها منذ أكثر من نصف قرن، وماهية العلاقات المشبوهة التي نسجتها مع الجهات الخارجية، كل ذلك من أجل البقاء والتحكّم بمصير الشعب وموارد البلد.

كما ألقى المسلسل الضوء على جانب من الصراعات التناحرية ضمن زمرة الحكم، داخل الأسرة الأسدية نفسها وبين الضباط التابعين لها؛ وتناول في الوقت ذاته العلاقات الوثيقة بين السلطة الأسدية ومافيات الفساد وشبكات الإجرام، ورصد طريقة فبركة الجماعات الإرهابية، وتسويقها بأسماء وشعارات إسلاموية، استغلت لاحقاً لتشويه الثورة السورية، وأغراقها بجماعات مشبوهة، أسهمت في تشكيلها الأجهزة المخابراتية بهدف ترويع السوريين المطالبين بالحرية والكرامة والعدالة، ووضع العالم أمام خيارين سيئين هما: إما الإرهاب أو الاستبداد والفساد، وهذا ما أعطى المسوغات لتدخل الجيوش والميليشيات بذريعة محاربة الإرهاب الوظيفي المصنع من جانب السلطة المعنية وأجهزة مخابرات الدول.

ما ميّز مسلسل «ابتسم أيها الجنرال» عن غيره من المسلسلات السورية، أنه قدّم رسالته بعيداً عن أساليب الاختباء خلف الأحداث التاريخية، وتمجيد الماضي؛ أو الوقوف عند الفولكلور المتخيل المتماهي مع توجهات ومطالب السلطات، وتجاوز حدود المطالبات التقليدية المكررة، التي تكتفي عادة بالدعوة إلى تقويم الاعوجاجات في الهوامش، وتلتزم الصمت إزاء جرائم زمرة القرار. فالعمل الذي نتحدث عنه قطع تماماً مع عقلية تفريغ الشحنات التي هميئت، وما تزال تهيمن، على الأعمال الدرامية السورية الحريصة على التزام الحدود التي يرسمها الرقيب، فهو بعد الثورة، فاليوم نرى أن الشباب السوري في المهاجر قد حققوا الكثير من الإنجازات اللافتة المبشرة، وذلك بعد أن تحرروا من تأثيرات آليات التسطيح والقولبة والتلقين العقيم وتقنيات القمع؛ وامتلكوا المعارف، واطلعوا على المناهج العلمية المستقلبة المتبعة في التفكير والبحث العلميين، واطلعوا على تجارب الشعوب في ميدان التعامل مع التعدد والتنوع ضمن إطار وحدة الشعب والوطن.

إلى جانب هؤلاء الشباب، هناك مئات الآلاف من الأطفال السوريين الذين يكتسبون أحدث المعارف، وبأرقى المناهج والأساليب التربوية في مختلف أنحاء العالم، لا سيما في الدول الأوروبية؛ وهذا فحواه أن هذا الجيل الجديد المتميز من السوريين سيكون حجر الأساس في بناء سوريا المستقبل التي ستضمن العيش الحر الكريم لسائر مواطنيها من دون أي استثناء أو تمييز، بعد الخلاص من رجس الزمرة الآثمة التي دمرت العمران، وحولت الاجتماع إلى حطام.

اليوم هناك نشاط سوري متميز في المهاجر يشمل مختلف الميادين العلمية والفنية والسياسية والاقتصادية والمهنية، وهو نشاط يثير الاهتمام، ويجدد الأمل، وسيكون له دور هام مستقبلاً إذا ما تم تنظيمه ضمن مؤسسات مهنية قادرة على التنسيق في ما بينها بغية تذليل العقبات وتبادل الخبرات والمعارف، وتحقيق صيغة من التكامل بين مختلف الاختصاصات؛ وبناء العلاقات مع المؤسسات الدولية التي ترعى الجهود الإبداعية وتدعمها، وتلك التي تدافع عن حقوق الإنسان، والتواصل مع المؤسسات الإعلامية، ومفاصل التأثير في الرأي العام، وتمتين الأواصر مع الداخل الوطني؛ فكل ذلك سيؤدي إلى التأسيس لرؤية سورية جديدة، تتحرر من النزعات العصبية بأشكالها المتباينة، وتتعامل مع الظواهر والمعطيات بعقلية نقدية، تساهم في عملية التحرر من الأوهام والأضاليل.

ومع تشكّل هذه الرؤية السورية الجديدة ستصبح إمكانية بناء منظمات المجتمع المدني، والأحزاب السياسية الوطنية الجديدة إمكانية واقعية مجدية؛ ومن المأمول أن تركز هذه المنظمات والأحزاب على البعد الوطني السوري، وتستفيد في برامجها وتوجهاتها من التجارب والأخطاء التي كانت، لتؤكد أهمية ترميم النسيج المجتمعي الوطني السوري بتنوعه وتعدديته، وتعمل لتحقيق ذلك من خلال إزالة الهواجس بعقود مكتوبة، وتعزيز أواصر الثقة بممارسات وسلوكيات تترجم واقعا على الأرض، ووضع الضوابط لإدارة الخلافات بهدف وضع الحلول عبر تدوير الزوايا، والتركيز على نقاط الاتفاق، وترحيل نقاط الخلافات لمعالجتها مستقبلاً.

وكل ذلك من شأنه التمهيد للوصول إلى توافق وطني عام، يقوم على احترام الخصوصيات، والاعتراف بالحقوق، والتأسيس لمشروع وطني سوري جامع يقطع مع سائر أشكال التطرف سواء الديني أم القومي أو المذهبي والأيديولوجي، ويفتح الطريق أمام نظام حكم عادل، يعتمد آليات المساءلة والمحاسبة الشفافة لسد الطريق أمام الفساد والاستبداد.

كاتب وأكاديمي سوري

رأي

كاريكاتير: اسامة حجاج

النصية القرآنية بين الكوني والعالمي

سعيد يقطين

كتبت مرة: لماذا لا نقرأ حين نقرأ؟ وكنت أقصد أننا لا نقرأ ما هو مقدم إلينا، ولكننا نبحث فيما نقرأ عما يتفق مع أهوائنا، وعندما لا نجده، نصادر ما نقرأ بدون بذل جهد بسيط لفهم ما قرأناه. لقد تعلمنا من أنظمتنا التلفيق، ولذلك نبادر إلى توزيع الاتهام بلا تثبت أو تريث. أشكر كل المتفاعلين مع ما كتبته حول الكونية والعالمية بالتعجب، أو بإصدار حكم، أو بالتأييد، أو المطالبة بالتوسع. أستفيد من كل الملاحظات، ولا أحب خوض النقاشات لأنها تستدعي شروطا معرفية غير متوفرة لدينا. كنت أنتظر أن يدور النقاش حول تصوري للنص، وللأنموط، وللنصية، ولتمييزي بين النصيتين الكونية والعالمية، ومدى دقة المعايير التي اعتمدتها في ذلك. أن تكون الملاحظات حول شرعية سؤال: كيف ولماذا ندرس القرآن الكريم؟ وضرورة وضع النص القرآني في سياق النص الذي نقرأ ونتفاعل معه أيا كان هذا النص؟ هذه الأسئلة يمكن أن تكون مدخلا للتطوير والتفاعل الإيجابي، وللتجديد أيضا.

أنطلق أولا من سؤال الكيف واللماذا لأن ما يتعلق بتصوري للنص والنصية مقدم في مختلف كتبي. إن هذين السؤالين حول أي ظاهرة أو نص يتغيران بتغير الزمن لتغير المعارف. لا يمكنني فهم أو تفسير الشعر أو السرد العربيين كما فهما في مختلف الأزمنة السابقة. ويمكن قول الشيء نفسه عن القرآن الكريم، والحديث النبوي. لا بد من الإحاطة والاستفادة مما أنجز تاريخيا. لكن الوقوف عليهما إلغاء للعصر المعرفي الذي أعيش فيه. فقراءة القرآن الكريم عند ابن عباس ليست هي قراءة الزمخشري أو ابن حزم الأندلسي. ويمكن لمن يود التأريخ لتفسير القرآن الكريم أن يجعل هذين السؤالين منطلقا، وسيعاين التغييرات التي طرأت مع تغير المعارف في الزمن.

أما موقعة النص القرآني ضمن نظرية محددة للنص كما اشتغلت بها، وأريد تطويرها لأنه ما كان لي لأفكر فيها لولا إقدامي على البحث في سردية القرآن الكريم، فضرورة أملاها علي اطلاعي على مختلف الكتابات التي تدعي أنه نص مثل غيره، أو يعزى إلى بشر. وهذا هو التصور الذي ينطلق منه الغربيون، والمستشرقون، ومن يسير على منوالهم من بعض الباحثين العرب. ولذلك اعتبرت هذا السؤال مركزيا في تصوري، وجعلته مقدما على طرح سؤال الكيف واللماذا. إنه بدون تدقيق الأنموط والنصية سيظل الاختلاف بيننا في فهم النص، وعدم التمييز بين نص وآخر، وانتماء كل منهما إما إلى جنس أو نوع، بدون تأطيره ضمن بنية نصية كبرى مختلفة تستوعب أنماطا متعددة.

إن هذا التمييز انطلاقا من الأنموط دفعني إلى اعتماد معايير للتفريق بين أنموطين مركزيين هما: الكوني والعالمي. وعندما أعطيت مثال هوميروس وسيرفانتيس، أردت فقط إبراز أن تحليل أي منهما يفرض علينا رؤية كل منهما للعالم في ضوء النصية التي ينتمي إليها. وبذلك نتجاوز الرؤية السائدة في تحليل النصوص كما هو متداول في النظريات الغربية المختلفة. لم يكن قصدي مضاهاة القرآن الكريم بالأساطير وكتب العجائب، وغيرها. إنني حين أضعه ضمن النصية الكونية أريد من التحليل أن يبرز لي الفروق بين هذه النصوص في تمثل العالم، والقرآن الكريم لأنه سيبدو (بدا) لي مختلفا اختلافا جذريا عنها، وأنا أحلله (سأحلله) باعتباره مادة حكائية (قصة) وخطابا، ونصا، وهذا هو التمييز الذي اشتغلت به منذ انفتاح النص الروائي (1989)، ووضعت أسسه في تحليل الخطاب.

وحتى المقارنة بين القرآن الكريم، وهذه النصوص الكونية المختلفة، وضمنها العهد القديم والجديد ليست مما يمس بقدسية القرآن الكريم. فاليتا نص القرآني نفسه يقارن النص القرآني بغيره، ويرد على من يدعون على أن مصدره بشري: «ولقد نعلم أنهم يقولون: إنما يعلمه بشر. لسان الذي يلحدون إليه أعجمي، وهذا لسان عربي مبين» (النحل 103). إن المقارنة هنا ليست فقط لغوية (أعجمي - عربي)، ولكنها تتضمن أيضا ما يتعدى اللغة إلى الشكل، في سؤال الكيف، (لا يؤتى بمثله) والمحتوى، سؤال اللماذا، (يهدي للتي هي أقوم). إنها تتحقق داخل النصية الكونية.

لقد اعتبرت سؤال موقعة النص القرآني ضمن غيره من النصوص أساسيا ومركزيا، بل هو المدخل الطبيعي لممارسة تحليله تحليلا ملائما. كما أعتبره في الوقت نفسه ما يدفعني إلى تطوير تصوري للنص، والتمييز بين النصوص، ليس فقط باعتماد مقولات مثل الجنس، والنوع، ولكن بإدراج النمط أيضا. هذه التمييزات حين لا تتأطر، ليس فقط ضمن الأنماط، ولكن ضمن التمييز بين الأنموطين المركزيين، أو النصيتين الكبريين أيضا، ستجعلنا نتعامل مع جلجاميش على أنها «ملحمة» بصفتها نوعا سرديا لا تختلف عن أي نص سردي إلا بسبب انتمائها إلى نوع معروف. أما الانطلاق من النصية الكونية فتضعنا أمام ضرورة وضعها في سياق يتجاوز النوع إلى النمط. لقد اختفت الملحمة بصفتها نوعا، لكن النمط الخاص بالعلاقة بين السرد والتجربة الإنسانية موجود دائما (الكلام والخبر).

وللتدليل على ذلك أعتبر رواية الخيال العلمي والفنطازيا، باعتبارهما نوعين سرديين جديدين في العصر الحديث مثلا، يندرجان في نطاق النصية الكونية، مع فارق جوهري يتصل بالعصر. فما كان آلهة، أو طوطم أو ما يشبه (العالم العلوي) في النصوص السردية القديمة، صار «كائنات فضائية ذكية» (Aliens) تريد غزو الأرض والسيطرة عليها. لقد تغير النوع، لكن النمط واحد، اتخذ مواصفات جديدة تتصل بالعصر التكنولوجي الذي نعيش فيه. وسنجد أن ما تشترك فيه النصوص السردية حسب الأنموط الكوني مختلفة عن نظريتها المتصلة بالأنموط العالمي على مستويات متعددة. وفي هذا نافذة لمن يريد توسيعها، والبحث في إطارها.

أما الأنموط العالمي فجعلته مقتصرا على ما يتصل بتجربة الإنسان مع العالم الذي يعيش فيها في مواجهة أخيه - عدوه الإنسان، أو الطبيعة. ومقارنة بسيطة بين رواية بوليسية مثلا، ورواية الخيال العلمي الجديدة التي ظهرت مع الثورة الجديدة للمعلومات والتواصل، تبين لي الفرق الكبير بينهما، وهو الفرق نفسه الذي أجده أيضا داخل كل أنموط لاختلاف الأنواع التي يندرج تحتها. فالكتاب المقدس ليس القرآن الكريم رغم اندراجهما معا ضمن الأنموط الكوني. وقس على ذلك.

يقودنا الفرق بين الكوني والعالمي إلى البحث فيما ينضوي تحت كل منهما من أنواع فرعية وفق معايير تجعل بينها اختلافات رغم الائتلاف العام بينها. ولا ينسينا هذا الأساس المنطلق منه حول الأنموط المحوري (البنية النصية الكبرى) أن أيا من الأنموطين يمكن أن نجد فيه ما نراه في الأنموط المقابل، لكن الهيمنة تكون لما يجعلنا نميز بينهما.

لقد جعلت القرآن الكريم سن الانطلاق لتطوير المفاهيم التي ذكرت استنباطا لا استقراء. ولذلك كان أساسَ التمييز بين الأنموطين بناء على ما يقدمه لنا بخصوص ما يتشكل منه الأنموط الكوني في كليته وشموليته. إن فيه تأكيدا على إنسانية هذا الأنموط، من خلال «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا»، و«لقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك، ومنهم من لم نقصص عليك». وفي هذا تبدو لنا العلاقة بين العلوي والسفلي، والدنيوي والأخروي في الكثير من النصوص من حضارات قديمة تتجلى من خلال النصوص السردية: الحكايات والأساطير والملاحم، والكتب المقدسة.

كاتب من المغرب

الأرض الحرة

بدأ آلاف من السكان الأصليين من أنحاء البرازيل بإنشاء مخيم في مدينة برازيليا تحت عنوان «الأرض الحرة» لمناقشة قضاياهم ومطالبهم وحقوقهم الثقافية ومدى تعامل السلطات التشريعية والتنفيذية معها، ويعد هذا التجمع النسخة الـ19 من مخيم أو معسكر الأرض الحرة للسكان الأصليين في البرازيل، الذي بات تقليدا ومرجعا للتعبئة الاجتماعية الديمقراطية والتشاركية، كما يعد النسخة الأولى منذ استحداث وزارة الشعوب الأصلية التي وعد بها الرئيس لولا دا سيلفا خلال حملته الانتخابية الأخيرة.

والسكان الأصليون قبائل شبه بدوية تعيش على الصيد والزراعة، ولمئات السنين، أداروا الغابات لتلبية احتياجاتهم.

أداب وفنون

في عدادها حركة الزنوجة وشعر السوداني محمد الفيتوري: قصائد سمراء البشرة

عبد الواحد لؤلؤة

لا أحسب أن صفة أسمر وسمراء لها وجود أو مقابل دقيق في اللغات الأوروبية الحديثة، بل ولا حتى في اللغات الكلاسية مثل الإغريقية واللاتينية، وإلا لاستعارتها اللغات الأوروبية الحديثة التي تطورت عن تلك اللغات الكلاسية. ثمة صفة «بُنّي وبُنّية» وهما أقرب إلى صفة أسود وسوداء وفي الإسبانية توجد صفة «مورينو ومورينا» مأخوذة من الاسم «مورو» من ما يطلق على أهل أفريقيا الشمالية على الخصوص. وفي بعض شعر الغزل الإسباني الحديث نقرأ: «لوس أوخوس دي لا مورينا مي إنكانتان» عيون السمراء تسحرني. وقد اشتق الفرنسيون كلمة «برونيت» أي الفتاة ذات اللون البني المختلف، أي المزيج بين الأسود والأبيض. ولكن لا توجد هذه الصفة للمذكر. لذا لا نجد لوصف البشر سوى الأبيض والأسود في اللغات الأوروبية الحديثة. بينما في اللغة العربية نجد الرجل الأسمر والفتاة السمراء وهما من صفات الجمال في شعر الغزل. وثمة الكثير من الأمثلة على ذلك في الشعر العربي التراثي، امتدادا إلى غزليات نزار قباني: «قالت لي السمراء».

وإذا كانت صفة السواد عندما تطلق على الإنسان تكون إهانة في اللغات الأوروبية فهي ليست كذلك في اللغة العربية، لأنها لم تطلق على الإنسان إلاّ في حالات أقل من القليل، كما في هجاء المتنبي لكافور الإخشيدي: من علّم الأسودَ المَثقوبُ مِشفَرُهُ/ أقومُه البيضُ أم آباؤه الصِيدُ؟ وقد حرّك ذلك القليل بعض الكرام الكاتبين، في عصر لاحق، فاتّهموا المتنبي بالعنصرية وكراهية السود! ولكن «الذكاء الأمريكي» المعاصر قد إحتاط لتجنّب مثل تلك التُهمة، محتملة الوقوع، فابتدعوا لوصف الأمريكي الأسود إسم «أفريكان أميريكان» فصار بعض «الظرفاء» يتحرّجون من طلب قهوة سوداء، أي بلا حليب، في المطعم، فصاروا يطلبون «أفريكان اميريكان كوفي»!!!

وصفة السواد في العربية قد تطلق للتحبّب، كما في القصيدة «اليتيمة» الشهيرة، التي يصف فيها الشاعر غادةً نجديةً لم يرَ‌ها قَط:

فالوجهُ مثل الصبح مُبيَضٌّ/والشعرُ مثلُ الليل مُسوَدُّ. ضدّان لما استُجمِعا حَسُنا/ والضدُّ يُظهر حُسنَه الضدُّ.

والعراق يوصف في كتب التراث باسم «أرض السواد» لكثرة النخيل فيه. أما الفارس الشاعر عنترة ابن شداد وحبيبته عبلة فلم يكن سواد البشرة فيهما منقصةً أو مذمّة. وهذا هو النقيض في استعمال صفة السواد بين ثقافتين.

وقبول الإنسان أسود البَشَرة، بل أسمَرُها، في التراث العربي، لا مقابلَ له في «الحضارة الأوروبية». بل إننا نجد أمثلة من التعصّب الأعمى ضد أصحاب البشرة السمراء في أوروبا وأمريكا، على امتداد العصور. لكن في أواسط القرن العشرين ظهرت في فرنسا حركات تدعو إلى إنصاف أصحاب البشرة السوداء أو السمراء، أهمها حركة «الزنوجة» بزعامة الشاعر سانكور الذي أسّس مجلة «الطالب الأسود» التي تسعى إلى إبراز القيَم الاقتصادية، والثقافية، والفكرية، والأخلاقية، والفنية، والاجتماعية، لشعوب أفريقيا، والأقلّيات السوداء في أمريكا وآسيا. وقد برز من الشعراء إلى جانب سانكور الشاعر نوكان شارل من «ساحل العاج» الذي يقول:

«لم أُعِد أغنّي/ لم أُعِد أغنّي، أنا أصرخ./ فحين يموت الأطفال جوعاً،/ لا يهمّني أن أعرف كم هو البدرُ جميل،/ ولا كم هو ساحرٌ عطرُ الزهور؛/ فأنا لم أُعِد أُغنّي:/ إنني أطلق صرخاتٍ ثائرة».

عندما يقرأ الإنسان الحسّاس هذه القصيدة لا يتوقف للتساؤل هل هذا الشاعر أبيض البشرة أم أسمرها، لأن استجابة الأحاسيس لا لون لها.

وعندنا في الشعر العربي المعاصر أمثلةٌ من الشعراء سُمر البشرة، مثل محمد الفيتوري، تاج السرّ حسن، محي الدين فارس، ولهم مجموعات طيبة من الشعر مثل:

«نار من رماد الأشياء» و«عرياناً يرقص في الشمس» و«أغاني أفريقيا» و«عاشق من أفريقيا» و«أذكريني يا أفريقيا»... وفي هذه جميعاً أمثلة من الشعر الرائق.

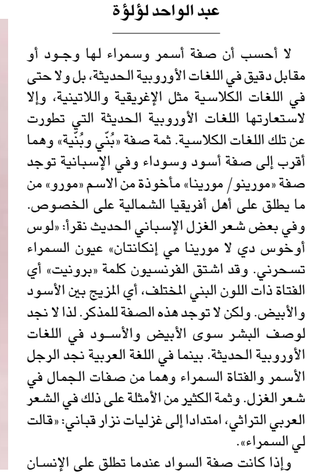
سنكور

محمد الفيتوري

فهل نتنكّر لها لأن الشاعر غير أبيض البشرة؟

هذا مثال من شعر محمد الفيتوري (1936– 2015) يستذكر مشاعر حركة الزنوجة في فرنسا، ولكن باللغة العربية الأقرب إلينا صوراً ومشاعر:

«جَبهةُ العبد... ونَعلُ السّيد/ وأنينُ الإسوَدِ المُضطَهِد. تلك مأساة قرونٍ غبرت/ لم أُعِد أقبَلُها... لم أُعِد.

ومثال آخر في الشوق:

«في حضرةٍ من أهوى عَيَّثتُ بيَ الأشواق/ حدّقتُ بلا وَجهٍ ورقصتُ بلا ساق./ ورَحمتُ برایاتي وطبولي الآفاق./ عشقي يُغني عشقي وفنائي استغراق. / مملوكك لكنّي سلطان العشاق».

ومن شعر محي الدين فارس، المولود عام 1936 نقرأ هذه الصرخه من شاعر ملتزم بالإنسان دون التزامه بأي مذهب سياسي:

«أنا لستُ رعديداً يُكبّلُ خَطوَه ثقَلُ الحديد/ وهناك أسراب الضحايا الكادحون/ العائدون مع الظلام من المصانع والحقول/ ملأوا الطريق/ عيونُهم مجروحةٌ الأغوار ذابلةُ البريق / يتهامسون/ وسياطُ جلاّد تسوق خُطاهُم وما تصنعون/ يُجَلجِلُ الصوتُ الرهيبُ كأنه القدَرُ اللعين/ تظل تغفر في الدجى المشؤوم أفواهُ السجون/ فيغمغمون/ نحن الشعوب الكادحون/ وهناك قافلةٌ تُوَلولُ في متاهات الزمان/ وبلا دليل/ عمياءُ فاقدة المصير.../ وغداً نعود /حتماً نعود/ للقريةِ الغنّاء للكوخ الموشّح بالورود/ نسير فوق جماجم الأسياد مرفوعي البنود/... لا لن نحيد عن الكفاح/ سنعود أفريقيا لنا وتعود أنغامُ الصباح/».

وهذا مثال من الشاعر السوداني الدكتور تاج السرّ الحسن (1935– 2013) من قصيده بعنوان «آسيا وأفريقيا» يتضح فيها التوجّه إلى العالم الأوسع حول الشاعر دون الانحصار في حدود وطن الشاعر:

«عندما أعزفُ يا قلبي الأناشيد القديمة/ ويُطلُّ الفجرُ في قلبي على أجنُح غَيمَه/ سأغنّي آخر المقطع للأرض الحميمة/ للظلال الزُرق في غابات كينيا والملايو/ لرفاقي في البلاد الآسيَوية/ للملايو ولبانْدونجَ الفتيّة/ لليالي الفرح الخضراء في الصين الجديدة/ والتي أعزف في قلبي لها ألف قصيدة/ يا صحابي صانعي المجد لشعبي/ يا شموعاً ضوؤها الأخضرُ قلبي.../ سوف نَجتثُ من الوادي الأعادي/ فلقد مُدَّت لنا الأيدي الصديقة/ وَجه غاندي وصدى الهند العميقة/ صوت طاغور المغنّي/ بجناحين من الشعر على رَوضَةِ فنٍّ/يا دمشقُ... كلنا في الفجر والآمال شرقٌ...».

ولا أجدُ بأساً من العودة إلى شعر محمد الفيتوري لما في شعره من بساطة وعذوبة «تدخل إلى القلب بدون استئذان» كما قيل عن شاعر عربي تراثي كبير. يقول الفيتوري في قصيدة بعنوان «كلمات مقاتلة» من مجموعة «عاشق من أفريقيا»:

«صناعتي الكلام/ سيفي قلمي/ وكلُّ ثروتي شعورٌ ونَغم/ وحينما غَنّيتُ... غنّيتُ لعينيك/ ومسّت شفتي في وَلَهٍ رموشَها/ حينئذٍ رأيت فيهما توهّج الألَم/ رأيت فيهما العذابَ والشموخَ والشمَمَ/ صناعتي الكلام/ لا وسام لا وشاح لا ذهب/ لا رايةٌ تُظلّني... ولا لقب/ فلتغفري لي أنني أجيء في نهار عيدك الكبير/ أجيء والشمس على صدرك ماسَةً زرقاء تأتَلِق/ صدرك يا رائعةَ الجراح قُبّةَ الأفُق/ وعرشُك الرياحُ والجبالُ والسحب».

في تراث الشعر العربي، كما في الشعر العربي المعاصر، وباللهجة العامية على الخصوص، ما يزال الموقف الجمالي من الأسمر والسمراء قائما، وبشكل واضح جدا في الزجل اللبناني، وأغاني فيروز. وما زلتُ أذكر أني في خريف 1952 سمعتُ للمرة الأولى أغنية فيروز الأولى من «محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية»: «سوقي القطيعَ إلى المراعي/ وامضَي إلى خُضر البقاع/ ملاّ الضحى عينيك بالأطياف من رقص الشعاع... سمراء يا أنشودة الغابات، يا حُلُم المراعي...».

هل بعد هذه الرقّة من رقّةٍ وعذوبة يا آذان البشَر في الغرب المتحضر؟

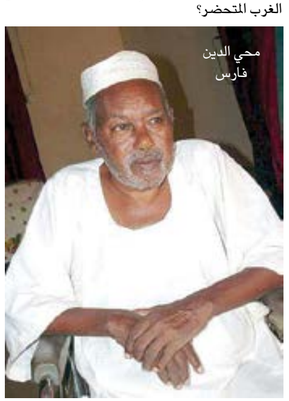
محي الدين فارس

حسن طوافرة بائع الغاز الفلسطيني صار رساما بارعا يرسم ملامح الوطن بريشة حالمة

الناصرة ـ «القدس العربي»: وديع عواودة

ولد الفنان الفلسطيني حسن طوافرة في مدينة طبرية المهجّرة داخل 1948 عام 1945 ولاحقا رافق عائلته المهجرة في نكبة 1948 للإقامة في بلدة المغار المجاورة وما زال يقيم فيها حتى اليوم. أحب الرسم منذ كان طفلا يرسم على الجدران وأغطية دفاتره والتحق في ورشات لتعليم الرسم في مرحلة متأخرة من حياته بعدما قرر احتراف الرسم. حرمته النكبة الفلسطينية من مواصلة تعلمه فاضطر لمغادرة مدرسته الابتدائية لمساعدة العائلة في معيشتها، ومن أجل تأمين لقمة العيش عمل سائقا لشاحنة عدة سنوات وموزعا لأنابيب الغاز لكن لوحاته تعكس روحا رقيقة وجميلة. رسم طوافرة مئات من اللوحات الفنية الواقعية وظلت مشاهد الطبيعة والأرياف حاضرة فيها علاوة على مدينته طبرية مثلما تشكل المرأة موتيفا دائما فيها. شارك طوافرة في عشرات المعارض الفنية المحلية والعربية والدولية من الناصرة وعكا وطمرة إلى طابا وشرم الشيخ والقاهرة والعقبة وغيرها. وما زال يمارس هوايته المفضلة السباحة والمشي في الطبيعة ومن أجمل هواياته سماع موسيقى الزمن الجميل ويطربه الصوت الجبلي ويدغدغ وجدانه صوت اليرغول وقد أجرت «القدس العربي» معه هذا الحديث بلحن طبراني.

في بداية الحديث عاد طوافرة لمسقط رأسه طبرية المدينة الفلسطينية الأولى التي احتلتها العصابات الصهيونية بدعم الاستعمار البريطاني في أقسى الشهور بالنسبة لأهلها وله نيسان.

ويوضح أن والده كان يعمل في ميناء طبرية الصغير في نقل رمل البناء من القسم الشرقي للبحيرة وبالتحديد في منطقة البطيحة المتميزة برملها الناعم بالقوارب الصغيرة. لافتا إلى أن عائلته عربية بدوية تعمل في الزراعة وتقيم في المنطقة الشمالية المحاذية للمدينة في جوار البحيرة التي ما زال يراها من بيته في مدينة المغار المجاورة فتنتج داخله شعورا مختلطا فيرى مسقط رأسه كل صباح لكنه يحرم من العودة لها ويتابع «أحاول إطفاء الحنين لمسقط الرأس بزيارتها برفقة الأحفاد لكنني لا أعود من هناك وقد اشتعل الحنين أكثر فأكثر». ويكشف أن والدته مناضلة وعصامية ويستذكر أنها خرجت يوم ولدته للطبيعة لتجميع النباتات الصالحة للطعام خاصة نبتة العكوب برفقة الجارات وهناك باغتها المخاض فولدته وعادت به للبيت ووجدت أن ضيوفا قد زاروا زوجها وشرعت في تأمين وجبة طعام ويتابع مبتسما «روت لي والدتي أن والدي سمع صوت بكاء رضيع فسألها من غرفة استقباله الضيوف من عندنا ومن زارنا فقالت له: جاءك صبي مبروك».

وفي هذه الأيام صدر كتاب المؤرخ الفلسطيني بروفيسور مصطفى عباسي الطبعة العربية حول طبرية في فترة الاستعمار البريطاني بعد صدور الكتاب بالعبرية قبل عام، وفيه يكشف كيف امتازت العلاقات العربية اليهودية في طبرية قبيل نكبتها وكيف تجاهل اليهود جيرانهم الفلسطينيين وهم يهجّرون من بيوتهم. ويوضح المؤرخ الفلسطيني بروفيسور مصطفى كيها أن علاقات العرب واليهود في طبرية كانت ممتازة حتى ما زاد عدد المهاجرين اليهود الغربيين ونشوب الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936 ومقتل رئيس بلديتها اليهودي زكي حديث فتردت وتوترت العلاقات ويضيف «لذلك عندما حلّ عام 1948 سارع اليهود للانقضاض على بيوت وممتلكات جيرانهم العرب».

عن ذلك يقول حسن طوافرة: «طالما سمعت من أقاربي الكبار أنه قبل أن تنشط الصهيونية في البلاد كان اليهود في طبرية يتحدثون في بيوتهم بالعربية وامتازت علاقاتهم بالفلسطينيين بالجيرة الحسنة والإخوة، لكن الصراع الكبير أدى لتنازل اليهود عن جيرانهم والسكن في بيوتهم وسرقة ممتلكاتهم وهذا موجع ومؤسف» ويكشف طوافرة أنه يعوض الفقدان بالرسم فطبرية دائمة الحضور في رسوماته وعن ذلك يقول مبتسما: «وما الحب إلا الحب الأول. زرتها للمرة الأولى وأنا صبي صغير بعدما حرمتني النكبة من المدرسة فخرجت لمساعدة أهلي في معيشتهم. في طبرية بدأت أعمل وأذهب لأعوم في البحيرة يوميا وهذه متعة كبيرة بالنسبة لي. وحدث أن تواجدت هناك عدة مرات وقد أنقذت أناسا كادوا يغرقون منها غرق طفلين في البحيرة فيما كان والدهما اليهودي المتدين يصرخ ويقرأ آيات دينية فلم أتردد بالقفز للمياه وإنقاذهما وعندما خرجت شكرني وقال إنه سينشر ما قمت به في الصحافة فسألني عن اسمي فقلت: حسن وعندها قال: وكيف يكون يهودي وحسن؟ فقلت له أنا عربي. عندها انسحب دون أن ينبس بكلمة واحدة».

حكايتي مع الرسم

في قرية المغار تعلم الفنان طوافرة السنوات الأولى من المدرسة الابتدائية وهو يتذكر أن معلّمته في الصف الأول نهاد خنجر، ابنة بلدة الرامة، حكت له ولأبناء صفه حكاية خيالية وطلبت منهم جميعًا أن يضعوا رؤوسهم على سطوح المقاعد أمامهم وأن يسرحوا في دنيا الخيال. بعدها طلبت منهم أن يقوموا برسم ما تخيلوه وما خطر في أذهانهم. يقول حسن مرفقًا قوله بلمعة لافتة من عينيه اللماحتين، إن ما رسمه لفت أنظار معلمته، فقامت بتشجيعه وأوحت إليه أن الفن سيكون هو المكتوب عليه «وكنت قد رسمت قاربا في البحيرة بعدما أغمضت عيني وكانت المعلمة قد انفعلت جدا من الرسمة وترك تشجيعها مفاعيل نفسية طيبة في داخلي».

وعن تتمة المسيرة يضيف «لاحقا وفي مرحلة الصبا المبكّرة ذهبت لطبرية للعمل فصرت أرسم على الجدران في نهاية عملي يوميا حتى زرت معرضا للرسم في طبرية صدفة وهناك طلبت أن أتعلم فيه فطلب المشرف على المرسم أن أرسم أمامه وإذ به يقول: في داخلك رسام كبير. وتعلمت في هذا المرسم لمدة عام حتى صرت مرشدا للرسم فيه وكانت هذه دفعة هامة في مسيرة الرسم. وقبل ذلك طلب مني أحد أصحاب البيوت من يهود طبرية أن أمحّك وشقيقي داخل بيته ريثما يعود من زيارة لليومين خارج المدينة ولما عاد وجدني قد رسمت مدينة طبرية على ظهر روزنامة ولما سألني لم يصدّق أنني قد رسمتها وقال: أنت تكذب. عندها رسمتها مجددا أمامه فسارع لمصافحتي واصطحبني للسوق واقتنى معدات الرسم وطلب مرافقته لبيت رسام جاء للمدينة وطلب منه أن يعلمني المزيد من مهارات الرسم وفعلا استفدت من تجربته لمدة عام».

○ **تظهر طبرية في كثير من رسوماتك؟**

● نعم أنا دائم الحنين لطبرية ولذا ربما وبشكل واع وغير واع استحضر صورتها في رسوماتي. مثلا عندما أرى مسجد البحر مهملا مغلقا أرسمه كي أوثقه لأني أخشى عليه من الهدم، وهكذا أيضا مع المسجد الزيداني أو المسجد الكبير في المدينة وهو الآخر مغلق ومهمل وتحظر الصلاة فيه. كما رسمت ملامح صيد السمك والقوارب في البحيرة. وهكذا كنائس طبرية الجميلة وهناك رسومات كثيرة للمدينة من مواقع مختلفة وحولها الأراضي الأردنية والسورية من جهة الشرق عرضتها مرة في نطاق معرض بعنوان «لن أنساكي يا بلدي».

○ **وشجرة الزيتون؟**

●**هذه الشجرة تحظى بذات مقدار الحب كما هو الحال مع طبرية فهي مثمرة ومباركة وملهمة وقائمة في كافة الأرياف الفلسطينية.**

○ **والخيول موتيف متكرّر عندك؟**

● طبعا فالفرس ليست مجرد وسيلة نقل بل رمز للشهامة والأصالة و«الفارس المققود» تدلل على معنى الفرس الأصيلة فهي عندما يقتل فارسها تعود وحدها للبيت ولا تهرب ولذا سميت أصيلة.

○ **والمرأة أيضا؟**

● طبعا فالمرأة خاصة الفلسطينية واحد من أسرار صمودنا وبقائنا وتطورنا بعصاميتها وتضحياتها ويكفي قصة والدتي التي وقفت جنبا إلى جنب مع والدي في تأمين معيشتنا ونحن عائلة مباركة الأبناء، ولذا ترى رسومات كثيرة عندي وهي في ساحات العمل.

ويرسم طوافرة ضمن مدرسة الرسم الواقعي لا المجرد مثلما توقّف عن رسم الوجوه وعن ذلك يقول إن رجلا جاءه وطلب منه أن يرسم كلبته وعندما سلمتّه اللوحة أعطاني مبلغا كبيرا جدا وفي مرة لاحقة جاءني رجل آخر مع صورة فوتوغرافية صغيرة جدا لوالده الراحل وطلب مني أن أرسمها في لوحة وبعد أيام انتهيت منها وعندما عاد ليأخذها قال إنه سيحضّر لي بعد أيام قميصا كاجرة لي ومن وقتها توقفت لأنني لم أجد من يقدّر هذا النوع من الفنّ. وردا على سؤال يقول إن اللوحات الفنية لا تشكل مصدرا للمعيشة ولذا فهو يعمل في رسم الجداريات في الشوارع وعلى جدران المدارس والمؤسسات العامة مقابل أجر مثلما يشارك في معارض رسم في القاهرة وشرم الشيخ وطابا والعقبة سوية مع فنانين عرب من دول عربية.

كلمة أديب

ومع ذلك يعود طوافرة ويؤكد إن تشجيع معلمته ناهد خنجر له وهو طفل دفعه بقوة لمواصلة السير في طريق الرسم والإبداع، وإنه في كل مكان كان يحل فيه يلقى التشجيع الماثل لتشجيع معلمته تلك. ويعقّب الأديب ناجي ضاهر على أعمال حسن طوافرة بالقول إنه بإمكان مَن يشاهد إبداعات حسن طوافرة في الفن التشكيلي، ملاحظة أنه فنان مسكون بالمكان، وأن بحيرة طبرية تستولي على مساحة من أفكاره، أما المساحة الأخرى الكبرى في إبداعه اللوني، فقد امتدت إلى المكان والإنسان والطبيعة. ويضيف «واضح أن الفنان حسن طوافرة يضع رسوماته ضمن المفهوم الواقعي للفن التشكيلي ويغلب على رسوماته الطابع الرومانسي الحالم. كما يرى العديد من زملائه الفنانين».

وعن إعجابه بهذا الرسام الجليلي يقول ناجي ضاهر: «هذا بسبب سيرته الملهمة فهو لم يتلق تعليمًا منظمًا عاليًا، وخرج إلى ساحة العمل مبكرًا. عمل في توزيع أسطوانات الغاز مدة ناهزت على نصف القرن من الزمان، غير أن حلمه الفني رافقه خلال هذه الفترة، قبلها وبعدها، ولازمه ملازمة الظل لصاحبه. خلال عمله وجد من يُشجعه للالتحاق بدورة فنية على مستوى رفيع فالتحق بها. دفتر مذكراته عامر ولكل لوحة قام برسمها قصة وحكاية. شارك في العشرات من المعارض الفردية والجماعية داخل البلاد وخارجها. باع عددًا من اللوحات وتوجد لوحات من إبداعه في داخل البلاد وفي العديد من دول العالم. أصدرت جمعية «إبداع للفنانين العرب» كراسة تعريفية عنه، وعن نتاجه الفني. قطع مسافة زمنية واسعة جدًا مع الفن ومع ذلك يعتبر أنه ما زال في البدايات الأولى المبشرة».

يذكر أن العشيرة البدوية التي ينتمي إليها الفنان حسن طوافرة قدمت إلى البلاد من الريف السوري، منطقة حماة، قبل أكثر من مئة وخمسين عامًا، وأقامت في مواقع وأماكن مختلفة من البلاد.

تحقيقات

قراءة في الحيثيات والمعطيات:
هل يقترب اليمن من السلام أم أن الوضع أكثر تعقيدًا مما نتصور؟

صنعاء ـ «القدس العربي»:
أحمد الأغبري

أكثر من ثماني سنوات مرّت على الحرب في اليمن، نتج عنها بلد مقسم ومدمر ووضع هش وأكثر تعقيدا في آن تتحكم فيه سلطات متعددة ارتكبت جميعها انتهاكات كثيرة، وهو ما تصبح معه أي عملية سلام محتملة مطالبة بالتعجيل بوقف الحرب ضمن عملية سياسية تحقق سلاما عادلاً يستطيع تمكين المجتمع من استعادة الحياة الطبيعية ورفع كل ما فرضته عليه الحرب من عقوبات وصولاً إلى إعادة ترتيب وضع البلد وإلمة جراحه واستعادة قراره؛ وهو ما لا يتأتى إلا من خلال معالجة القضايا الشائكة بما فيها قضايا الانتهاكات ضمن مفاوضات شاملة تستهدف تسوية سياسية بمشاركة أصحاب المصلحة الحقيقيين، تسوية تحفظ لليمن هويته وتحقق لليمنيين دولتهم المنشودة، فهل بات اليمن قريبًا من السلام؟

من حيث الأهمية يمثل شهر أيار/مايو بالنسبة لليمنيين امتدادًا لشهر نيسان/ابريل، فالأخير شهد صفقة لتبادل الأسرى ومفاوضات حوثية مع السعودية، وخلالهما أعلن طرفا النزاع أن ثمة جولة ثامنة لمفاوضات ملف الأسرى ستكون في أيار/مايو، وجولة ثانية من المفاوضات بين الحوثيين والسعودية. فهل يتحقق في ايار/مايو ما ينتظره اليمنيون من اتفاق للأسرى بناء على قاعدة الكل مقابل الكل، وأن تنتهي المحادثات المزمعة بين الحوثيين والسعوديين على الاتفاق على محددات التسوية السياسية؟ وهل مقترح التسوية سيكون كفيلا بحل الأزمة اليمنية عبر مفاوضات شاملة تحسم كل الخلافات بما يضع البلاد على بداية طريق السلام، أم أن الطريق ما زال طويلا؟ لاسيما وأن أطراف النزاع ما زالت تؤمن بالحرب، ولم تجل حاجتهم بعد للسلام؛ إذ يتطلب السلام حاجة أطراف الحرب له أولاً بعد استنفاد اعتمادها بالقوة والمراهنة عليها، لأن استمرار المراهنة على القوة يحول دون الوصول إلى السلام، وإن تحقق فهو مؤقت وسرعان ما تتجدد دورات العنف.

ملف الأسرى

حققتْ صفقة تبادل الأسرى الأخيرة، التي تم تنفيذها على ثلاث مراحل خلال الفترة 14–16 نيسان/ابريل، نتائج جيدة على صعيد إمكانية التفاهم على صفقة أخرى، لاسيما في ظل ما لحقها من مبادرة أحادية واتفاق جانبي بوساطة قبلية، كما تم من خلال مبادرة السعودية من جانب واحد إطلاق سراح 104 محتجزين يمنيين، وما تلاه من تبادل 14 أسيرًا في محافظة الجوف بين القوات الحكومية والحوثيين بعد يوم واحد من إتمام صفقة تبادل الأسرى التي جرت برعاية المبعوث الأممي الخاص لليمن وإشراف اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

لقد كان للصفقة نتائج إنسانية؛ إذ تم لم شمل مئات العائلات اليمنية بذويها بعد سنوات طويلة قضاها المحتجزون في الأسر، علاوة أن هذه الصفقة تمثل ثاني أكبر صفقة تبادل أسرى منذ بدء الحرب بعد صفقة تمت في تشرين الأول/اكتوبر عام 2020؛ وتم خلالها إطلاق سراح 1056 أسيرا.

مثل نجاح الصفقة الأخيرة خطوة متقدمة تفتح نافذة الأمل لإطلاق سراح جميع الأسرى لدى طرفي النزاع؛ لاسيما مع اتفاق الطرفين على جولة مفاوضات أخرى في ايار/مايو؛ للاتفاق على صفقة أخرى.

اسهم الاتفاق السعودي الإيراني لاستثناف العلاقات، الذي تم برعاية صينية في العاشر من آذار/مارس في الدفع بقنوات التواصل بين طرفي النزاع في اليمن، وفي مقدمة ذلك توقيع طرفي النزاع على اتفاق تبادل 887 أسيرا في نهاية جولة مفاوضات استمرت عشرة أيام في مدينة بيرن السويسرية خلال اذار/مارس. واعتبر مراقبون أن توقيع صفقة تبادل الأسرى الأخيرة كانت أول اختبار لتأثير الاتفاق السعودي الإيراني على الأزمة اليمنية؛ وهو ما يمكن قراءته بوضوح والتأكد من مدى تأثيره جيدا في انعقاد الجولة الثامنة من مفاوضات تبادل الأسرى خلال ايار/مايو، حسبما اتفق وأعلن الطرفان.

كما أكد الطرفان موافقتهما على تنفيذ الصفقة المقبلة بناءً على قاعدة الكل مقابل الكل، وعلى الرغم من أن الطرفين يتراشقان المسؤولية إزاء رفض العمل بهذه القاعدة في الصفقة السابقة، إلا أن الأمر ما زال مرهونا بتنفيذ ما تم الاتفاق عليه في الجولة السابعة من مفاوضات ملف الأسرى، على صعيد تبادل زيارات السجون لدى كل منهما للتأكد من وضع الأسرى، وهي خطوة تمثل اختباراً حقيقيًا لمدى الجدية في المضي في استكمال تبادل الأسرى.

أما فيما يتعلق باستكمال المفاوضات بناء على قاعدة الكل مقابل الكل، فالأمر تعوقه إشكالات كثيرة، أبرزها عدم توفر حصر شامل وبيانات كاملة للأسرى لدى كل طرف، وخاصة لدى الحكومة المعترف بها دوليًا التي تتعدد فيها السلطات؛ ولدى كل سلطة سجون، كالمجلس الانتقالي مثلا؛ فسجونه لا تخضع لسلطة الحكومة، إلا أنه يبقى تنفيذ تبادل كل الأسرى مقابل كل الأسرى متاحا ومرهونا بصدق النوايا لدى جميع الأطراف بدءاً من أن يشارك في المفاوضات ممثلون لكل السلطات على الأرض أو أن تسلم كل سلطة كشوفات شاملة وحقيقية لجميع أسرى الحرب والمحتجزين لديها لمثلها في المفاوضات؛ علاوة على ضرورة توفر حاجة حقيقية لدى الطرفين لإغلاق ملف الأسرى في سياق حرص حقيقي لطي صفحة الحرب، لأن عدم تقديم بيانات شاملة وحقيقية للأسرى يؤكد أن الرهان على الحرب ما زال قائما جراء انعدام الثقة بين الطرفين، وفي هذه الحالة، لن يتم الوصول إلى صفقة تبادل بناءً على قاعدة الكل مقابل الكل، وسيستمر تراشق المسؤولية حول ذلك بين الطرفين كما في الجولة السابقة؛ لأن السلام ما زال لا يمثل حاجة ملحة لطرفي الصراع، لأن استمرار المراهنة على الحرب ينعكس في توفر رغبة حقيقية لدى كل طرف في استغلال الأسرى ورقة مساومة وضغط سياسي؛ وبالتالي سيحرص كل طرف على ابقاء سجونه مليئة بالأسرى بموازاة عدم إعطاء معلومات شاملة ودقيقة عن واقعهم، ما يجعل مأساة الأسرى قائمة ومستمرة.

تنفيذ تبادل كل الأسرى مقابل كل الأسرى مرهون بصدق النوايا لدى جميع الأطراف

المفقودون

يتشابك ملف الأسرى في اليمن بملف المفقودين؛ إذ تسببت الحرب في فقد عدد كبير من اليمنيين مدنيين وعسكريين، فهؤلاء لا تعرف عائلاتهم مصيرهم مطلقا، ولم تعترف السلطات بوجودهم في سجونها؛ مع استمرار استخدام الإخفاء القسري جزءا من العقوبة التي تفرضها سلطات الحرب على عائلات وذوي المفقودين، علاوة أنه ربما قد تم قتلهم

سواء في السجون أو غيرها، كما أن كل طرف يعتبر اختفاء مقاتلين من فصيله في ساحة الحرب أنهم صاروا أسرى لدى الطرف الآخر أحياءً أو جثامين، كما أن الطرف الآخر أحيانًا ينفي أن يكون قد أسرهم أو أنه يحتفظ بجثامينهم. والحديث عن المفقودين يشمل عددًا كبيرًا لم تتمكن المنظمات العاملة في هذا المجال من حصرهم؛ لأن ذلك يتطلب جهداً ميدانيًا على الأرض يتمثل في جمع بيانات بالتوازي من العائلات والسلطات، وقبل ذلك الوصول إلى كل المناطق، ما يجعل من ملف المفقودين معاناة أخرى تضاف للملف الأسري. يضاف إلى ذلك ما يعانيه المحتجزون في السجون، والتي تمثل وجهاً آخر من وجوه معاناة المحتجزين في اليمن.

ما يمكن التعويل عليه أن تشهد الأيام المقبلة تطورًا في ملف الأسرى والمحتجزين على صعيدين: الأول تبادل زيارات الجانبين للسجون بناء على اتفاق سابق، والثاني انعقاد الجولة الثامنة من المفاوضات، التي تم الإعلان أنها ستكون في شهر ايار/مايو. وبناء على تحقق الخطوتين يمكن القول إن ثمة تطورا يمكن البناء عليه لاسيما في حال توقف التصعيد الإعلامي بين اللجان المسؤولة عن الأسرى في الجانبين، كمؤشر يمكن أن نقيس من خلاله مدى صدق النوايا في الانحياز للسلام، فحينها سنفهم أن ثمة نية لاتفاق حقيقي على إنهاء المعاناة الإنسانية للأسرى والمحتجزين، لاسيما عندما يعلن كل طرف موافقة الطرف الآخر على العمل على إطلاق الأسرى بناء على قاعدة الكل مقابل الكل؛ فالموافقة عليها بشهادة الطرف الآخر تمثل خطوة متقدمة لإطلاق أكبر عدد من الأسرى؛ ما سيمثل نجاحًا يمكن البناء عليه سياسيًا على صعيد المضي في فتح آفاق جديدة لحلحلة الوضع في البلد، وهو الوضع الذي يعاني من التعقيد الذي يتجلى مبتدأ طريقه في اتفاق طرفي النزاع على أن يطلق كل منهما ما لديه من أسرى ومحتجزين دفعة واحدة معلنين كشوفات كل الأسرى في وسائل الإعلام. وحتى وإن بقي أسرى مخفيين لدى كل طرف، وما يمثله هذا من إضعاف للثقة بين الطرفين، الا أن إطلاق أكبر قدر من الأسرى، سيمثل خطوة دفع للأمام في سبيل تعزيز اليقين بين الطرفين على صعيد تشكيل لجان تفاوض لحلحة القضايا الأخرى كالهدنة وما تتطلبه من رفع الحصار وفتح الطرق وصرف المرتبات واستكمال معالجة ما تبقى من ملف الأسرى والمحتجزين مثلاً، وهو ما يتطلب التوقف أمام محادثات صنعاء بين الحوثيين والسعودية التي استمرت ستة أيام خلال الفترة 8–13 نيسان/ابريل، وما يمكن أن تسفر عنه على صعيد الجولة التالية منها.

توقيع صفقة تبادل الأسرى الأخيرة كانت أول اختبار لتأثير الاتفاق السعودي الإيراني على الأزمة اليمنية

محادثات صنعاء

يبقى السؤال: هل يمكن التعويل على الجولة التالية من محادثات صنعاء خلال ايار/مايو في المضي بالبلد نحو السلام؟

من الصعب طرح مثل هذا السؤال؛ لأن الأزمة اليمنية باتت أكثر تعقيدًا وتتطلب ظروفًا وعوامل لابد من توافرها كمقدمة للسلام أبرزها كما سبقت الإشارة حاجة المتحاربين للسلام؛ لأنهم في مثل هذه الحال سيكونون على استعداد لتقديم تنازلات من أجل تجنيب البلاد ويلات استمرار الحرب، علاوة أن الانتقال بالبلد إلى مرحلة جديدة من جبر الضرر والتعويض ومعاقبة مرتكبي الجرائم المختلفة والمصالحة الوطنية التي تفضي على لقاء كل القوى اليمنية الحية والتحاور في شكل الدولة اليمنية الذي يتطلع إليها كل اليمنيين، يتطلب إرادة صلبة لدى جميع الأطراف والقوى اليمنية، بالإضافة إلى أن المفاوضات الأحادية (بين الحوثيين والسعودية) من جهة والمتعددة (وجود مفاوضات متعددة كالتي ترعاها الأمم المتحدة والتي ترعاها السعودية) من جهة أخرى لا يمكن أن تذهب بالبلد إلى السلام الحقيقي بل إلى استمرار الحرب. لا يعني هذا عدم التعويل على الجولة المزمعة في ايار/مايو من المحادثات بين الحوثيين والسعودية؛ فبالإمكان أن تؤدي إلى نتائج جيدة يمكن البناء عليها، وهذا مرهون بمدى ما يعتقده كل طرف عن السلام والمستقبل وشكل اليمن الذي يريده أبناؤه، وبالتالي تكون هذه المفاوضات خطوة في مسار المفاوضات الشاملة برعاية أممية.

شهدت صنعاء محادثات «الأيام الستة» خلال رمضان؛ وهي الجولة الأولى الرسمية من المحادثات بين الجانبين، عقب محادثات مسقط التي استمرت شهورا. بالتأكيد كانت محادثات مسقط قد انتهت إلى ما يشبه مسودة للهدنة المفترضة، ومعها التسوية المقترحة لإنهاء الحرب في اليمن تمهيداً للوصول إلى تسوية سياسية شاملة للحرب في اليمن، كان قد جرى التفاوض بشأنه بين الطرفين، في العاصمة العُمانية مسقط، ويبدو أنه كان من المخطط أن تتم دعوة وفد من قيادات جماعة الحوثي لزيارة المملكة العربية السعودية، والتوقيع على مشروع التسوية، في الأيام الأخيرة لشهر رمضان الفائت، بمكة المكرمة، إلّا أنَّه طرأت أمور أربكت المخطّط السابق، واقتضت عقد جولة – وربَّمَا جولات جديدة– من المفاوضات، بعد عيد الفطر المبارك» وفق ورقة بحثية لمركز المخا للدراسات الاستراتيجية نشرها في 26 نيسان/ابريل الجاري.

وحسب الورقة فإن هذه المفاوضات في حال وصلت إلى منتهاها قد تتسبب في تجميد النزاع أو تطويله. «وفي حين يُعلق الكثير من المتابعين آمالهم على تلك المفاوضات في أن ترسم مسارًا لتسوية سياسية تنهي الحرب في اليمن، غير أنَّ فحص طبيعة المفاوضات والأطراف التي تشارك فيها، والتداعيات التي يمكن أن تنبني عليها، يُظهر محدودية العوائد الإيجابية المتوقَّعة منها، وبخلاف ذلك فإنَّها إذا ما وصلت إلى منتهاها قد تسهم في إضافة المزيد من التعقيد للنزاع في اليمن، بل قد تتسبَّب –إلى جانب عوامل أخرى بطبيعة الحال– في تجميده، وتطويله أيضًا». ما ذهبت إليه الورقة يبقى رأي، وإن كانت له معطياته، لكن بطبيعة الحال فإن السلام في اليمن بحاجة ماسة إلى رؤية واسعة تستوعب متغيرات الحال وتطورات الواقع وتطلعات المستقبل، وما يريده اليمنيون، وهو ما يتطلب مشاركة كل القوى الحية كما سبقت الإشارة في لقاء مصالحة وحوار يتم الاتفاق خلاله على هوية الدولة وحلحلة كافة الإشكالات العالقة. ذلك يأتي عقب الاتفاق على إيقاف الحرب ممثلة في الهدنة وما تتطلبه من معالجات إنسانية. لكن ثمة تعقيدات كثيرة يفرضها الواقع الذي صنعته الحرب؛ وهو ما يجعل من الضروري مشاركة الجميع في إنهاء الحرب وصناعة السلام، بمعنى أن الهدنة التي تسعى المفاوضات بين الحوثيين والسعودية إلى تجديدها لابد أن تكون البداية، وهذه البداية يفترض أن تكون سليمة من خلال اتفاق يحل أهم الإشكالات العالقة ذات العلاقة بالمتطلبات الإنسانية كرفع الحصار عن جميع الموانئ والمطارات بما فيها مطار صنعاء وميناء الحديدة وفتح الطرقات وتبادل جميع الأسرى وصرف مرتبات جميع الموظفين العموميين في عموم البلد بناء على آلية يتم خلالها توحيد سياسة البنك المركزي والعملة واستئناف تصدير النفط، وتحديد آلية لمحاسبة مرتكبي الجرائم

عدم تقديم بيانات شاملة وحقيقية للأسرى يؤكد أن الرهان على الحرب ما زال قائما

وجبر الضرر والتعويض وإعادة الإعمار لتمثل المرحلة الثانية الدخول في مصالحة ومفاوضات تفضي إلى الحل السياسي الذي يتطلع إليه اليمنيون وصولاً إلى دولة وجيش لا ولاء لهما إلا لليمن، فهل ذلك متاح؟ البداية من نوايا صادقة تتماهى باليمن كهوية ومشروع دولة مدنية؛ وهو ما يتطلب إلغاء كل المشاريع الصغيرة المحلية منها والإقليمية والدولية وعودة اليمن لليمنيين. وفيما يتعلق بالحسابات الإقليمية والدولية فلا يمكن تجاهل واقع تأثيرها في الأزمة اليمنية، وخاصة على صعيد الحل السياسي. وحسب وزير الخارجية اليمني الأسبق، أبوبكر القربي، فإن هذه الحسابات تعيق بدء مفاوضات الحل السياسي، وقال في تغريدة على «تويتر» الخميس: «تأخر بدء مفاوضات الحل السياسي ناتج عن عدم اتفاق الرعاة على مشروع تشكيل لجنة اتصال دولية أو لجنة دعم لمتابعة وضمان تنفيذ اتفاقية السلام الشامل التي أعدها المبعوث الأممي نتيجة حسابات دولية وإقليمية لا تراعي معاناة اليمنيين والتعجيل بوقف الحرب وضرورة تحقيق الحل العادل لكل الأطراف».

ويرى القربي أن «خلافات التحالف وتقاطع الأجندات والمصالح الخارجية أدى إلى جمود التحرك السياسي الأممي نتيجة المفاوضات المتعددة ما سيهدد اليمن باتفاقات قد تخلي مسؤولية الأطراف الخارجية من تبعات الحرب وتترك اليمن رهينة الفصل السابع وحرب أهلية تعمق الفوضى وتمنع بناء دولة بكامل مقوماتها من جديد». مؤكدًا أهمية «وقف الحرب وبدء العملية السياسية بقيادة يمنية بعيدًا عن تدخل الداعمين لأطراف الصراع وضمان مشاركة أصحاب المصلحة الحقيقيين في مفاوضات الحل الشامل».

ميديا

صحافيو «رويترز» في تركيا يُضربون عن العمل مع اقتراب الانتخابات العامة

لندن – «القدس العربي»:

نفذ الصحافيون والمحررون العاملون في وكالة «رويترز» العالمية للأنباء إضراباً عن العمل يوم الأربعاء الماضي، وذلك احتجاجاً على رواتبهم المتدنية ورفض إدارتهم زيادتها لمواجهة الغلاء المعيشي المتزايد، فيما يأتي الاضراب قبل فترة وجيزة من الانتخابات العامة التي يراقبها العالم بأكمله.

ولجأ الصحافيون في «رويترز» بتركيا إلى خيار الإضـراب عن العمل بعد فشل المفاوضات التي استمرت أشهراً لتحسين الأجور في ظل الارتفاعات الباهظة للأسعار.

ووصلت المفاوضات بين الوكالة والنقابة إلى طريق مسدود في ما يخص تجديد العقود الجماعية للعاملين بما يضمن رفع الرواتب بما يناسب التضخم الحاصل في البلاد.

وأمام هذا الواقع، نفذ عاملون وأعضاء في نقابة صحافيي تركيا وقفة احتجاجية أمام مكتب الوكالة في إسطنبول، معلنين بدء الإضـراب في المكاتب وتطبيقه بشكل رسمي في العاشر من أيار/مايو المقبل.

وأوضح رئيس النقابة غوغهان دورموش، خلال الوقفة للصحافيين أن «المفاوضات تجاهلت جهود العاملين حيث قررت الجهة المانحة للعمل، رويترز، منح زيادات بنسبة 25 في المئة فقط».

وأشار إلى أن «المفاوضات بدأت في كانون الثاني/يناير الماضي. وخلال هذه الفترة، وعلى الرغم من النوايا الحسنة وشرح الوضع الاقتصادي في تركيا، فإنه لم تكن هناك مقاربة إيجابية، ولم يرفع الحد عن 25 في المئة».

وفيما شدد على أنهم «لن يتخلوا عن كفاحهم بخصوص حقوقهم» أوضح أنه «رغم تبيان الفرق بين أرقام مؤسسة الإحصاء التركية والواقع الميداني، إلا أن الوكالة لم تقدم أي شيء فلم يتبق أمامنا سوى الإضراب».

وقال إن «العاملين حازمون في مسألة الإضراب وأعلنوه» مؤكداً أنه «إن لم يأت جواب على عرض رفع أجور العاملين وحل المسألة مع رويترز، فسنطبق الإضراب اعتباراً من العاشر من مايو».

وعلق العاملون في مكاتب «رويـترز» في أنقرة وإسطنبول على أبواب المكاتب إعلانهم باتخاذهم قرار الإضراب رسمياً في العاشر من مايو عند الساعة العاشرة صباحاً بالتوقيت المحلي، مستندين إلى القانون 6356 النافذ للعمل.

وسجل التضخم في تركيا ارتفاعاً قياسياً أثر على ارتفاع الأسعار في عموم البلاد، فيما تتهم المعارضة الحكومة بأنها لا تظهر الأرقام الحقيقية للتضخم التي تدعي أنها تجاوزت 100 في المئة.

إيران تعاقب الإعلاميين الداعمين للاحتجاجات سراً

لندن – «القدس العربي»:

كشفت وثائق إيرانية مسربة نشرتها هيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي» أن السلطات في طهران شكلت لجنة سرية لمعاقبة النشطاء والإعلاميين والمؤثرين على شبكات التواصل الاجتماعي من الذين دعموا الاحتجاجات والتظاهرات المناهضة للحكومة والتي شهدتها البلاد مؤخراً.

وقالت «بي بي سي» إن السلطات الإيرانية شكلت لجنة سرية العام الماضي من أجل ملاحقة ومعاقبة الداعمين الإعلاميين للاحتجاجات، وأفادت بأن اللجنة وجهت إلى وزارة الاقتصاد قائمة بأسماء 141 من الشخصيات المعروفة في البلاد، وذلك في 22 أيلول/سبتمبر الماضي، بعد 6 أيام فقط من اندلاع التظاهرات.

وطلبت اللجنة من الوزارة التحقيق في إقترارات هؤلاء المشاهير الضريبية واتخاذ إجراءات لم تحددها بحقهم.

وضمت القائمة لاعب كرة القدم علي دائي والممثلة ترانه عليدوستي، إضافة إلى عشرات الفنانين والعاملين في المجال الرياضي ومشاهير مواقع التواصل الاجتماعي. وتعرض هؤلاء لعقوبات اقتصادية، أو منعوا من السفر، أو احتجزوا، خلال الأشهر السبعة الماضية، بسبب دعمهم التظاهرات.

وحصلت «بي بي سي» على ثلاث وثائق من خلال مصدر استخباري شرق أوسطي، كما وصفته، كشفت كيف اتخذت الحكومة الإيرانية إجراءات سريعة ومنسقة في محاولة لردع المشاهير عن عدم اتباع روايتها الرسمية. الرسالة المؤرخة في 22 أيلول/سبتمبر أعلن فيها تشكيل «فرقة عمل المشاهير» وتحدد رئيسها على أنه وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي، محمد مهدي إسماعيلي الذي فرض عليه الاتحاد الأوروبي عقوبات بزعم ارتكاب انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان.

وأحد الأشخاص الذين وردت أسماؤهم في القائمة قال لموقع «بي بي سي فارسي» إن «المسؤولين هددوا نجوم إنستغرام، وقالوا لهم إنه سيتعين عليهم دفع ضرائب عن كل دخلهم في حال واصلوا دعمهم للاحتجاجات». وأكد شخصان آخران إغلاق حساباتهما المصرفية بعد أن أعربا عن دعمهما الاحتجاجات.

وثيقة أخرى صنفت على أنها «سرية للغاية» ومؤرخة في 26 أيلول/سبتمبر، أفادت بأن «فرقة عمل المشاهير» تغير اسمها إلى «لجنة المشاهير» وبأنها أصبحت دائمة.

وذكرت الوثيقة أن اختصاصات اللجنة قسمت، لتتعامل وزارة الثقافة والاستخبارات مع «الفنانين والمغنين والشخصيات الإعلامية» وتتولى وزارة الرياضة ووكالة استخبارات الحرس الثوري الرياضيين.

الوثيقة الثالثة، المؤرخة في ا تشرين الثاني/نوفمبر ناقشت كيفية التعامل مع لاعبي كرة القدم قبل كأس العالم في قطر، ونصت على ضرورة تجميد أصول لاعب ومدرب مشهور.

وذكـرت الوثيقة أيضـاً أن اللجنة غاضبة من «الوقاحة المتواصلة» للممثلة فاطمة معتمد آريا، وأنها طلبت من مكتب المدعي العام في طهران «توجيه الاتهام إليها بسرعة، ووضع قضيتها على جدول الأعمال على سبيل الأولوية».

وكانت فاطمة معتمد آريا نشرت صـوراً لنفسها وهي بلا حجاب، وطرحت مقطع فيديو شديد اللهجة تشكو فيه من ظهورها في لوحة إعلانية حكومية تظهر نساء محجبات.

وعلى الرغم من أن تركيز عناصر مخابرات الحرس الثوري يفترض أن يكون على الرياضيين، فإن الوثيقة أفادت بأن السلطات لمحت لهم باعتقال الممثلة كتايون رياحي. رياحي، واحدة من أوائل الممثلات اللواتي خلعن الحجاب دعماً للاحتجاجات، اعتقلت في 20 تشرين الثاني/نوفمبر، وأفرج عنها بكفالة بعد أسبوع. وأفاد المركز الإعلامي للشرطة الإيرانية، مساء أمس الاثنين، بأن الشرطة فتحت ملفات قضائية ضد الممثلتين كتايون رياحي وبانته آبهرام، بسبب ارتكابهما «جرم خلع الحجاب» وأضاف أن ملف الممثلتين أحيل إلى محكمة «الإرشـاد» المعنية بالبت في القضايا والدعاوى المرتبطة بالناشطين في المجال الفني والثقافي الإيراني.

وشهدت إيـران في الأشهر الماضية احتجاجات بعد وفاة الشابة مهسا أميني في 16 أيلول/سبتمبر الماضي، عقب توقيفها من قبل شرطة الأخـلاق في طهران لعدم التزامها القواعد الصارمة للباس. وأعلنت الشرطة أنها ستبدأ اعتباراً من منتصف نيسان/إبريل بالتشدد في تطبيق قوانين وضع الحجاب وتحديد اللوائي يخالفنها ومعاقبتهن.

شبكات التواصل في الأردن تشتعل بالغضب ضد إسرائيل بعد اعتقال نائب في البرلمان

لندن – «القدس العربي»:

هيمنت موجة من الغضب ضد الاحتلال الإسرائيلي على شبكات التواصل الاجتماعي في الأردن وذلك بعد اعتقال النائب في البرلمان عماد العدوان بزعم قيامه بنقل أسلحة وأموال لصالح المقاومة الفلسطينية في الضفة الغربية، وهي المعلومات التي أعلنتها السلطات الإسرائيلية لكن أغلب الأردنيين شككوا بها ولم يقتنعوا بمضمونها.

وسرعان ما تحول التضامن مع النائب العدوان إلى موجة غضب ضد الاحتلال الإسرائيلي وضد السفارة الإسرائيلية في الأردن، وتزايدت وتيرة المطالبات باتخاذ ما يلزم من أجل ضمان الإفراج عنه في أسرع وقت ممكن، كما دشن الأردنيون حملات للتضامن مع النائب المعتقل ودعـا بعضهم إلى طرد السفير الإسرائيلي إذا لم يتم إخلاء سبيل النائب المعتقل.

وكانت قوات الاحتلال الإسرائيلي اعتقلت الأسبوع الماضي النائب في البرلمان الأردني عماد العدوان، والمعروف بتأييده للمقاومة الفلسطينية، وزعمت أنها عثرت في سيارته على كمية من الأسلحة والذهب كان يعتزم تهريبها إلى الأراضـي المحتلة. وأكدت وزارة الخارجية الأردنيـة أن العـدوان تم توقيفه من قبل السلطات الإسرائيلية عند معبر «اللنبي» المعروف بجسر الملك الحسين وذلك للتحقيق معه على خلفية عملية تهريب مزعومة لكميات من السلاح والذهب.

وقال وزير الخارجية الإسرائيلي إيلي كوهين إن اعتقال النائب الأردني عماد العدوان هو «حدث جنائي» وأضـاف إن «الأمور ما زالت قيد التوضيح، وصلتنا معلومات استخباراتية بخصوص عملية تهريب، لذلك فإن هذا الأمر لا يرتبط بالأردن عموما، بينما عمليا يدور الحديث عن جريمة غير مسؤولة».

وسرعان ما تحول اسم النائب عماد العدوان إلى الهاشتاغ الأوسع انتشاراً والأكثر تداولاً في الأردن خلال الأيام الماضية، فيما تدافع الكثير من الأردنيين إلى إعلان التضامن معه والتأييد له وطالبوا بإطلاق سراحه فوراً.

وتداول النشطاء على شبكات التواصل مقطع فيديو للوزير الأردني السابق الدكتور معن قطامين قارن فيه بين تعامل السلطات الأردنية بين موظفي السفارة الإسرائيلية عندما ارتكبوا جريمة قتل أدت إلى وفاة اثنين من المواطنين الأردنيين وذلك في العام 2017 حيث تم إطلاق سراح القتلة الإسرائيليين، بينما ترفض السلطات الإسرائيلية إطلاق سراح النائب العدوان.

وشكك القطامين في صحة الرواية الإسرائيلية جملة وتفصيلاً، والتي تتحدث عن قيام العدوان بتهريب أسلحة وذهب، حيث قـال إن «العـدوان لم يحمل أي شيء مما يتم الادعاء به عليه، كما أن قوات الأمن الإسرائيلية لم تسمح له بالتواجد خلال تفتيش السيارة ما يثير الريبة والشك الكبيرين حول القصد من هذا الحـادث». وعرض القطامين صورة الأسلحة التي تزعم قوات الاحتلال أنها عثرت عليها في سيارة النائب، وتسـاءل قائلاً: «هل من المعقول أن سيارة واحدة تتسع لكل هذه الكمية من الأسلحة؟ إنها تحتاج إلى شاحنة ضخمة، وهي عبارة عن 12 سلاحاً طويلاً و270 سلاحاً متعرجاً، و167 بلوك، و100 كيلوغرام من الذهب.. هل يُعقل أن النائب حمل كل هذا في سيارته الخاصة؟ وهل هو مغفل أن يظن بأنه قادر على نقل كل هذه الكمية؟ وكيف خرج بكل هذا أصلاً من الأردن؟».

وخلص القطامين إلى القول إن «عماد العدوان ليس مذنباً على الإطلاق وهذه مكيدة دبرت بليل، والنائب عماد العدوان هو أحد أعضاء مجلس النواب الأردني المحترم، وممثل للشعب الأردنـي المحترم، ومعروف بمواقفه الوطنية المتزنة والحكيمة، والشعب الأردني لن يسمح أن تُمس كرامته بأي ظرف من الظروف، وننتظر من الجانب الأردني موقف أقله الافراج عن النائب عماد العدوان ابن قبيلة العدوان التي يفتخر بها كل أردني».

وعلق الكاتب والصحافي ياسر الزعاترة على قضية العدوان بالقول: «كيان العدو حقير؛ وأجهزته كذلك، هذا من حيث المبدأ. أضف أنه تهديد وجودي للأردن؛ بجانب اغتصابه لفلسطين. لكن ايّا تكن الحيثيات التي برّروا بها اعتقال النائب؛ فإن التضامن معه واجب، وكذا الدعوة لإطلاق سراحه». وأضاف: «كلّ التضامن مع النائب الأردني عماد العدوان الذي اعتقلته سلطات الاحـتلال بتهمة تهريب ذهب وأسلحة إلى الضفة الغربية.. لم نسمع من الرجل، ولا نثق أبدا برواية غزة قتلة يفرضون حصارا على شعبنا، ثمّ إنهم آخر من يتحدّث عن العهود والجوار، لأنهم تهديد وجودي للأردن؛ بجانب اغتصابهم لفلسطين».

وكتب الأمين العام لحزب جبهة العمل الإسلامي مراد العضايلة: «ما فعله النائب عماد العدوان من محاولة إيصال السلاح إلى فلسطين لمقاومة الاحتلال فريضة شرعية وضرورة وطنية ما دام الاحتلال على أرض فلسطين. وواجب الحكومة السعي للإفراج عنه وسائر الأسرى الأردنيين في سجون الاحتلال».

وعلق خالد الجهني مدير مكتب «كتلة الإصـلاح النيابية» في الأردن بالقول: «قضية النائب عماد العـدوان تعني سـيادة الدولـة وكـرامة الأردنـيين وسلامتهم، ويجب على الدولة استعادته من أيدي الاحتلال. النائب مختطف لدى كيان صهيوني وجوده غير مشروع يحتل الأرض والمقدسات. مقاومة الاحتلال واجب ديني ووطني وأخلاقي، وكل فعل بهذا الاتجاه مشروع».

وعلق شـادي الطراونة منتقداً موقف الحكومة الأردنية: «حكومتنا لا تقدر أن تحل أزمة على باب مخبز حتى تقدر تحل أزمة سياسية أو اقتصادية. اللهم فك أسر النائب عماد العدوان».

وغرد الكاتب والباحث الأردني أحمد سليمان العمري على «تويتر» قائلاً: «الأردني النائب عماد العدوان ما زال يُصرّ على أنّه لم يقم بعملية التهريب، وأنّه لا يعلم عن وجود سلاح، وأنّ الحقائب الثلاث التي أعلن عنها الاحتلال ما هي إلا كذبة، كما وقال في التحقيق أن السيارة التي قادها، كان يستخدمها آخرون في الأردن. مواقف عماد العدوان نحسبها بطولية، وعلى الحكومة أن تُعامل الاحتلال بالمثل، ولديها من الأوراق ما يمنحها هذه القوّة؛ اللهم إن شاءت».

وكتب الناشط سليم الدوابشة معلقاً: «عماد العدوان ابن قبيلة الشيوخ يمثلني واللعبة القذرة التي تمارس علينا من قبل الكيان المحتل وزبانيته لن تمر علينا وفعلاً ننتظر أقلها خبر الافراج عن النائب عماد العدوان فوراً ففي بقائه داخل سجون الاحتلال مساس لسيادة الدولة الأردنية وخصوصاً بعد السماح (للدبلوماسي) المحتل في أحداث سابقة بعودته للأراضي المحتلة بعد يومين فقط. التداعيات الخطيرة للموقف في حال عدم إثبات الجهات التنفيذية السيادية في الأردن للمواطن الأردني انها قـادرة على الحفاظ على حقوقه من أي انتهاكات من قبل دول الجوار سوف يؤثر سلبا أمنيا على دول الجوار بالدرجة الأولى ومن ثم على المجتمع الأردني الذي سوف يحاول جاهدا الحفاظ على حريته مهما كانت الوسيلة بشكل مستقل عن سيادة القانون».

وعلق علي وليد كنعان: «ذيب العشائر شيخ النشامى النائب الأردني الشهم عماد العدوان محتجز لدى الكيان الصهيوني بتهمة تهريب كميات كبيرة من السلاح والذهب للمقاومة الفلسطينية البطلة. عاشت رجالات العروبة المدافعة عن قضية فلسطين في الأردن».

وكتب ياسر العـوران: «آبـاؤنا وأجـدادنا دعموا المقاومة الفلسطينية بالمال والسلاح، بل وشاركوا بكل الحروب لتحرير فلسطين، وفي زماننا أصبحنا نحمي إسرائيل وأعـداء الدين. يا أسفي على زمن يُسجن فيه الأحرار والمجاهدون ويُكرم فيه الخائنون والمتصهينون».

يشار إلى أن قبيلة العدوان وشقيق النائب الأردني أصدروا بيانات رداً على الجدل الواسع الذي انشغل به الرأي العام حول القضية، حيث شكر شقيق النائب في بيان «الأردنيين من كل المنابت والأصول على وقفتهم الطيبة المعروفة والممزوجة بالشهامة» وأضاف: «خوفا من أن تمتد يد أي حاقد أو يأتي أشخاص علينا لنيل غاية شخصية له، فإنني باسمي وباسم كامل أبناء العمومة من قبيلة العدوان نوكل أمر أخي عماد إلى الله أولا ومن ثم الدولة الأردنية والحكومة ومجلس النواب لإحضار ابننا عماد من أيدي الصهاينة».

وتابع: «جميع أجهزة الدولة الآن في حراك وسعي لإحضار عماد.. وإننا نثق بأجهزتنا الأمنية التي لها دور كبير في متابعة هذه القضايا وأنها قـادرة على إنهائها وبمتابعة وزراة الخارجية التي ما زالت تسعى لإنهاء هذه الأزمة كعادتها في كل القضايا الوطنية».

كما أصدرت قبيلة العدوان بيانا عاجلا ناشدت فيه «الملك عبدالله الثاني راعي الحمى، وصاحب الولاية الهاشمية على مقدساتنا الإسلامية والمسيحية في فلسطين الحبيبة» ودعت «الشرفاء في الأردن للوقوف صفا واحدا للمطالبة بالافراج الفوري عن النائب عماد العدوان» مؤكدة أن «اعتقاله وهو على رأس عمله يعتبر اعتداء صارخا على الأعراف الدولية كافة». وأكدت قبيلة العدوان في البيان «الثقة المطلقة بالحكومة على توفير كافة السبل لعودة إبن الأردن عماد العدوان».

موسكو تعتزم فرض ضرائب على النشطاء الروس الذين يجنون الأرباح من منصات أجنبية

لندن – «القدس العربي»:

تعتزم السلطات الروسية فرض ضريبة دخل على المدونين والنشطاء الروس الذين يجنون الأرباح من نشر محتواهم على المنصات الأجنبية.

وذكرت صحيفة «فيدوموستي» الروسية الأسبوع الماضي أن المدونين والمؤثرين العاملين في الخارج والذين ينشرون تدويناتهم عبر منصات أجنبية سيدفعون ضريبة دخل على العوائد التي يجنونها في روسيا، وفق مبادرة طرحتها وزارة المالية، وكشف عنها مصدر مطلع على إعداد التعديلات لقانون الضرائب، وأكدها مصدر مقرب من الحكومة.

وكشف المصدر المطلع على سير إعداد مشروع القانون للصحيفة من دون أن تذكر هويته، أن التنظيم يهدف إلى توسيع نطاق العوائد التي تعتبر أنّها جنيت في روسيا.

من جهته، شرح مسؤول قضايا الضرائب بمكتب إيبام للمحاماة، سيرغي كالينين، الوضع الحالي بالقول إنّه إذا كان مصمم الويب ينفذ طلباً لشركة روسية من الخارج، فإنه لا يدفع الضرائب كون القانون الحالي لا يعتبر أن دخله تم جنيه في روسيا.

وأضاف أنّه من المخطط إزالة هذه الثغرة القانونية الآن، وتسوية العوائد التي يتم جنيها عبر قطاع الإنترنت الروسي من الإنترنت.

وكانت الحكومة الروسية قد أحالت يوم الاثنين الماضي إلى مجلس الدوما (البرلمان) حزمة تعديلات لقانون الضرائب من إعداد وزارة المالية. ويقترح مشروع القانون تدقيق الشروط التي تفرض فيها الضرائب الروسية على أعمال الروس من الخارج. كذلك، يقترح إدخال التعديلات على المادة 208 من قانون الضرائب (عوائد من المصادر في روسيا الاتحادية وخارجها).

ويقتضي مشروع القانون فرض ضريبة الدخل في روسيا في حال استخدام مواقع أو عناوين شبكات أو خوادم روسية أثناء أداء العمل. وسيتم تطبيق الضريبة إذا كان الفرد مسجلاً كدافع ضرائب في روسيا (أي كان موجودا في البلاد لأكثر من نصف عام) أو حصل على عوائده في حساب في مصرف روسي أو كان مصدر الدفع هو منظمة أو منشأة فردية روسية.

وتسعى روسيا منذ عام 2021 لجمع ضريبة الدخل من المدونين المستخدمين لمنصات أجنبية، وكان يفترض حينها جعل المنصات نفسها مثل «يوتيوب» و«إنستغرام» و«تويتر» وغيرها وكلاء ضرائب في روسيا، يتولون مسؤولية دفع الضرائب بالنيابة عن المدونين الروس، وفق ما جاء في خطة تنمية قطاع تكنولوجيا المعلومات في روسيا.

علوم وتكنولوجيا

رئيس «غوغل» يحذر من مخاطر «الذكاء الاصطناعي» على الوظائف وغيرها

لندن ـ «القدس العربي»:

قال سوندار بيتشاي، الرئيس التنفيذي لشركة «غوغل» إن الذكاء الاصطناعي سيؤثر قريبا على «كل منتج من منتجات كل شركة» وحذر من المخاطر التي تشكلها التكنولوجيا على قطاعات التوظيف وتوزيع المعلومات المضللة.

وقال بيتشاي لشبكة التلفزيون الأمريكية «سي بي أس»: «نحن بحاجة إلى التكيف مع ذلك كمجتمع». وأضاف أن نمو الوظائف واستدامتها سيتعطلان بالنسبة للصناعات التي تعتمد على ما أشار إليه بـ«عمال المعرفة» مثل الكتّاب والمحاسبين، وحتى المهندسين الذين صمموا البرمجيات.

وأطلقت غوغل «روبوت الدردشة» للذكاء الاصطناعي «Bard» الشهر الماضي، وجاء ذلك بعد ظهور برنامج «ChatGPT» عبر الإنترنت في عام 2022 والذي حظي بدعاية كبيرة لقدرته على إعداد أوراق أكاديمية وكتابة مقاطع نثرية معقدة ومفصلة بلغة تشبه لغة الإنسان، إضافة الى قدرته على القيام بمهام أخرى.

ومع ذلك، فإن روبوتات الدردشة التي تعمل بالذكاء الاصطناعي كان لها منتقدوها. وتم حظر تطبيق «تشات جي بي تي» في إيطاليا في وقت سابق من هذا الشهر بسبب مخاوف محتملة تتعلق بالخصوصية، بينما دعا عمالقة التكنولوجيا إيلون موسك وستيف وزنياك، إلى جانب عشرات الأكاديميين، إلى إيقاف تجارب الذكاء الاصطناعي مؤقتا. وقالوا إنه «يجب تدقيق التكنولوجيا بدقة والإشراف عليها من قبل خبراء خارجيين مستقلين».

وحذر بيتشاي أيضا من المخاطر المحتملة للذكاء الاصطناعي. وقال إن انتشار الأخبار ومقاطع الفيديو والصور المزيفة سيكون «أكبر بكثير»، و«قد يتسبب في ضرر». وسبق أن نشرت غوغل وثيقة عبر الإنترنت تدعو إلى تنظيم التكنولوجيا للتأكد من أنها «تتماشى مع القيم الإنسانية بما في ذلك الأخلاق». وأوضح في حديثه للشبكة التلفزيونية الأمريكية أنه «ليس للشركة أن تقرر. ولهذا السبب أعتقد أن تطوير هذا لا يجب أن يشمل فقط المهندسين ولكن علماء الاجتماع وعلماء الأخلاق والفلاسفة وما إلى ذلك». ووفقا لبيتشاي، لا يزال هناك «صندوق أسود» في الذكاء الاصطناعي «لا نفهمه تماما».

روسيا تطور تقنيات جديدة لتنقية المياه والهواء من المواد الضارة

لندن ـ «القدس العربي»:

أعلنت عدة شركات روسية عن بدء عملية تطوير تقنيات جديدة لتنقية المياه والهواء من المواد الضارة، للاستغناء عن المعدات المستوردة.

وقالت شبكة «روسيا اليوم» في تقرير إن شركتي «اليكساندرا بلس» و«نوفوتيك إيكو» الروسيتين باشرتا بتطوير جيل جديد من المعدات والتقنيات التي تستخدم في تنقية الماء والهواء من الميكروبات والمواد الضارة، إذ بدأت الشركة الأولى بتصنيع معدات تعتمد في آلية عملها على الموجات فوق الصوتية القوية، بينما تطور الشركة الثانية معدات لتعقيم المياه تعتمد على الأشعة فوق البنفسجية والموجات الصوتية، وستباع منتجات الشركتين في الأسواق المحلية والأجنبية.

وقال مدير شركة «نوفوتيك إيكو» أوليغ ليبيديف: «مصابيح الأشعة ما فوق البنفسجية هي مكون أساسي في أجهزة التعقيم، ومنذ عام 2014 ومع بدء الحزمة الأولى من العقوبات التي فرضت على روسيا أدركنا أننا بحاجة لمثل هذه التقنيات للاستغناء عن المنتجات الأجنبية لذا قررنا إنتاجها محليا، هناك شركات روسية تصنع مثل هذه الأشياء لكنها تصنعها بكميات غير كبيرة ولاستخدامات محدودة، شركتنا قررت إنتاج هذه المصابيح بكميات كبيرة تكفي الاحتياجات المحلية الروسية، عملنا مع شركائنا على هذا المشروع وأصبحنا مستقلين تماما عن الموردين الأجانب».

وأضاف «المصابيح التي ستنتجها شركتنا لن تعمل في الأجهزة الروسية فقط، بل صممت لتعمل مع العديد من أنواع الأجهزة الأجنبية أيضا».

وقبل عدة سنوات أعلنت جامعة «تومسك» الحكومية الروسية أن باحثين من الجامعة وضعوا تقنية جديدة لتنقية المنظومات البيئية للبحيرات إثر تلويثها بالنفط. وقد أظهرت التجارب العملية أن استخدام هذه التقنية يخفض نسبة النفط في الماء بمقدار 35–40 ضعفا.

وأشارت الجامعة إلى أن اختبار صحة الحلول الأساسية الفنية أجري في أثناء أعمال تنقية المياه في بحيرة في جمهورية كومي حيث تمكن عاملون من رفع 157 طنا من النفط من قاع تلك البحيرة.

ويتلخص جوهر هذا الأسلوب في وضع خرطوم مثقب في قاع الحوض المائي ثم توصيل الهواء بضغط زائد إلى موقع تراكم النفط حيث يقع الخرطوم مما يؤدي إلى صعود النفط إلى سطح الماء حيث يلتصق بالحد الفاصل بين الوسطين الهوائي والسائل فيُجمَع. وتتناسب طريقة التنقية هذه تلك البحيرات التي تتميز بقيعانها الصخرية والطينية والرملية. ولا تؤمن هذه التقنية إزالة الرواسب المتراكمة في قاع البحيرة فحسب بل تنقية المياه على طول عمق الحوض المائي. لا يحتاج هذا الأسلوب إلى استخدام أي مواد كيميائية ويمكن أن يطبق حتى في فصل الشتاء عند تباطؤ عمليات التجدد وحينما تكون مقادير الأضرار الملحقة بالكائنات العائشة في الوسط المائي أقل ما يمكن. ومن الأفضل إجراء الأعمال المذكورة خلال الفصول الباردة عند تباطؤ وتوقف عمليات النمو والتكاثر في الأحواض المائية.

ويتراكم النفط عند وقوعه إلى البحيرة على سطح الماء في البداية ثم يكتسب دقائق معدنية ويفقد قدرته على العوم فينزل إلى قاع البحيرة حيث يعمل على القضاء على الحياة هناك مما يقلص القيمة الاقتصادية لذلك الحوض.

الصين تعتزم استعمار القمر قبل أمريكا بأربع سنوات

لندن ـ «القدس العربي»:

دخلت الصين في سباق علني مع الولايات المتحدة من أجل الوصول إلى القمر واستكشافه واستعماره هناك، وأعلنت أنها ستتمكن من إقامة أول مستعمرة بشرية على سطح القمر قبل نهاية العقد الحالي، أي قبل أن تطأ أقدام الأمريكيين هناك بأربع سنوات على الأقل.

وكانت وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» كشفت سابقاً عن هدف يتمثل في إنشاء معسكر قاعدة «أرتميس» الخاص بها بحلول عام 2030 فيما كشفت الصين أخيراً أنها تعتزم إقامة مستعمرتها البشرية هناك قبل الموعد الأمريكي المحدد بأربع سنوات على الأقل.

وقال تقرير نشرته جريدة «ديلي ميل» البريطانية واطلعت عليه «القدس العربي» إن «لدى الصين جدول زمني من شأنه أن يضع البلدين في مسار تصادمي ويؤسس احتمالية لسباق فضائي ملحمي في القرن الحادي والعشرين».

وقال عالم الفيزياء وو ويرين، الذي يقود بعثة الصين إلى القمر، لوسائل الإعلام الحكومية إن بكين تريد إنشاء محطة علمية وبحوث قمرية قبل نهاية العقد الحالي، أي قبل العام 2030. وأضاف: «بحلول عام 2030 سنترك آثار أقدام الشعب الصيني على القمر.. ليس هناك شك في ذلك».

ويأتي ذلك بعد عامين من إعلان الصين عن خطط مع روسيا لإنشاء قاعدة مشتركة على القمر بحلول عام 2035.

وقد يشير هذا الإعلان الأخير إلى أن كلاً من الولايات المتحدة والصين يسارعون في تحقيق هدفهم في محاولة للتغلب على الوحدة الغربية بقيادة الولايات المتحدة والتي تضم وكالات الفضاء في كندا وأوروبا واليابان.

وأشارت وثائق مسربة العام الماضي إلى أن وكالة «ناسا» كانت تستهدف عام 2034 لبدء مشروع بناء قاعدة على سطح القمر.

ومع ذلك، أعربت وكالة الفضاء الأمريكية أيضاً عن آمالها في الحصول على قاعدة قمرية دائمة بحلول نهاية هذا العقد، بينما ألمح المسؤولون الأسبوع الماضي إلى أن العمل يمكن أن يبدأ في وقت مبكر. ويمكن أن يبدأ هذا بين 2029 و2030 اعتماداً على نجاح المعالم السابقة في البرنامج، حسب ما أكدت «ديلي ميل».

والصين هي الوافد الجديد نسبياً عندما يتعلق الأمر بالمساعي الفضائية، لكنها حققت عدداً من النجاحات المثيرة للإعجاب على مدار العقد الماضي.

وأطلقت الصين مركبة «Chang'e 1» غير المأهولة في عام 2007 للدوران حول القمر، وفي عام 2013 قامت بهبوط ناجح بدون طيار هناك. وبعد ست سنوات، أصبحت الصين أول دولة تهبط على الجانب البعيد من القمر، وفي نهاية عام 2020 نجح مسبار «Chang'e-5» في إعادة الصخور والتربة التي التقطتها من على سطح القمر. واعتبر هذا دليلا آخر على زيادة قدرة البلاد في الفضاء.

على الرغم من أن الهدف الأصلي كان بناء البؤرة الاستيطانية القمرية بحلول عام 2035 يبدو أن بكين وموسكو لديهما الآن عين واحدة على الذهاب مع «ناسا» في السباق لتصبح القوة العالمية المهيمنة في الفضاء.

ووفقاً لجدولها الزمني الرسمي، ستطلق بكين «Chang'e 7» في عام 2026 من أجل «مهمة مسح شاملة» للبحث عن المياه في القطب الجنوبي للقمر.

وبعد ذلك بعامين، ستساعد محطة «Chang'e 8» بعد ذلك في بناء محطة قمرية دولية ستكون متاحة للاستخدام من قبل الدول الأخرى، حسبما قال وو لتلفزيون الصين المركزي.

وأضاف أن «مهمتها الأساسية ستكون مسح الموارد على القمر وتجربة إعادة استخدام الموارد».

وتابع: «على سبيل المثال، ستكون هناك أسئلة مثل ما إذا كان يمكن تشييد المباني هناك، وما إذا كان يمكن استخدام الطوب وكيف سيتم إجراء الاتصالات».

وعلى الجانب الأمريكي فقد عينت وكالة «ناسا» مؤخراً أربعة رواد فضاء كجزء من أول طاقم قمر لها منذ 50 عاماً.

والهدف هو أن تنطلق المهمة «Artemis II» حول القمر في العام المقبل، على ان يتم الهبوط على سطح القمر في وقت ما من العام 2025 والذي سيشهد أول امرأة وأول شخص يتقدم بخطوة لونية على السطح كجزء من مهمة «أرتيمس 3».

ويسود الاعتقاد بأن هذا الجدول الزمني الأمريكي سوف ينزلق قليلاً، بحسب ما يقول تقرير «ديلي ميل».

وأشارت وكالة الفضاء الأمريكية إلى أن المهمات الأولى لبدء بناء قاعدة على القمر ستوكل لكل من «Artemis VII» و«VIII» و«IX» والتي من المحتمل أن تكون في نفس الوقت الذي من المقرر أن تقوم فيه مهمة «Chang'e 8» الصينية بنفس الشيء.

وتستهدف كل من أمريكا والصين وروسيا استكشاف القطب الجنوبي للقمر لبؤرهما الاستيطانية على سطح القمر لأنه من المعروف أنه يحتوي على كميات كبيرة من المياه الجليدية التي يمكن استعمالها للمستعمرات المستقبلية.

وتم الكشف عن خطط «ناسا» الخاصة بمعسكر قاعدة «أرتميس واحد» في القطب الجنوبي للقمر لأول مرة في عام 2020.

ومع ذلك، قال المسؤولون الأمريكيون الأسبوع الماضي فقط أنهم قد يعملون مع شركاء دوليين مثل وكالة الفضاء الأوروبية لتوسيع هذا إلى سلسلة من القواعد القمرية. وتتمثل إحدى الفوائد في أنها ستضيف التكرار للبعثات التي قد تواجه حالات طوارئ كارثية على القمر.

وصرح جيم فري، المدير المساعد في وكالة «ناسا» لتطوير أنظمة الاستكشاف، في مؤتمر صحافي أنه سيسمح أيضاً لبرنامج «أرتيميس» بزيادة إمكاناته العلمية إلى أقصى حد.

وقال فري: «لذلك ربما يكون لدينا موقعان أو ثلاثة مواقع نذهب إليها لمساعدة تنوعنا العلمي لأن السبب وراء قيامنا بأرتميس في المقام الأول هو العلم».

وأضاف: «من المحتمل أننا نبحث في المهام اللاحقة، مثل «أرتيميس 7» وثمانية وتسعة، حيث بدأنا في النظر في إضافة سكن دائم على السطح».

وهبطت الولايات المتحدة لأول مرة على سطح القمر في عام 1969 وأرسلت 11 شخصاً آخر إلى سطح القمر حتى عام 1972 لكنها لم تكن هناك منذ ذلك الحين.

خاتم ذكي يستكشف درجة الحب في قلب الزوج أو الزوجة

لندن ـ «القدس العربي»:

تمكنت شركة غربية متعددة الجنسيات من ابتكار أول خاتم زواج ذكي في العالم، حيث يستطيع قراءة مشاعر الشريك واستطلاع درجة الحُب في قلبه، حتى إن كان بعيداً عنك أو مسافراً في بلد آخر.

وقالت الشركة المنتجة للخاتم على موقعها الإلكتروني الذي اطلعت عليه «القدس العربي» إن «مهمتنا هي أن نجعلك تشعر بأنك أقرب إلى أحبائك أينما كنت، وأن نجعلك تشعر بأغلى شعور على الإطلاق وهو نبض قلب من تحب».

والخاتم الذكي «HB Ring» هو جهاز يمكن ارتداؤه على شكل حلقة ذكية، وهو الأول في العالم الذي يتيح لك رؤية نبضات قلب من تحب على خاتمك وتشعر بها، بحسب ما تقول الشركة المنتجة.

والخاتم «HB» مدعوم بتكنولوجيا العصر الحديث ويفتح صفحة جديدة في تاريخ المجوهرات، حيث أنه «مصنوع من الياقوت والذهب الوردي (الفولاذ المقاوم للصدأ كمعيار قياسي) ما يجعله ليس فقط ثميناً وممتعاً للمس، ولكنه أيضاً متين وعملي للغاية، حيث أن الياقوت غير قابل للكسر، وهذا يعني أنه بعد سنوات عديدة من الاستخدام سيظل يبدو جديداً، حسب الموقع الالكتروني للشركة.

وتقول الشركة إن هذا الخاتم الذكي هو نتيجة عامين ونصف العام من عمليات البحث والتطوير التي شاركت بها شركات من تشيك وسويسرا وألمانيا واليابان.

ومن الناحية التكنولوجية، يُعتبر هذا الخاتم هو الأكثر تطوراً في العالم، مع شريط إضاءة كبير وردود فعل لمسية وشحن لاسلكي، وهو يحتوي على عدد من الوحدات الصغيرة لجعل وظائفه ممكنة، والأهم من ذلك كله، أنه يشتمل على مستشعر دقيق للغاية لنبضات القلب، مغطى بزجاج من الياقوت. كما أن الخاتم محاط بشريط إضاءة موحد فريد، تم تطويره خصيصاً لإعطاء تمثيل مرئي لنبضات القلب في الوريد. وتعد مساحة الإضاءة الكبيرة لمثل هذا الجهاز الصغير فريدة من نوعها ولم يتم رؤيتها في الأجهزة القابلة للارتداء ذات الحجم المماثل من قبل.

ويأتي «HB Ring» مزوداً بشواحن لاسلكية، تم تصميمها مع الشركة المصنعة الألمانية لصناديق المجوهرات الراقية، لضمان الجودة العالية والاهتمام الكبير بالتفاصيل، مع طلاء أسود شديد اللمعان وحشوة داخلية ناعمة.

وتقول الشركة إن هذا الخاتم الذكي الجديد يُعتبر بديلاً فريداً لخواتم الزفاف الكلاسيكية أو خواتم الخطبة، ومع نبض قلب من تحب، فهي أثمن المجوهرات التي سيمتلكها الشخص على الإطلاق.

ويبلغ ثمن الخاتم الذكي الجديد 400 جنيه إسترليني (500 دولار أمريكي) وبفضله يمكن الحصول على الشعور بنبض قلب شريكك في الوقت الفعلي بمجرد النقر عليه مرتين. وما دام هاتف شريكك متصلاً بالإنترنت، سينبض رنينك بنفس نمط قلب شريكك.

كما أن الخاتم يومض خطاً أحمر حول الحافة لتحريك نبضات القلب مثل عمليات تخطيط القلب الكهربائية بالمستشفى، ما يجعله بديلاً ملتوياً لخاتم الزواج الذهبي الكلاسيكي.

والخاتم القابل لإعادة الشحن هو من صنع شركة تشيكية تسمى «The Touch»، والتي تبيع أيضاً عدداً من الأجهزة الذكية القابلة للارتداء وغيرها من المجوهرات المتصلة.

وتقول الشركة على موقعها على الإنترنت «إنه يتيح لك الشعور والاحتفاظ إلى الأبد بأكثر العناصر قيمة في حياتك، نبضات قلب أحبائك».

ويكتشف «HB Ring» نبض مرتديها وينقل هذه المعلومات إلى تطبيق مصاحب.

ونظراً لأنه يمكن توصيل اثنين من مرتدي الخواتم عبر التطبيق، يمكن لكل مستخدم النقر نقراً مزدوجاً على خاتمه ليرى نبضات قلب الآخر ويشعر بها.

و نبضات القلب هي قراءات في الوقت الفعلي، ما لم يكن مرتديها الآخر غير متصل بالإنترنت (في هذه الحالة سيكون نبض القلب منذ آخر مرة كان فيها متصلاً بالإنترنت).

وفي المجتمع الغربي يسود الاعتقاد على نطاق واسع بأن الإصبع الأوسط لليد اليسرى مرتبط بالعقد التقليدي المعروف باسم «عرق الحب». وتقول الشركة إن الناس بدأوا في ارتداء الخواتم على هذا الإصبع منذ حوالي ستة آلاف عام معتقدين أن ما يسمى بالوريد مرتبط مباشرة بالقلب.

على الرغم من أنه ثبت لاحقاً أن هذا الوريد غير موجود، إلا أن شركة «The Touch» تدفع هذا التقليد «خطوة إلى الأمام»، من خلال جعله يشعر وكأن إصبعك متصل بالفعل بقلب شريكك.

اقتصاد

مصر ساحة اختبار مهمة
إذا كان صندوق النقد يريد تدارك بعض أخطائه

إبراهيم نوار

وسط عدد من الأزمات الاقتصادية والمالية العالمية لعب صندوق النقد الدولي دورا محوريا في محاولة ضمان استمرار النمو، وتحقيق أكبر قدر ممكن من الاستقرار المالي. لكن النتيجة كانت زيادة حدة تباطؤ نمو الاقتصاد العالمي، وارتفاع التضخم إلى مستويات قياسية في الدول النامية والصناعية المتقدمة على السواء، باستثناء عدد قليل جدا من الدول التي نجحت في حصار التضخم داخل مستويات تاريخية معتدلة نسبيا مثل الصين وفيتنام. كما أدت سياسة الصندوق وسياسة مجلس الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي إلى إرباك أسواق المال العالمية بسبب ارتفاع أسعار الفائدة على الدولار. في تقريره الجديد عن آفاق النمو في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الذي سينشر في 3 أيار/مايو يقدم صندوق النقد الدولي لصناعة السياسة الاقتصادية في المنطقة جديدين مهمين، لضمان تحقيق قدر من الاستقرار وسط ظروف شديدة التوتر والاضطراب. الجديد الأول والمهم الذي يقدمه الصندوق هو ضرورة التنسيق بين السياستين النقدية والمالية. خصوصا في الدول التي تعتمد أكثر على سلاح أسعار الفائدة. وفي هذا الجديد يرى خبراء الصندوق أن سريان مفعول السياسة النقدية يكون أفضل وأكثر تأثيرا مع استخدام سياسة مالية نشطة تتكامل مع السياسة النقدية. ولا شك في أن وجود توافق بين أهداف السياسة النقدية، التي تمثل أحد أهم مفاتيح إدارة الطلب العام والخاص، والسياسة المالية التي تمثل أحد أهم مفاتيح إدارة جانب العرض، سواء من خلال الإنفاق الاستثماري والحوافز الضريبية أو من حيث إتاحة حوافز متنوعة ومتعددة للمنتجين، يساعد على تحقيق الأهداف المرجوة، والوقاية من المخاطر التي يمكن أن تترتب على سياسة التشدد النقدي.

أما الجديد الثاني الذي يقدمه صندوق النقد الدولي في حزمة السياسات المقترحة لإدارة الطلب، خصوصا في الـ 24 شهرا المقبلة، فإنه يتمثل في إعادة التأكيد على أن مرونة سعر الصرف هي القناة الطبيعية التي تساعد على جودة سريان آثار السياسات الإصلاحية في عروق الاقتصاد، وبدون ذلك فإن سياسة أسعار الفائدة تفقد الكثير من مفعولها. ويشير الصندوق إلى الأهمية الشديدة لتعويم العملات المحلية، خصوصا بعد أن لاحظ الخبراء في السنوات الأخيرة أن بعض البلدان التي اتبعت سياسة نقدية متشددة فشلت في جني النتائج التي استطاعت الدول ذات العملات الحرة جنيها من رفع أسعار الفائدة. وحذر الصندوق من خطورة ربط أسعار العملات المحلية بسعر ثابت مع الدولار، أو تجميد سعر العملة المحلية إداريا. هذا التحذير موجه أساسا للدول التي تعاني من اضطراب أو نقص تدفقات النقد الأجنبي. ومن المظاهر التي اتخذت أبعادا خطيرة بسبب تحديد سعر الدولار إداريا، أو ربط العملة المحلية بالدولار أو اليورو بسعر ثابت، انفجار معدلات التضخم في دول مثل مصر وتونس ولبنان، وهي ثلاث دول عربية تعاني من مشكلات عميقة في علاقتها بالصندوق.

لكن موضوع تحرير سعر الصرف، في دول الشرق الأوسط النامية غير المصدرة للنفط يحتاج إلى مناقشة مسؤولة، حتى لا يقع الصندوق في الخطأ ذاته الذي يحاول تداركه، ذلك أن تعويم سعر الصرف يترك تداعيات قاسية على جانب العرض، بتقليص الواردات، بما فيها السلع الوسيطة والاستثمارية اللازمة لتشغيل وتوسيع طاقات الجهاز الإنتاجي، خصوصا الجهاز الإنتاجي السلعي المرتبط بالسوقين المحلي والخارجي. وتقدم مصر تجربة مهمة يتعين على الصندوق أن يدرسها جيدا، نظرا لتشابكها الشديد مع الجديدين في سياسة صندوق النقد الدولي، حيث تتبنى مصر سياسة مالية توسعية، تسهم في تغذية جانب الطلب وتقويته، خصوصا الطلب الاستهلاكي الخاص والعام، وهو ما يقوض أثر السياسة النقدية المتشددة التي تسعى إلى تقليص الطلب، والحد من التضخم. كما أن الدعوة إلى مرونة التحويل بين الدولار والجنيه المصري، تؤثر سلبا على قدرة الاقتصاد الخاص على توليد إيرادات بالعملات الأجنبية لتمويل احتياجات استيراد المواد الخام والوسيطة والآلات والمعدات الرأسمالية. وتظهر بيانات مؤشر مشتريات المديرين تراجعا مستمرا في أداء الاقتصاد غير الملموك للدولة، لمدة تزيد عن سنتين، دون أن تلوح في الأفق علامات قوية ومستدامة على أن هذا التراجع سيتوقف وأن القطاع الخاص سيستأنف النمو.

ونظرا لأن توقعات المؤسسات الدولية، ومنها البنك الدولي وصندوق النقد تقيس حركة المتغيرات الاقتصادية ارتفاعا أو انخفاضا اعتمادا على نماذج رياضية مغلقة، فإن هذه التوقعات قد تحمل في طياتها عيوبا هيكلية خطيرة، وهو ما تحاول مؤسسات التقييم الائتماني مثل موديز وستاندارد اند بورز تجنبها، وذلك بمحاولة ترجيح نتائج النماذج الرياضية بمتغيرات حقيقية مؤثرة على الأرض، منها مدى استجابة الدول ومؤسسات التمويل المتعددة الأطراف للاحتياجات التمويلية لدول ما تزال تعتمد على تدفقات التمويل الأجنبي أكثر من اعتمادها على الموارد المحلية. وهناك عوامل أخرى يجب أخذها في الاعتبار مثل تأثير تداعيات الصراع العسكري في السودان على الاقتصاد المصري، وكذلك تأثير مدى كفاءة السياسة الاقتصادية في مكافحة التضخم وتحقيق الاستقرار المالي.

ومع ذلك فإن استخدام النماذج الرياضية في بناء خريطة توقعات حركة المتغيرات الاقتصادية الكلية في الدول العربية، التي تخوض صراعا قاسيا من أجل تحقيق الاستقرار الاقتصادي لا تظهر نتائج مشجعة للعام الحالي 2023 نظرا لهشاشة القدرة على تحمل الصدمات الداخلية، بسبب ضعف سلاسل الإمدادات أو الخارجية، وتداعيات التغيرات الجيوسياسية التي تمر بها المنطقة، وآخرها الصراع في السودان. وطبقا لتقرير آفاق النمو الذي سيصدره صندوق النقد الدولي بعد أيام، فإن منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ستحقق نموا بنسبة 3.1 في المئة في العام الحالي. هذا المعدل مع إنه أقل من معدل النمو في العام الماضي الذي كان 5.3 في المئة، فإنه أفضل من متوسط النمو العالمي المتوقع بنسبة 2.8 في المئة. لكن معدل النمو في الشرق الأوسط يخفي تباينا شديدا بين الدول النفطية الغنية والدول المستوردة للنفط. ويتوقع التقرير أن يظل متوسط معدل التضخم الإقليمي عند معدل 15 في المئة، وهو المعدل الذي كان عليه في العام الماضي. ويؤكد صندوق النقد الدولي على أن النجاح في مكافحة التضخم يتوقف على طبيعة السياسة النقدية، المتشددة أو المحايدة، وضرورة التنسيق بين السياستين النقدية والمالية.

هشاشة وضيق حلقات الإمدادات

وتقدم مصر مثالا مهما لاختبار توقعات صندوق النقد الدولي، خصوصا بعد أن قام الصندوق نفسه بمراجعة هذه التوقعات بالتخفيض أكثر من مرة، في سياق تخفيض معدلات النمو المتوقعة إقليميا وعالميا. وتخوض مصر معركتها من أجل تحقيق الاستقرار الاقتصادي بأسلحة مستوردة من الخارج، أهمها اتفاقات التمويل مع صندوق النقد الدولي، والمساعدات المالية الثنائية من الدول النفطية الخليجية الغنية، والتمويل المرتبط بمشروعات محددة، تقوم بها شركات من دول مثل الصين وألمانيا وإيطاليا وبريطانيا. ونظرا لهشاشة القدرة على التحمل، فإن عدم تدفق المساعدات المالية الخارجية بالقدر الكافي يهدد بإعادة تخفيض التصنيف الائتماني لمصر سلبيا مرة أخرى في الـ 12 شهرا المقبلة، وهو ما حذرت منه مؤسسة ستاندرد آند بورز. هذا الأمر يعني أن رقبة الاقتصاد المصري تقع تحت طائلة سكين المساعدات الخارجية، والتغيرات الجيوستراتيجية الإقليمية والعالمية، بدون قدرة داخلية كافية على التحمل والمقاومة. ومن الصعب جدا أن نتصور استدامة هذا النموذج من النمو الذي يرعاه صندوق النقد الدولي، وهو النموذج الذي تتجلى أزمته في الأرجنتين منذ عقود حتى الآن، ويقوم على أساس علاج فشل برامج الإصلاح التي يصممها، بتقديم مزيد من القروض لتعويض فشل القروض السابقة في تحقيق النتائج المرجوة.

مرة أخرى تقدم مصر حالة دراسية مهمة في اختبار مدى كفاءة برامج الإصلاح التي يتبناها ويروجها صندوق النقد الدولي. مصر في حقيقة الأمر باتت تعتمد على مزيد من القروض والمساعدات الخارجية منذ حصلت على قرض الـ12 مليار دولار من الصندوق منذ نحو 7 سنوات. وتظهر النماذج الرياضية لتوقعات نمو المتغيرات الاقتصادية الكلية أن حصيلة الإيرادات الحكومية العامة الضريبية وغير الضريبية كانت تعادل 23.2 في المئة من إجمالي الناتج المحلي عام 2014 أي قبل قرض الصندوق الأول الذي حصلت عليه مصر بعد ثورة يناير، ثم انخفضت مع سياسات برنامج الإصلاح إلى 18.2 في المئة عام 2020. ويتوقع الصندوق أن تبلغ في نهاية السنة المالية الحالية 18.7 في المئة. وتعتبر الإيرادات الحكومية مقياسا لقوة النشاط الاقتصادي، حيث أن 80 في المئة منها يأتي من الضرائب. كما انها تعتبر المصدر الأول الصحي لتمويل الموازنة العامة للدولة. ومن ثم فإن أي برنامج للإصلاح الاقتصادي لا يترتب عليه زيادة نسبة الإيرادات الضريبية من إجمالي الناتج المحلي، يكون برنامجا محدود الكفاءة، بشرط أن تكون زيادة الحصيلة الضريبية ناتجة عن زيادة النشاط الاقتصادي وليس عن طريق التعسف الجبائي، لأن التعسف الجبائي يؤدي إلى إضعاف النشاط الاقتصادي. ويتوقع صندوق النقد أن تصل نسبة الإيرادات العامة الضريبية وغير الضريبية من الناتج المحلي في مصر عام 2028 إلى 20.9 في المئة. هذا يمثل الفشل الأول في البرامج التي يتبناها ويروجها ويمولها صندوق النقد الدولي في مصر، وتدفع ثمنها الأجيال المقبلة. وطبقا للصندوق نفسه فإن نسبة ديون الحكومة العامة من الناتج المحلي الإجمالي زادت من 80.9 في المئة عام 2014 قبل حصول مصر على قرض عام 2016 إلى 92.9 في المئة في العام الحالي.

الفشل الثاني الخطير لبرامج صندوق النقد الدولي في مصر هو المبالغة الشديدة جدا في أهمية توازن القوائم المالية للحكومة العامة، وقياس النجاح بمؤشرات محاسبية تافهة مثل تحقيق فائض أولي في الموازنة العامة، حتى لو كان ذلك على حساب القدرة على الإنتاج والقدرة على التحمل ومقاومة الصدمات. ويتجلى الفشل هنا في تراجع معدل نمو الاستثمار الإجمالي بما في ذلك الأجنبي، وانخفاض نصيبه من الناتج المحلي الإجمالي من 15.3 في المئة عام 2018 إلى 12.3 في المئة في السنة المالية الماضية. كما زادت حدة انخفاض نصيب الاستثمار الأجنبي كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي من 3.4 في المئة في عام 2018 إلى 1.2 فقط في السنة المالية الأخيرة. وهذا ما يفسر هبوط نسبة النمو في قطاع الإنتاج السلعي إلى 2.7 في المئة فقط، في الربع الأول من السنة المالية الحالية، حسب تقرير صادر عن وزارة المالية، وهبوط معدل نمو قطاع الصناعة التحويلية إلى 1.3 في المئة، وهي نسبة هزيلة تقل عن معدل النمو الطبيعي للسكان، ولا يمكن أبدا أن تسهم في المساعدة على تحقيق توازن اقتصادي أو استقرار مالي. لذلك فإن إحدى خطايا سياسة صندوق النقد الدولي، التي يجب الانتباه لها هي تجاهل أهمية إقامة الترابط بين أهداف التوازن المالي وأهداف التوازن في جانب العرض الإنتاجي، لأن إدارة جانب الطلب الحكومي والخاص يظل جانبا واحدا فقط من جوانب الاقتصاد وليس كل الاقتصاد. وإذا كان صندوق النقد الدولي يسعى فعلا إلى تدارك أخطائه في الشرق الأوسط وفي سياسته تجاه الدول النامية بشكل عام، فإن عليه أن يربط أهداف تحقيق الاستقرار الاقتصادي ليس بالجانب المالي وإدارة جانب الطلب فقط، ولكن أيضا بالجانب الاقتصادي العيني، وبناء دالة العرض، وسلاسل الإمدادات القوية محليا، المترابطة عمليا.

الغزيون يدخرون الذهب
خوفاً من انهيار العملات النقدية

إسماعيل عبدالهادي

يتجه غالبية كبيرة من سكان قطاع غزة إلى شراء الذهب وتخزينه للأوقات العصيبة بدلاً من العملات النقدية، حيث باتت محال بيع الذهب المنتشرة في أسواق غزة تعج بالزبائن الراغبين في متابعة الأسعار والشراء، ولاسيما بعد انقضاء عيد الفطر حيث تزداد رغبة النساء في شراء الذهب بدلاً من نقود العيدية، على اعتبار أن الذهب استثمار آمن وجيد للأفراد والأسر، حيث تتنوع استخداماته ما بين الزينة والادخار، في حين هناك دوافع أخرى من وراء الشراء والبيع، وهي رغبة البعض في تحقيق الربح مع الارتفاع المتدرج له.

ويمثل الذهب أهمية كبيرة للدول في أوقات الحرب والنزاعات، وقد تحدثت تقارير إعلامية عن أن روسيا كدست كميات هائلة من الذهب في الأعوام الماضية، لمساعدتها في تقليل الآثار الاقتصادية لأي عقوبات يفرضها عليها الغرب بسبب الأزمة الأوكرانية، كما أنه يعد ادخاراً جيداً خلال الصراعات، ففي حال اضطر من يعيشون في مناطق الصراعات إلى الخروج منها، يتميز الذهب عن الكثير من العملات والسلع بسهولة حمله، كما أنه يعتبر بمثابة عملة دولية يمكن بيعها في أي مكان من العالم بدون التعرض لخطر التذبذب الذي تواجهه العملات الورقية.

وانتشرت ثقافة ادخار الذهب بشكل لافت في غزة بعد أن خاض تجار الذهب حملات ترويج على مواقع التواصل الاجتماعي خلال الأشهر الماضية، وهذه ساهمت بشكل مهم في إقبال الناس على شراء الذهب، حيث تضمنت حملات الترويج تخفيضاً لأسعار بعض القطع المستخدمة، إضافة لتوعية الناس بأهمية ادخار الذهب باعتباره الملاذ الآمن خاصة مع التذبذب الكبير في أسعار العملات هبوطاً وصعوداً خلال العام الماضي، إضافة إلى خوف التجار والمواطنين من انهيار الدولار أو الشيكل بسبب المتغيرات الاقتصادية الحالية، وإغلاق عدد من البنوك الأمريكية أبوابها بسبب الإفلاس، ما دفعهم للجوء إلى الذهب باعتبار أن أسعاره يتوقع أن تتجه إلى الصعود في الفترة المقبلة.

وتعد فئة العمال الذين تم منحهم تصاريح للعمل داخل إسرائيل، الأكثر التي انعشت أسواق الذهب مؤخراً في غزة، بعد أن لجأ العمال إلى شراء الذهب برواتبهم المرتفعة التي يحصلون عليها بدلاً من تخزين الأموال والخوف من انقطاعهم عن العمل بشكل مفاجئ، حيث يتقاضى العمال الفلسطينيون في الداخل المحتل أجوراً تزيد عدة أضعاف عن تلك التي يحصلون عليها في قطاع غزة، بسبب ارتفاع مستوى المعيشة في إسرائيل، الأمر الذي أدى لتوفر سيولة مالية جيدة في أسواق القطاع، ساعدت على تحريك عجلة الشراء للقطع الذهبية.

المواطن أبو شادي حصل على تصريح عمل قبل أشهر داخل إسرائيل، يحاول الاستفادة من هذه الفرصة المؤقتة للعمل بادخار مبلغ من المال ينفعه بعد انتهاء تصريحه والذي مدته 6 أشهر، ولذلك لجأ إلى شراء قطع ذهبية وتخزينها أملاً في بيعها لاحقاً وجني ربح كبير.

وقال لـ«القدس العربي» إن ثقافة ادخار الذهب تعتبر خطوة مهمة لشريحة كبيرة من العمال الذين قضوا أوقات معيشية صعبة للغاية نتيجة عدم ادخارهم للأموال لاتعدام فرص العمل أمامهم خلال السنوات الماضية، وبحصولهم على هذه الفرصة الثمينة، يرغبون بادخار ما ينفعهم من المال وقت الحاجة.

ويقول الخبير الاقتصادي ماهر الطباع إنه بدأ توجه المواطنين بشكل لافت لشراء الذهب في أسواق غزة مع حالة الترويج القوية التي يقوم بها أصحاب المحال على مواقع التواصل المختلفة ومحاولتهم ترغيب الزبائن بشراء الذهب بأسعار مناسبة للزينة والخزينة، في ظل التطورات العالمية المتلاحقة والخوف من انهيار العملات الأساسية كالدولار والتي يقوم التجار والمواطنون بالعادة تخزينها.

وأضاف أن أسعار الذهب تراجعت حاليا نظراً لكميات العرض الزائدة وتراجع طلب الشراء، حيث زاد العرض بشكل ملحوظ، فالمواطنون ممن يرغبون بأداء مناسك الحج لهذا العام اتجهوا لبيع ما لديهم من قطع ذهبية لدفع رسوم الحج المرتفعة، وهذا سبب فائضا في السوق وبالتالي اتجه التجار لخفض الأسعار وتشجيع المواطنين على الشراء كسلعة آمنة للادخار.

ولفت إلى أن هناك جزءا كبيرا من العمال في غزة فضلوا عدم إنفاق أموالهم على الاحتياجات الاستهلاكية وقرروا شراء الذهب الذي يعد الملاذ الآمن، بسبب خشيتهم من توقف العمل في إسرائيل في أي وقت، نتيجة للتطورات السياسية الأمنية المتسارعة في الأراضي الفلسطينية.

بدوره أكد رئيس نقابة العاملين في صناعة وتجارة الذهب والمجوهرات في غزة محمود حمادة أن أسعار الذهب في غزة غير مرتفعة كما الأسواق العالمية، وفي حال الارتفاع يكون السعر محدوداً، كون السوق الفلسطينية مغلقة بخلاف الأسواق العالمية المفتوحة، وبالتالي التأثير محلياً يكون قليلا.

وبين لـ«القدس العربي» أن «الغالبية العظمى من التجار والمواطنين لجأوا إلى شراء الذهب وبيعه خلال الفترة القليلة الماضية، واستغلوا التقلبات السريعة في الأسعار في ظل التوتر العالمي لكسب الربح» موضحاً أن الذهب يعد ملجأ آمنا أكثر من العملات الورقية التي تتغير قيمتها، ناصحاً المواطنين بشراء المعدن الأصفر حتى وأن ارتفعت أسعاره.

ووفق بيانات أصدرتها وزارة الاقتصاد الوطني في غزة، فإن تداول المصوغات الذهبية في أسواق غزة ارتفع منذ مطلع العام الحالي، وأسواق الذهب شهدت انتعاشاً غير مسبوق في حركة اقبال المواطنين على البيع والشراء، وهذا الانتعاش جاء نتيجة سماح سلطات الاحتلال بدخول آلاف الفلسطينيين للعمل في الأراضي المحتلة، الأمر الذي حقق مردوداً مالياً جيداً وسيولة نقدية أنعشت أسواق غزة بشكل عام.

مدن وآثار

تيبازة الجزائرية عاصمة التجارة في عهد الفينيقيين والرومان تستعد للانبعاث من رماد التاريخ

الجزائر– «القدس العربي»: محمد سيدمو

تيبازة أو تيبازا، واحدة من أكثر ولايات (محافظات) وسط الجزائر الشمالي سحرا وجمالا، فهي تمتلئ بكنوز أثرية لا حصر لها وتطل على أروع شواطئ البلاد، ما يجعلها الوجهة السياحية الأبرز في منطقة الوسط، لكن هذا الهدوء الذي عرفته على مدار قرون سيُكسر قريبا بفعل الحركة الهائلة المنتظرة بعد استكمال مشروع ميناء الوسط الذي تراهن عليه الجزائر ليكون بوابة تجارية تربط العالم بعمق أفريقيا.

الزائر لتيبازة التي تغنى بها الأديب العالمي ألبير كامو صاحب جائزة نوبل للأدب، سينتبه حتما للكم الهائل من الآثار الرومانية الموجودة بمختلف مدن الولاية، والتي تشهد على عراقة هذه المنطقة وامتدادها العميق في التاريخ. وما يميز هذه الكنوز أنها مبثوثة في الهواء الطلق، يستطيع أي كان الوصول إليها. وهكذا، تُحقق زيارة تيبازة للسائح الكثير من المتع في وقت قصير، فهو يستطيع التنقل بين الآثار والشواطئ مشيا على الأقدام فقط، ويستطيع صعود الجبال والتخييم في الغابات المحاذية للبحر، وله أن يتجول في مماشي موانئ الولاية الكثيرة التي يوجد بها سمك هو الألذ في منطقة المتوسط، مثلما يباهي بذلك سكانها.

ومن اختار الوصول لتيبازة انطلاقا من العاصمة (تبعد عنها بنحو 60 كيلومترا) فهو حتما سيستعمل الطريق السريع الساحلي الذي يمتاز بجودة بنائه ونقص الاكتظاظ فيه، ما يتيح لراكب السيارة التمتع بزرقة البحر التي لا تنقطع على جانبه الأيمن وخضرة المزارع التي تنبت فيها أجود أنواع الخضر والفواكه من رحم تربتها الخصبة التي تعد لوحدها أعجوبة بصرية، فهي تمتاز بلونها البني المائل نحو الحمرة الذي يمنحها شكلا فريدا ويشير إلى غناها بالعناصر الطبيعية التي تجعل كل ما ينبت عليها زاكيا.

الضريح الملكي الموريتاني

وقبل الوصول قليلا إلى مدينة تيبازة، سيصادف المسافر وهو في الطريق السريع على يساره، ذلك المبنى الدائري الضخم الذي يطلق عليه العامة «مقبرة الرومية» بينما تسميته الرسمية «الضريح الملكي الموريتاني». يشبه هذا الصرح في طريقة بنائه الأهرامات المصرية، فهو مشكل من الحجارة الضخمة المصقولة والتي تم رفعها فوق بعضها البعض لتشكل قبة دائرية عملاقة، يعجز المرء عن إدراك التكنولوجيا التي بنيت بها في ذلك الزمن الغابر، إذ كيف يمكن حمل تلك الحجارة التي تزن الأطنان من دون شاحنات ورفعها إلى هذا العلو الشاهق بدون رافعات؟

تصيبك الدهشة إذا قررت اقتطاع دقائق لنفسك تأمل في هذا المبنى المذهل وما تحيط به من مناظر خلابة على سواحل مدينة تيبازة وجبل شنوة الشاهق. لن يكلف الأمر سوى استعمال محول «سيدي راشد» على الطريق السريع لتكون أمامه في 5 دقائق، وبضعة دنانير جزائرية للسماح لك بالدخول، فهو محمية تراثية مصنفة دوليا. وستجد هناك من يرشدك ويقدم لك المعلومات عن المبنى ومميزاته الهندسية وظروف إنشائه التاريخية والتي لا تسلم من الاختلاف بين المؤرخين، بين من يقول إن أصوله مسيحية ومن يرى أن وجوده أقدم من هذه الديانة.

يعلو الضريح الملكي الموريتاني سطح البحر بمقدار 261 مترًا. يبلغ محيطه 185.5 متر، وقطره 60.9 متر، ويصل ارتفاعه إلى 32.4 متر. يبرز منه في الخارج 60 عمودًا و 4 أبواب. يمكن الدخول إليه عبر باب سفلية ضيقة كانت في السنوات السابقة مفتوحة للسياح. ما يسمح به الآن هو الاقتراب منها فقط والتأمل في داخل الضريح عبر شباك صغير. لن ترى شيئًا طبعا لأن الظلام داخله دامس، لكنك ستشعر بهواء بارد ينبعث منه، مهما كان الجو حارا في الخارج. يقول المرشدون إن الضريح من الداخل مصمم بشكل هندسي على قاعدة مربعة ضلعها 63.40 متر وبه عدة قبور يجهل أصحابها.

في محيط الضريح، توجد غابة جميلة مليئة بأشجار الصنوبر الحلبي، يتخذها الزائرون منطقة

> تغنى بها ألبير كامو صاحب جائزة نوبل للأدب

للتخييم وتنظيم حفلات الشواء على الهواء الطلق. تطل هذه الغابة مباشرة على جبل شنوة الذي يبدو من خلالها كأسد عملاق تداعب الشواطئ أصابع قدميه. مشهد بديع يدفعك للبحث عن أسرار هذا الجبل الذي يتحدث سكان تيبازة عنه بوقار شديد، فهو يمثل رمزا لهويتهم وشاهدا على عراقتهم. يبلغ ارتفاع جبل شنوة 905 متر، ويغطي مساحة حوالي 9000 هكتار، وهو موطن للعرقية الأمازيغية المعروفة باسم الشناوة، فسكان هذه المنطقة يتحدثون لغة مختلفة، تعد خليطا بين اللغة الأمازيغية واللاتينية تعود جذورها إلى عصر الرومان عندما كانوا يتسيدون شمال أفريقيا، لها مصطلحاتها ولكنتها الخاصة التي تجعل نطقهم للعربية مميزا أيضا.

الآثار الرومانية والشواطئ

لم يتبق على الوصول إلى مدينة تيبازة بعد زيارة الضريح الموريتاني، سوى بضعة دقائق بالسيارة، وللداخل إليها خياران إما المدخل الشرقي إذا أراد اكتشاف الميناء والمنطقة الأثرية القريبة منه أو المدخل الغربي إذا رغب في الشواطئ. ليس مفيدا كثيرا الاستعجال في الذهاب للشواطئ، فالآثار الرومانية جديرة حقا بالاستكشاف، كون مدينة تيبازة، تعد بلا شك واحدة من أفضل مواقع هذه الآثار في شمال القارة الأفريقية. يمكن رؤية المدرج الذي شهد العديد من المعارك البحرية في القرنين الرابع والخامس، كما يقول المؤرخون، وهو أحد مراكز الترفيه الرئيسية في البلدة القديمة، ولم يتبق للأسف الكثير من هياكل محيطه الخارجي. يُمكن أيضا التفرج على الجدار الروماني، الذي بناه الرومان لحماية القرية من الهجمات، ويبلغ طوله حوالي 2300 متر، وكان يقع داخل نطاقه المباني الرومانية العامة والمنازل. هناك كذلك، المنطقة المسيحية، التي تحوي على مجمع ديني ومقابر وحمامات، بنيت كلها في القرن الرابع، ويُروى أنه كان أكبر المباني المسيحية في الشمال الأفريقي.

الانتقال نحو الجهة الغربية للمدينة سهل، ويكون إما سيرا على الأقدام أو باستعمال مركبة. وقاصدو هذه المنطقة، سيكون هدفهم بالتأكيد شواطئها الجميلة، وفي مقدمتها مركب مطاريس الذي شيد في عصر الرئيس الراحل الهواري بومدين وكان وجهة سياحية دولية في البحر المتوسط. يحتفظ الجزائريون بكثير من الحنين لتلك الفترة الجميلة التي شهدت إنتاج أفلام كوميدية خالدة مثل فيلم «عطل المفتش الطاهر» الذي صورت أجزاء منه في المركبات السياحية للمدينة ومنها «مطاريس». يحتوي المركب على

أسسها الفينيقيون وأطلقوا عليها تسميتها التي تعني الممر

شاطئ رملي لا متناهي يمتد لثلاثة كيلومترات على الأقل يتقاسمها مع شاطئ شنوة العريق هو الآخر، والذي يعد أبرز وجهة لسكان وسط الجزائر في فصل الصيف.

الاستمرار في المسير غربا باتخاذ طريق شنوة، سيوصل حتما إلى شواطئ أكثر جمالا، أهمها البلج والشاطئ الأزرق، والتي هي في الأساس شواطئ صخرية لكن بها نوع من الرمل الصخري يجعلها مقصدا للعائلات. ويتخذ هواة التخييم والقادمون من المناطق البعيدة عن البحر، هذه الشواطئ في العادة مكانا لإقامتهم خلال فترة الصيف. كما يرتادها بقوة هواة المغامرة والغطس من مرتفعات شاهقة، والباحثون عن متعة التنزه في البحر عبر القوارب، وهي كلها أنشطة تحرك بقوة الاقتصاد الموسمي للمدينة، حيث يتخذ آلاف الشباب من متع البحر مصدر رزق لهم.

مركز تجاري تاريخي يستعد للعودة

قد تنزع المدن العريقة للهدوء في فترات من تاريخها، لكنها لا تموت أبدا وقد تعود لها الحياة في أي لحظة. تيبازة، واحدة من تلك المدن، وكل العمران التاريخي الذي تكتنزه كان مظهرا من مظاهر ازدهارها التجاري في عصور ما قبل التاريخ، فهي من أسسها الفينيقيون كإحدى مستعمراتهم التجارية العديدة في القرن الخامس قبل الميلاد، وأطلقوا عليها تسميتها الحالية التي تعني المر، لأنها كانت معبرا وممرا للناس بين مدينتي إيكوزيم شرقا (الجزائر) وإيول غربا (شرشال). ثم أصبحت تعرف بقرطاجية. وعندما جاء الرومان حولوها إلى مستعمرة تابعة لهم في عهد الإمبراطور كلاوديوس (41–54 ميلادي) وكانت كذلك مركزا تجاريا كبيرا في الضفة الجنوبية للمتوسط.

واليوم، يبدو أن التاريخ يحاول إعادة نفسه، فالولاية اختيرت لتكون مركز إقامة مشروع ميناء الجزائر الضخم الذي تهدف السلطات من ورائه مضاهاة كبرى الموانئ في منطقة المتوسط والاستفادة من موقع الجزائر الاستراتيجي في ربط الميناء بطريق الوحدة الأفريقية الذي يربط الجزائر بلاغوس في نيجيريا، وبذلك تكون الجزائر بالفعل بوابة حقيقية لأفريقيا، خاصة دول الساحل وجنوب الصحراء التي ليس لها منفذ على البحر، بحيث تكون التجارة في الاتجاهين من وإلى أفريقيا عبر هذا الميناء.

ويمكن لزائر منطقة الحمدانية التي تبعد نحو 20 كيلومترا غرب تيبازة، رؤية تلك اللافتات العملاقة التي تشير إلى المشروع وتلفت إلى أنه عنوان للصداقة الجزائرية الصينية، فطريق الحرير الصيني نحو أفريقيا سيمر من هذا المكان. ولم يأت اختيار هذا المكان عبثا، فهو يتوفر على مياه عميقة تسمح برسو سفن عملاقة كما هو المأمول منه وتحيط به أراض شاسعة يمكن استغلالها في إنشاء مناطق حرة للتبادل التجاري، كما يقع بجانب شبكة طرقات تضمن انسيابية كبيرة في النقل والشحن.

ورغم التأخر المسجل في إنجاز الميناء إلا أن العزم على إنشائه أكيد. وسيكون هذا الصرح بتمويل مشترك جزائري–صيني على أن تضمن استغلاله شركة صينية «موانئ شنغهاي». وسيحوي على 23 رصيفا يسمح بمعالجة 6.5 مليون حاوية و25.7 مليون طن من البضائع سنويا، ما سيجعله محورا للمبادلات على المستوى الإقليمي.

وهذا الميناء سيتوسط الطريق بين مدينتي تيبازة وشرشال التابعة هي الأخرى لمحافظة تيبازة، والتي تعد من أبرز المدن التاريخية في الجزائر، إذ تعود أصولها إلى المملكة النوميدية. وتاريخيا، أخذت هذه المدينة التي تتوفر على متحف به قطع نادرة في كل شمال أفريقيا، أهمية كبيرة في عهد الملك يوبا الثاني النوميدي الذي حولها إلى عاصمة لموريتانيا (القديمة) وغير اسمها إلى قيصرية تكريما للإمبراطور الروماني أغسطس قيصر. وأصبحت قيصرية، بفعل ذلك، على ما يذكره المؤرخون، مركزاً للثقافة اليونانية والرومانية بها عمران متطور بمقياس ذلك الزمان، ففيها المسرح والحمامات والساحة العمومية والقنوات المائية التي لا تزال بارزة للعيان إلى اليوم.

رياضة

من يقدر على إيقاف غواردیولا والإعصار السماوي؟

لندن – «القدس العربي»: عادل منصور

لا جديد يُذكر ولا قديم يُعاد، اقترب «بابا الشغلانة» أو «البعبع الأصلع» أو «فيلسوف الألفية» أو قل ما شئت من هذا القبيل عن المدرب الاسباني بيب غواردیولا، من الاحتفاظ بلقب الدوري الإنكليزي الممتاز للمرة الثالثة على التوالي والخامسة منذ وصوله إلى مانشستر سيتي وقلعة «الاتحاد» في العام 2016، بريمونتادا تقليدية في شهر ابريل / نيسان الحاسم، راح ضحيتها هذه المرة، نادي أرسنال وتلميذه النجيب ميكيل آرتيتا ومشروعه الطموح، بنفس السيناريو المؤلم الذي عجل باشتعال رأس الألماني يورغن كلوب شيبا، حزنا على ضياع البريميرليغ في الأمتار الأخيرة.

جبروت كروي

صحيح كنا جميعا نتوقع هزيمة آرسنال أمام دابته السوداء مانشستر سيتي، في ما وُصفت إعلاميا بالمباراة النهائية للدوري الإنكليزي الممتاز، لكن تماشيا مع التوقعات، فاننا شاهدنا مباراة أقل ما يُقال عنها «غير متكافئة» ومن طرف واحد على مدار الـ90 دقيقة، بفرض المعنى الحرفي لمصطلح «الهيمنة الكروية»، وفي رواية أخرى الجبروت الكروي، وكأنك عزيزي المشاهد تتابع مجموعة من المحترفين الكبار يتلاعبون بمراهقين أقل من 17 عاما، وليست المعركة الحاسمة بين المتصدر منذ بداية الموسم ومطارده الوحيد. والدليل على ذلك، أنه لولا غياب التوفيق عن كاسحة الألغام النرويجي إيرلينغ براوت هالاند والأشقر البلجيكي الخضرم كيفن دي بروين، بعد الهدف الأول، لربما انتهى الشوط الأول بنصف دستة أهداف على أقل تقدير. وبإلقاء نظرة عابرة على صاحب الفضل الكبير في هذا التفوق الكاسح، بكل تأكيد لن نختلف على بصمة المدرب غواردیولا، الذي كان سباقا في قراءة مواطنه ومساعده السابق في السيتي، بمفاجأة تكتيكية خارج التوقعات، تجلت في عودة بيب لطريقته القديمة 3–3–4، بعد فترة من الاعتماد على موضة التسعينات 2–5–3 وأحيانا 3–6–1 وأخيراً 1–4–2–3، ما ساعده على استدراج المدفعجية منذ الثانية الأولى، مستفيدا من تهور آرتيتا وتطرفه في عملية الضغط المتقدم، لاعتقاده بأن الأستاذ سيلعب بقلب دفاع وحيد وهو روبن دياز وعلى يمينه ناثان أكي وعلى اليسار مانويل أكانجي أو العكس، بيد أنه استيقظ على الكابوس، بعودة جون ستونز إلى مكانه القديم، كمحور دفاع بجانب الصخرة البرتغالية، وأكانجي في مركز الظهير الأيسر، وإعادة كايل ووكر في مركز الظهير الأيمن الكلاسيكي، وأمامهم على الدائرة الثنائي رودري وإلكاي غوندوغان، وعلى الورق دي بروين في مركز لاعب الوسط الثالث، كحلقة ربط مع هالاند ومساعديه على الأطراف برناردو سيلفا وجاك غريليش. وشاهدنا كيف تسببت هذه التعديلات التكتيكية في خلط أوراق الفريق اللندني، بتلك السهولة والأريحية التي كان يصل بها رجال غواردیولا إلى مرمى المغلوب على أمره آرون رامسديل، بامتصاص ولا أسهل لضغط غابرييل جيسوس وساكا ومارتينيلي وباقي الرفاق، ثم بإرسال تمريرة للمحطة هالاند، حيث تبدأ مشاهد الرعب الكروي لقلبي الدفاع هولدينغ وغابرييل، بتعاون يلامس الكمال في هندسة صناعة الفرص وشن الغارات، برفقة الساحر الأشقر، باستغلال يُدرس للمساحات الشاغرة التي تركها آرسنال في وسط الملعب، بسبب مقامرة الضغط العالي على أول مدافع سماوي في حوزته الكرة.

مدرب السيتي غواردیولا يسير بخطى ثابتة نحو ثلاثية فريدة

واثق الخطى

بعيدا عن التفوق الفني والبدني في نزهة الأربعاء الماضي، التي ربما لو تكررت أكثر من مرة، لانتهت بأكثر من رباعية مقابل هدف، كان واضحا وضوح الشمس من ظهيرة الصيف، أن منحنى الفريق اللندني لا يختلف كثيرا عن العملات المحلية للدول الناشئة في أسواق المال في فترة ما بعد كورونا وحرب روسيا على أوكرانيا، بمؤشرات وتوقعات تفوح منها السلبية، والحديث عن سلسلة النتائج التعيسة، والتي بدأت باللحظة الفارقة، أو ما عُرفت في ما بعد، بمباراة التفريط في أول لقب منذ عقدين من الزمان، حين تنازل الفريق عن تقدمه بهدفين نظيفين إلى تعادل إيجابي بهدفين للكل أمام ليفربول، بل لولا كرم محمد صلاح، بإهداره ركلة الجزاء التي كانت كفيلة بعودة آرتيتا ورجاله إلى شمال العاصمة من دون نقاط، واكتملت المأساة بتكرار نفس السيناريو أمام الجار العاصمي وست هام، قبل أن يقرر الغانرز مضاعفة جرعة الضحك الزائد، بتعادل آخر بطعم العلقم أمام قديسي ساوثهامبتون في عطلة نهاية الأسبوع الماضي، وهذا في حد ذاته، جعل آرسنال يطير إلى عاصمة الشمال، وهو أشبه بالجثة الهامدة، بل أكاد أجزم أن آرتيتا نفسه، ذهب إلى الفراش في ليلة ما تُسمى مجازا بالقمة الإنكليزية، وهو على قناعة تلامس اليقين، بأنه يحتاج الى معجزة من السماء من أجل العودة إلى الديار بنتيجة إيجابية، مع تبدل تغير وجه المنافس، أو بالأحرى بعد ظهور الوجه الحقيقي لمانشستر سيتي بيب غواردیولا، كفريق متوحش كرويا، ولا أحد يتمنى الاصطدام به في أي مكان، وذلك بعد فترة من عدم اليقين، بسبب تذبذب النتائج والأداء في فترة ما قبل كاس العالم، بجانب الترنح والتأثر بغياب بعض الأساسيين ومشاكل تعويض بعض الأساسيين في خضم معاناة العائدين من المونديال من التعب والإجهاد البدني حتى أواخر شهر عيد الحب الأخير، وتحديدا حتى آخر تعادل محلي أمام نوتنغهام فورست بهدف للمثل، والذي جاء بعد أيام من قهر آرسنال بالثلاثة في عقر داره. ومنذ ذاك الحين، ولا يعرف الإعصار السماوي سوى نتيجة الفوز في حملة البحث عن لقب البريميرليغ للموسم الثالث تواليا، بجمع العلامة الكاملة في آخر 9 مباريات، في الوقت الذي كان يتفنن فيه آرسنال في تحطيم رقمه السلبي السابق، كأول وآخر فريق يفشل في تحقيق ولو انتصار يتيم في 4 مباريات على التوالي وهو في صدارة البريميرليغ، منذ أن فعلها للمرة الأخيرة في مارس / آذار 2008، وآنذاك ظل محتفظا بالصدارة، إلى أن فقدها لمصلحة الشياطين الحمر مانشستر يونايتد، تماما كما حدث في آخر 4 مباريات تحت قيادة آرتيتا.

دروس مستفادة

يبقى العنوان العريض لمغامرة آرسنال شبه الجريئة هذا الموسم، هو نجاح المدرب في وضع حجر الأساس الصحيح لمشروعه الطويل، بالعثور على الجزء الأكبر من حجر الأساس، الذي يستطيع البناء عليه، بالطريقة التي خطط لها مُعلمه بيب غواردیولا، لاحتلال إنكلترا في بداية عهده مع المان سيتي، والأمر لا يتعلق بالنتائج التي فاقت توقعات أكثر المتفائلين في أول 30 جولة في البريميرليغ، بل لجوهر المشروع، باعتماده على فريق أساسي أكثر من 50% منه تحت سن 24 عاما، و25% منهم أقل من 22 عاما، والمخضرم منهم شاب مثل غابرييل جيسوس لم يحتقل بعد بربيعه الـ27. وهذا يعني، أنه مع حفاظه على نفس الزخم والروح القتالية التي كان عليها قبل مهرجان

العملاق النرويجي هالاند سجل هدفاً وصنع اثنين

نزيف النقاط الأخيرة، سيكون أكثر شراسة وحدة في قادم المواعيد، فقط يؤخذ على المدرب واللاعبين، عدم الاستفادة من درس ليفربول القديم، بالتعامل مع مباريات أبريل / نيسان على أنها نهائيات كؤوس، رغم أنه من المفترض أن آرتيتا، هو أكثر من يعرف أن أستاذه لا يتردد أبدا في قبول هكذا هدايا، باعتباره ملك لعبة جمع النقاط الثلاث في عطلة نهاية الأسبوع، والمدرب الذي لم يخسر الصراع على لقب الدوري سوى 3 مرات في رحلته التدريبية، الأولى مع نسخة ريال مدريد ومدربه البرتغالي جوزيه مورينيو شبه المثالية عام 2011، والثانية في موسمه الأول مع مانشستر سيتي في 2017 لصالح تشلسي، والثالثة أمام أعظم وأقوى نسخة لليفربول يورغن كلوب في عام 2020. ولنكن منصفين، دعونا نتفق على أن المدرب الإسباني أرتيتا، لا يتحمل المسؤولية بمفرده، بعد تخلي أكثر من لاعب أساسي عنه في اللحظات المفصلية، والإشارة إلى عدوى الهبوط الجماعي في مستوى رجاله المخلصين، الذين كانوا يتسابقون في صناعة الفارق في النصف الأول، والحديث عن لاعبين بحجم حامي العرين رامسديل، الذي فقد جزءا كبيرا من الطاقة الإيجابية التي كان عليها في بداية الموسم. ولعلنا لاحظنا رد فعله البطيئة على تسديدة دي بروين، التي فتحت الباب أمام رباعية السكاي بلوز، وقبلها استقبل ما مجموعه 7 أهداف في 3 مباريات فقط، وهذه إحصائية لا تعبر عن فريق يطمح في الفوز بلقب الدوري، ونفس الأمر ينطبق على الجناحين بوكايو ساكا وغابرييل مارتينيلي، ولكن الصدمة في لاعب الوسط توماس بارتي، الذي خيب آمال الجميع في الجزء الأحمر لشمال لندن، بمستواه الباهت وهفواته الساذجة أمام السيتي. ولأن المصائب لا تأتي فرادى، لم تأت عودة غابرييل جيسوس بنتائج إيجابية، بل جعلت المشجعين يتحسرون على فترة غيابه، التي تزامنت مع توهج إدوارد نيكيتيا، بينما في المقابل، يتقدم المنافس السماوي خطوات عملاقة نحو تحقيق هدفه المنشود، لمحاكاة إنجاز السير أليكس فيرغسون مع غريم المدينة مانشستر يونايتد في حملة 1998–1999، عندما أحكم قبضته على أول وآخر ثلاثية في تاريخ أندية الدوري الإنكليزي الممتاز باحراز ألقب الدوري المحلي وكأس انكلترا ودوري أبطال أوروبا.

الطريق نحو الثلاثية

بالورقة والقلم وبلغة العقل والمنطق، بات تتويج السيتي بالبريميرليغ والاحتفاظ باللقب للمرة الثالثة على التوالي، مجرد مسالة وقت لا أكثر، إلا إذا نزلت صاعقة من السماء، فقط يتبقى له ثلاثية مقابل هدف، وذلك بعد التقدم بهدف رياض محرز في آخر ربع ساعة من زمن الشوط الأصلي للمباراة، وهذا في حد ذاته، يعطي هالاند وكيفن دي بروين وباقي أفراد عصابة الإعصار السماوي، حافزا إضافيا لرد الصاع صاعين لكارلو أنشيلوتي وفريقه، بجانب ما يحدث مع الريال على المستوى المحلي في الآونة الأخيرة، بعروض ونتائج أقل ما يُقال عنها مخيبة لآمال المشجعين، وصلت لحد الانحناء أمام جيرونا برباعية مقابل اثنين في الأسبوع الماضي، ولنا أن نتخيل لو تكرر نفس السيناريو في ذات الأذنين، إثر الهزيمة في إياب نصف نهائي «سانتياغو بيرنابيو» بثلاثية مقابل هدف، وذلك بعد ربع ساعة من زمن الشوط الأصلي وخيمة، أمام فريق يعيش أعظم لحظاته، بتوجيه وإدارة حكيمة من قبل هذا البيب، الذي يعطي دروسا مجانية في التحضير لمثل هذه الفترات المضغوطة بالمباريات الفارقة، والحديث عن براعته في تطبيق مبدأ المداورة في كل المراكز بدون استثناء، بما في ذلك، ثاني أعلى مساهمة في تسجيل وصناعة الأهداف، والإشارة إلى رياض محرز، الذي يتناوب ذهاب نصف نهائي دوري أبطال أوروبا في «سانتياغو بيرنابيو» المقرر في التاسع من مايو / آيار، أو موقعة الإياب التي سيستضيفها ملعب «الاتحاد» يوم 17 من نفس الشهر، حتما ستكون العواقب وخيمة، أمام فريق يعيش أعظم لحظاته، بتوجيه وإدارة حكيمة من قبل هذا البيب، الذي يعطي دروسا مجانية في التحضير لمثل هذه الفترات المضغوطة بالمباريات الفارقة، والحديث عن براعته في تطبيق مبدأ المداورة في كل المراكز بدون استثناء، بما في ذلك، ثاني أعلى مساهمة في تسجيل وصناعة الأهداف، والإشارة إلى رياض محرز، الذي يتناوب دقائق اللعب مع بيرناردو سيلفا في مركز الجناح الأيمن المهاجم. حتى كبير الجلادين هالاند، نادرا ما يشارك لمدة 90 دقيقة كاملة، وذلك بهدف الحفاظ على لياقة الجميع حتى الأمتار الأخيرة من الموسم، ليبقى قادرا على القتال في الجبهات الثلاث بنفس القوة والحدة، إلا إذا صدقت الأسطورة مرة أخرى، وحضرت شخصية ريال مدريد، التي اعتدنا عليها أمام العظماء والجبابرة في إقصائيات ذات الأذنين في السنوات الماضية، بمشاهدة الفريق الذي تنطبق عليه مقولة «كبير القوم»، بنسخة مغايرة تماما عن وضعه المحلي، حتى لو كان في أسوأ حالاته على المستوى المحلي، كما كان الوضع في العام 2000 و2018، وهذا بالكاد أكثر ما يخشاه الفيلسوف الكتالوني، وهو أن تتبخر أحلامه في فك عقدة المان سيتي مع كأس دوري أبطال أوروبا على يد شخصية الريال مرة أخرى، على أن يتبقى النصف الثاني الأقل صعوبة، بتجاوز الفائز من ميلان وجاره الإنتر في نهائي اسطنبول. بينما العقبة الثانية، فتكمن في تجاوز غريم المدينة مانشستر يونايتد في المباراة النهائية لأعرق كؤوس الأرض كأس الاتحاد الإنكليزي المقررة في السادس من يونيو / حزيران المقبل، والسؤال الذي يفرض نفسه: هل سيمضي بيب غواردیولا وفريقه قدما نحو معانقة الثلاثية؟ أم أن واحداً من الثنائي ريال مدريد أو مانشستر يونايتد سيكون له رأي آخر؟ هذا ما سنعرفه في غضون أسابيع قليلة.

القائد دي بروين يسجل أحد هدفيه في مرمى أرسنال

لماذا بوتشيتينو هو الخيار المثالي لتدريب تشلسي؟

لندن ـ «القدس العربي»:

اتفقت العديد من المصادر الصحافية البريطانية التي تحظى بمصداقية لا بأس بها، أن مديري تشلسي الكروبين بول وينستانلي ولورنس ستيوارت، عثرا على الرجل المُخلّص، وفي رواية أخرى «العرّاب»، الذي يبحث عنه ملاك النادي تود بويلي وبهداد إقبالي، لإنقاذ المشروع الضخم وانتشاله من براثن الضياع بداية من الموسم المقبل، والحديث عن حاكم عدو شمال العاصمة السابق ماوريسيو بوتشيتينو، بعد توقفه عن العمل لمدة عام، تحديدا منذ إقالته من تدريب باريس سان جيرمان عقب نهاية الموسم الماضي، وفي تقريرنا هذا سنستعرض معا الأسباب الجوهرية التي جعلت أصحاب القرار في «ستامفورد بريدج»، يفضلون البوش على باقي المرشحين لخلافة المدرب المؤقت الحالي فرانك لامبارد.

مشروع مفكك

لا يُخفى على أحد، أن الملاك الجدد، جاؤوا إلى معقل الأسود اللندنية، بطموحات وتوقعات تلامس عنان السماء، بإحداث صدمة في عالم كرة القدم، تجلت في الإنفاق الفلكي على الصفقات الجديدة هذا الموسم، لكن بدلا من تحقيق ولو ربع توقعات الإدارة والمشجعين، بتأمين بطولة محلية والقتال على كل الجبهات حتى اللحظات الأخيرة، تفنن الفريق في تحطيم معنويات الجماهير في الحي الغربي، بخروجه المبكر من كل البطولات، والأسوأ من هذا وذاك، التقهقر في جدول ترتيب أندية البريميرليغ، بالتواجد في المرتبة الحادية عشرة، بفارق 20 نقطة عن دائرة المنافسة على المراكز المؤهلة لدوري أبطال أوروبا الموسم المقبل الى ما قبل النهاية بخمس جولات، في ما يعتبره الكثير من النقاد والمتابعين، بمثابة الضربية المؤلمة، للقرارات المتخبطة التي اتخذت على مدار الموسم، والتي وصلت لحد استبدال منصب المدرب في مناسبتين، بدأت بالإطاحة بعرّاب كأس دوري أبطال أوروبا الثانية توماس توخيل بعد شهر من ضربة بداية حملة الموسم الجديد، ثم بديله غير الموفق غراهام بوتر وتعيين سوبر فرانك، أملا في إنقاذ ما يُمكن إنقاذه في الربع الأخير للموسم، ومع ذلك لم تتحسن الأوضاع، بل بدون مبالغة، لم يتقدم البلوز قيد أنملة إلى الأمام، آخرها السقوط أمام برينتفورد بثنائية نظيفة في قلب «ستامفورد بريدج» منتصف الأسبوع الماضي، في ما كانت الهزيمة الخامسة على التوالي تحت قيادة المدرب المؤقت والاسطورة لامبارد، أو المدرب الثالث هذا الموسم.

خبرة وتوافق رؤى

نتيجة كل ما سبق، يُقال إن أعين النادي اللندني توجهت نحو البوش، باعتباره الشخص المناسب القادر على إعادة ترميم المشروع، بناء على السمعة أو الصورة التي رسمها لنفسه المدرب الارجنتيني في وطن كرة القدم، كمدرب معروف عنه قدرته على تحسين الفرق المتعثرة ومساعدتها على النهوض والعودة أقوى من أي وقت مضى، على غرار ما فعله مع ساوثهامبتون، الذي أخذه إلى آفاق جديدة في حملة 2013–2014، وتبعه باعادة توتنهام إلى الواجهة، بضمان مقعد شبه دائم في دوري أبطال أوروبا، وبشكل تدريجي إلى أن وصل إلى القمة حين قاد الفريق للترشح الى المباراة النهائية للكأس ذات الأذنين في تاريخه عام 2019.

وقبل هذا وذاك، نقل فريقه الأسبق إسبانيول من منطقة الهبوط إلى المناطق الدافئة في جدول ترتيب أندية الليغا، غير أنه يتمتع بالشروط أو المعايير التي يبحث عنها بويلي، كمدرب يمكن الاعتماد عليه لسنوات قادمة، تلك الرؤية التي كان يراها في غراهام بوتر، قبل أن يستيقظ على كابوس فشله في تحمل ضغط العمل لناد بحجم تشلسي، وذلك بطبيعة الحال، بحكم تجربة المدرب الأرجنتيني السابقة مع توتنهام، التي أثبت خلالها قدرته على بناء شيء مميز وبطريقة لا تصدق، شريطة الصبر عليه ومنحه الوقت الكافي، لوضع حجر أساس المشروع بالطريقة التي يريدها، ناهيك عن ارتياح صاحب الشأن ورغبته الصادقة في العيش في عاصمة الضباب، بأكثر من اعتراف سابق، بسعادته هو والعائلة بالحياة في لندن، وتطلعه للعمل مرة أخرى هناك.

مهضوم وأرشيفه مضيء

يقول موقع «Goal» في تحقيق خاص عن مزايا البوش ومدى توافقه مع طموحات إدارة البلوز الجديدة، أن أفكاره الحديثة وإستراتيجيته التي ترتكز على كرة القدم الهجومية، تتوافق إلى حد كبير مع أحلام وخطط ملاك النادي، مع وجود نية مسبقة للصبر عليه لمدة موسم أو اثنين، شريطة ظهور بصمته، من خلال اللاعبين في غرفة خلع الملابس، لسمعته الطيبة في تحفيز اللاعبين وتطوير مهاراتهم، كمدرب ذاع صيته عن شخصيته التي تجمع بين الحزم والاحترام المتبادل بينه وبين لاعبيه، أو بالأحرى يعرف متى يكون رجلا لطيفا في غرفة خلع الملابس، ومتى يفرض احترامه على الكبير قبل الصغير خارج الخطوط، وهذه جزئية كانت يفتقدها بوتر، الذي كان واضحا، أنه من النوع اللطيف الذي لا يتماشى مع عقلية جيل الآيفون والألفية الجديدة.

كشاف ومضمون

واحدة من أكثر السمات المميزة لنجاح المدرب الخمسيني مع السبيرز، كانت تكمن في تطوير المواهب الشابة والجواهر الخام، حتى عشاق توتنهام يتذكرون ما فعله مع القائد الهداف هاري كاين، بتحويله من لاعب متمرس على الإعارة، إلى ذاك السفاح الذي تحول إلى الأسطورة في العقد المنقضي، حتى شريكه الكوري الجنوبي هيونغ مين سون، أتى به، كلاعب شاب قابل للانفجار بعمر 23 عاما، قبل أن يشق طريقه ويحقق ما فاق توقعات وأحلام الرئيس دانيال ليفي، بخلاف استفادته من ديلي آلي في بدايته الواعدة، وآخرين من الشباب تحولوا إلى عناصر أساسية مع الوقت أمثال داني روز وهاري وينكس ورايان مايسون، وهذا ما يتمناه البلوز ويريده من البوش في تجربته مع الفريق، بإعادة اكتشاف أو إحياء نجوم المستقبل أمثال مايسون ماونت وكونور غالاغر والبقية، ولو أن هذا الأمر سيتطلب تضحيات كبيرة، بالتخلي عن عدد لا بأس به من الصفقات الجديدة، لتجنب ما حدث مع بوتشيتينو في تجربته الأخيرة مع باريس سان جيرمان، حيث واجه صعوبات بالغة في التعامل مع هذا الكم الهائل من النجوم واللاعبين المدللين، وقبل أي شيء، يظل الاختيار الأنسب في قائمة المدربين المتاحين في الوقت الراهن، بعد تردد أنباء انهيار المفاوضات مع الخبير الإسباني لويس إنريكي، بجانب علامات الاستفهام التي وضعها أصحاب القرار على المدرب الألماني يوليان ناغلسمان، بسبب إقالته المفاجئة من تدريب بايرن ميونيخ، وما تبعها من أنباء عن توتر علاقته باللاعبين، الأمر الذي تعاملت معه إدارة النادي على أنه علامة تحذير لاحتمال أن يكون المدرب الثلاثيني أكثر تقليا في «ستامفورد بريدج»، في الوقت الذي يبحث فيه النادي عن الاستقرار الفني لسنوات قادمة، فهل تصدق التوقعات ونشاهد البوش مدربا لأسود غرب لندن في الموسم الجديد؟ وهل باعتقادك عزيزي القارئ أنه الخيار المثالي لفخر لندن؟

خلدون الشيخ

رغم الخيبة... موسم أرسنال فاق التوقعات!

قد يكون من الصعب اعتبار موسم فريق على وشك خسارة لقب ظل في قبضته شهوراً طويلة، بانه ناجح أو حقق أهدافه، لكن في الواقع كان موسم أرسنال رائعاً الى درجة فاقت التوقعات.

بالنسبة لي هناك ثلاثة فرق في الدوري الإنكليزي الممتاز تستحق أن نطلق على موسمها انه «فاق التوقعات»، أي أنها حققت أفضل مما كنا ننتظر منها، وهي أرسنال ونيوكاسل وبورنموث. فالأول فاجأ الكثيرين ببداية نارية جعلته يتصدر الدوري منذ مطلع شهر سبتمبر/أيلول وحتى هذه اللحظة، رغم انه لم يعد يجلس في كرسي القيادة، أي ان مصيره في احراز اللقب ليس في يديه، رغم تقدمه حالياً بفارق نقطتين عن مانشستر سيتي الذي هزمه ثلاث مرات هذا الموسم، بينها مرتان في الدوري، وآخرها ليلة الأربعاء الماضي برباعية مقابل هدف، خصوصا ان السيتي لديه مباراتان مؤجلتان، يكفيه الفوز بواحدة كي يتخطى نادي شمال لندن، ليحقق اللقب الخامس في آخر ست سنوات تحت قيادة مدربه الفذ بيب غواردیولا.

لكن لماذا موسم أرسنال يعد ناجحاً؟ هو لسبب بسيط، ان الفريق تحت إدارة ميكيل أرتيتا يسير بتدرج نحو القمة، وتطوره يتطلب وقتاً قبل الوصول الى الذروة على غرار ما حصل من السيتي وليفربول. فأرتيتا نجح في تنظيف النادي من النجوم واللاعبين الذي شكلوا عبئاً على الفريق، بل لم تتماشى عقليتهم مع ما يريد المدرب الاسباني زرعه في نفوس لاعبيه الشبان، فارغم كثيرين على الرحيل المجاني بدون ان يحصل النادي على مقابل لهم، أمثال مسعود أوزيل وأوباميانغ وسقراطس وكوليسناتش ولاكازيت وتشامبرز وبيلبرين وديفيد لويز ووبليان وميختيريان ومصطفي، كما تخلص من غندوزي وتوريرا، فقط لأن عقليتهما وسلوكهما لم تتماشيا مع ما يريده أرتيتا، فكانت النتيجة انه أنتج الطبقة الأولى المتألقة، القادرة على المنافسة وتقديم عروض جيدة، فبات لديه نحو 15 لاعباً متقاربين في القدرات والعطاء، أبرزهم شبان دون 22 عاما كساكا وماريتنيلي وأوديغارد وساليبا. وكان الهدف هذا الموسم ان تنجح هذه المجموعة بإعادة أرسنال الى التأهل الى مسابقة دوري أبطال أوروبا، أي الحلول في المراكز الأربعة الأولى، أي انها خطوة أفضل من الموسم الماضي، عندما انهار في الجولات الأخيرة، وفقد مركزه الرابع لصالح جاره وعدوه اللدود توتنهام، لكن رغم اعتبار ان التجربة المريرة تتكرر اليوم باخفاقه في الفوز في آخر 4 مباريات، الا انه تبقى هناك الكثير من الإيجابيات، فحتى هذه الفترة السلبية الحالية، ممكن رؤيتها بإيجابية، حيث انه لم يخسر سوى مرة واحدة (أمام السيتي) في آخر 11 مباراة، وبات شبه مؤكد أن يضمن تأهله الى دوري الأبطال في ظل الفارق الشاسع بينه وبين صاحب المركز الخامس (توتنهام حالياً) وما دونه من الفرق التي تملك مباريات مؤجلة كليفربول و برايتون، وهذا بحد ذاته الإنجاز. وأنا متأكد ان الموسم المقبل سيدعم أرتيتا الفريق باربعة أو خمسة لاعبين من العيار الثقيل، على الأقل اثنان منهم من النجوم الكبار، على غرار لاعبي الوسط ديكلان رايس ويوري تيليمان، وهكذا سيضيف أرتيتا طبقة ثانية الى التشكيلة تمثل الاحتياط لتشكيلته الأساسية، ليزيد العمق تدريجياً وصولاً الى القدرة على مجارة السيتي وليفربول بشكل دائم على القمة، وهو التسلسل الطبيعي في مشروع بناء أي فريق.

لكن لماذا لم نعتبر موسم السيتي رائعا؟ في الواقع هو موسم رائع لكن ضمن حدود التوقعات، رغم بعض الخيبات بالخسارة على أرضه امام المكافح برينتفورد، والتعادل أمام المهددين بالهبوط ايفرتون ونوتنغهام فوريست، عدا عن السقوط أمام صاحب القاع ساوثهامبتون في ربع نهائي كأس المحترفين. ولهذا لم أر أن موسمه فاق التوقعات سوى اذا نجح في احراز اللقب الذي يلهث خلفه منذ الأزل، دوري أبطال أوروبا، واذا أنهى الموسم باحراز ثلاثية رائعة، كرر بها انجاز جاره مانشستر يونايتد في سنة 1999.

أما نيوكاسل، فان أشد المتفائلين توقعوا حلوله بين المراكز العشرة الأولى في أول موسم كامل تحت قيادة المدرب الانكليزي ايدي هاو، من دون تأهل الى أي مسابقة اوروبية، لكنه فعل أفضل من ذلك في ظل انفاق منطقي مقبول في سوق الانتقالات بعد انتقال ملكيته الى صندوق الاستثمار السعودي، باقترابه بشدة من التأهل الى مسابقة دوري أبطال أوروبا بعد غياب 20 عاماً عن اللعب في هذه المسابقة، رغم ان البعض توقع أن يفعل ما فعله تشلسي في سوق الانتقالات، والذي بدوره يعتبر أكثر الخائبين. وأخيراً بورنموث الذي أجمع جل النقاد على اعتباره أبرز المرشحين للعودة سريعاً الى الدرجة الاولى عقب اقالة مدربه سكوت باركر مبكراً في الموسم، وتواضع سوق انتقاله، لكنه نجح مع مدرب مغمور، هو غاري أونيل، الذي يخوض التجربة التدريبية الأولى في مسيرته، في ابعاده عن معمعة الهبوط، وبات مرشحاً بقوة حالياً لضمان البقاء لموسم جديد في الدرجة الممتازة.

@khaldounElcheik

التاريخ يفتح أبوابه أمام المغمور كاستيانوس

مدريد ـ «القدس العربي»:

كل لاعب كرة قدم يبدأ حياته الرياضية بالحلم في فترة الطفولة بتحقيق إنجازات وتسجيل أهداف والفوز بالكؤوس، لكنها في بعض الأحيان تكون الحقيقة أفضل من تلك الاحلام، وهكذا دخل مهاجم جيرونا الأرجنتيني فالنتين «تاتي» كاستيانوس التاريخ من أوسع أبوابه بعدما بات أول لاعب يسجّل رباعية «سوبر هاتريك» في مرمى ريال مدريد في الدوري الإسباني لكرة القدم منذ عام 1947، خلال فوز فريقه على ضيفه النادي الملكي 4–2 في المرحلة الـ31 ليلة يوم الثلاثاء الماضي.

وقدم المهاجم ابن الـ 24 عاماً عرضاً قاتلاً ليصعق حامل اللقب ويقضي فعلياً على أي آمال متبقية لرجال المدرب الإيطالي كارلو أنشيلوتي في الدفاع عن لقبهم ضد الغريم التقليدي برشلونة المتصدر، وسجل كاستيانوس الذي يلعب مع جيرونا بالاعارة قادماً من نيويورك سيتي أف سي الامريكي هدفين في شوطي المباراة، وقاد فريقه إلى فوز تاريخي. وكان آخر من سجل «سوبر هاتريك» في مرمى نادي العاصمة مدريد في «لا ليغا» هو لاعب ريال أوفييدو إستيبان إشتافاريا عام 1947 (فاز أوفييدو 7–1)، علماً أن مهاجم برشلونة الحالي البولندي روبرت ليفاندوسكي نجح في تحقيق هذا الانجاز أمام ريال مدريد في دوري أبطال أوروبا عام 2013 عندما كان يدافع عن ألوان فريق بوروسيا دورتموند الألماني، كما بات كاستيانوس سادس لاعب يسجل رباعية في مرمى ريال مدريد في تاريخ الدوري الاسباني.

واستهل كاستيانوس مهرجانه التهديفي برأسية (12)، وأضاف الثاني من تسديدة مرت بين قدمي حارس ريال مدريد الاوكراني أندري لونين (24)، وشكّل المهاجم الارجنتيني كابوساً حقيقياً للبرازيلي إيدر ميليتاو بفضل تحركاته، ليرفع رصيده إلى 3 أهداف بعد 36 ثانية فقط من صافرة بداية الشوط الثاني (46)، واختتم استعراضه برابع الأهداف من مسافة قريبة بعدما تخلص بسهولة من المدافع البرازيلي (62).

حيّت جماهير ملعب «مونتيليفي» كاستيانوس أثناء خروجه بعدما قرر المدرب ميتشل استبداله في الدقيقة 72. وقال الأرجنتيني المنتشي بانجازه: «كانت أمسية حلم، خضنا مباراة رائعة ضد أحد أفضل الأندية في العالم، لقد كانت ليلة حلم». وتابع يقول: «لم أتخيل هذا أبداً، أنا أستمتع به مع جماهيرنا، مع الأشخاص الذين أرسلوا لي الدعم، عائلتي والناس في الأرجنتين، يدعمونني دائماً وهذا أمر أساسي».

الولد الذهبي

ورغم فوز كاستيانوس بجائزة الحذاء الذهبي لأفضل هداف في الدوري الاميركي بتسجيله 19 هدفاً في 32 مباراة عام 2021، إلا أن ذلك لم يكن كافياً للمدرب ليونيل سكالوني لاستدعائه إلى صفوف المنتخب الأرجنتيني. وقبل عام، سجل كاستيانوس رباعية لصالح نيويورك سيتي بمواجهة ريال سولت ليك سيتي، إلا أنه أكد أن الانجاز الذي حققه أمام ريال مدريد هو على مستوى آخر. وأضاف يقول: «هي أيام مختلفة، لقد كان حلماً أن أسجل أمام ريال مدريد وأن أسجل أربعة أهداف! لا يمكنك حتى تخيل ذلك». وأردف: «أنا سعيد جداً لكل شيء، للجماهير ومن أجل زملائي».

وبرباعية أمسية الثلاثاء، رفع كاستيانوس رصيده إلى 11 هدفاً في 29 مباراة خاضها في الدوري الإسباني هذا الموسم. وتصدر المهاجم الأرجنتيني عناوين الصحف الإسبانية عندما أهدر فرصة محققة أمام مرمى برشلونة على ملعب «كامب نو» في تعادل سلبي لفريقه في نيسان/أبريل، حيث شاهده رفاقه وهو يبكي في غرفة تبديل الملابس مع نهاية اللقاء، ونتيجة لما حصل، أغلق المهاجم حساباته على مواقع التواصل الاجتماعي بسبب انتقادات لاذعة طالته من بعض الجماهير عبر الإنترنت.

وعبّر المدرب ميشيل عن سعادته لانجاز كاستيانوس بعد الأداء الرائع الذي قدمه ضد الميرينغي. وقال لاعب خط الوسط السابق والمدرب الحالي: «كان تاتي جيداً للغاية بصرف النظر عن الأهداف، عندما يتعلق الأمر بعمله»، وتابع يقول: «أنا سعيد من أجله لأنه بعد مباراته ضد برشلونة، واهداره فرصة محققة، قام بإغلاق وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة به. أخبرته أن يتحلى بالهدوء، فهذا أول موسم له في أوروبا». واحتفل لاعبو جيرونا على أرض الملعب بعد الفوز على ريال مدريد، حيث كان كاستيانوس الذي قدّم خدمة كبيرة الى برشلونة الساعي للفوز بلقب الدوري، حديث الساعة وبطل هذه الأمسية ليتناسى الجميع الفرصة التي أهدرها أمام النادي الكتالوني، في لحظة أصبحت من الماضي البعيد.

في ليلة واحدة لا تنسى!

مجتمع

تصاعد حالات العنف ضد النساء يثير صدمة لدى التونسيين

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

شهدت تونس في الآونة الأخيرة عددا من جرائم القتل التي استهدفت النساء سواء في العاصمة أو في المدن والأرياف الداخلية، وهو ما جعل المجتمع سواء من خلال وسائل الإعلام أو مواقع التواصل يطلق صيحة فزع. فتعددت المناشدات بضرورة تدخل الدولة لوضع حد لهذه الظاهرة باعتبارها المسؤولة بالدرجة الأولى عن السلم الاجتماعي وتحقيق الاطمئنان والسكينة في صفوف المجتمع.

وتظهر البيانات الرسمية وعديد التقارير في تونس ازدياد حالات العنف المسلط على النساء وذلك بشكل ملحوظ ولافت خاصة في الأوساط الأسرية. وتؤكد الأرقام في هذا الإطار بأن ما يقرب من 75 في المئة من حالات العنف المبلغ عنها على خلال الأعوام الماضية تستهدف النساء، أو تتعلق بحالات تكون النساء ضحايا لها.

توفير الحماية للنساء

وتكشف هذه الأرقام عن مدى استفحال هذه الظاهرة المسكوت عنها في المجتمع التونسي – الذي كان في طليعة الدول في المحيط العربي والإسلامي والمتوسطي التي طورت المنظومة القانونية لحماية النساء وإقرار المساواة. فيلد راضية حداد وبشيرة بن مراد ومجيدة بوليلة وغيرهن من المناضلات والرائدات التونسيات، يسجّل مؤخرا معدلات مرتفعة في حالات العنف الأسري والمجتمعي والتي تستهدف النساء، ما يتطلب وضع رؤية واستراتيجية متكاملة لتغيير العقلية وتوفير الحماية للنساء.

وقد دفع هذا الواقع المرير مجموعة من الجمعيات المدافعة عن حقوق المرأة لإطلاق حملة تحت شعار «أوقفوا قتل النساء» حذرت خلالها من تصاعد ظاهرة العنف المسلط على المرأة داخل المجتمع التونسي وخصوصا وسط الفضاء العائلي، والذي وصل إلى حدّ تهديد حقّها في الحياة.

أسباب مترابطة

رئيسة الاتحاد الوطني للمرأة التونسية راضية الجربي أكدت لـ«القدس العربي» أن أسباب العنف الأسري في تونس عديدة ومتعددة ومترابطة، موضحة بالقول إن: «العمل داخل الأسرة والمجتمع التونسي منذ نشأة الجمهورية التونسية سنة 1957 عوضا عن النظام الملكي، كان يقوم بالأساس على حماية المرأة كزوجة وكأم ومن وجهة نظر تخص علاقة المرأة بزوجها فيما يتعلق بكل المسائل التي تهمّ الزواج والطلاق. ولكن العلاقات ما بين النساء والرجال بشكل عام بمعنى المواطنة والمواطن لم نشتغل عليها كثيرا وهي مرتبطة بالأساس بمسألة المساواة والحقوق التامة لكل طرف داخل الأسرة وخارجها أو في المجتمع بشكل عام».

وتتابع محدثتنا: «العلاقات المجتمعية والإنسانية للنساء لم نشتغل عليها كثيرا، لذلك فإن العلاقات داخل الأسرة وخارجها يطغى عليها شيء من التسلط والنزعة الأبوية والذكورية ونحن لم نعمل على الحد منها والقطع معها. وعليه فإن العلاقة الثنائية بين المواطن والمواطنة وليس بين الزوج والزوجة تسقط داخل الأسرة والبيت وتنقلب عادة إلى صراعات مردّها العلاقة بينهما على مستوى تصريف المال وإدارة شؤون البيت أو أخذ القرار داخله أو مساعدة الزوج لزوجته أو نيل فسحة من الحرية في أخذ بعض القرارات التي تهم علاقتها بأبنائها وأسرتها ووالديها.

فهنا تقع إشكالات من هذا القبيل، ولذلك تدخل المشرّع للحد من قضايا الطلاق والعنف المبنية على المسائل المادية وذلك بالقانون المتعلق بتصريف الأموال أو الاشتراك في الملكية. ولكن حتى مع هذا القانون لم يقع حد للمشاكل المالية بشكل نهائي ولكن بقيت مشاكل أخرى منها العنف الجسدي وأحيانا تسلط بعض أفراد الأسرة على الزوجة بسبب عقلية (سي سيد) والتي ما تزال موجودة داخل الأسرة التونسية».

هذه المظاهر – حسب الجربي – تساهم جميعها في تفشي العنف ضد النساء، إلى جانب الوضعية المالية الهشّة للنساء في تونس. إذ تشهد كل المنظمات الرسمية أن نسبة البطالة مرتفعة جدا في صفوف النساء، وحتى الحاصلات منهن على شهادات عليا هن في وضع بطالة، وهذا يجعل العلاقات داخل البيت فيها رئس ومرؤوس باعتبار التبعية المالية. وتضيف محدثتنا: «وانتشار العمل الهشّ في صفوف النساء يجعل منهن منهكات خارج البيت ومستغلات داخل البيت. وهذا الانهاك الصحي والارهاق باتت له تداعيات فيما بعد على العلاقة داخل الأسرة. ولا يمكن ان ننسى بأن نسبة الأمية مرتفعة في صفوف النساء رغم أننا اشتغلنا على محو الأمية وتعليم الفتيات لكن الأرقام مخيفة ومؤلمة، فنسبة تفشي الأمية خاصة في المناطق الريفية أكثر من 50 في المئة، وتنتشر الأمية بالخصوص لدى النساء وهذه الأرقام تعكس سبب تفشي العنف داخل الأسرة». وتتابع: «لانه عندما نتحدث عن عنف أسري، فإن ذلك لا يتعلق فقط بالعنف بين الزوج والزوجة بل بالعلاقة أيضا بين أخ وأخته وأب وأبنته إلى غير ذلك. وهذه العلاقات الأسرية مهما كانت طبيعتها ونوعها، فإنها تخضع لتأثير الأوضاع الاقتصادية والثقافية. وفي أول خلاف أو إشكال تترجم غالبا إلى عنف مادي وفي غالب الأحيان إلى عنف معنوي يكون أشد وطأة على النساء ويتمثل في تقزيم شخصية المرأة وهدمها ونلاحظ ذلك من خلال التشكيات التي تأتي للاتحاد الوطني للمرأة سواء في العاصمة أو في مختلف مناطق الجمهورية».

مراجعة هيكلية وحملات توعية

والحلول في رأي الجربي، على المستوى بعيد المدى والمتوسط تبدأ بالعمل بالأساس على ترسيخ قيم حقوق الإنسان بين المواطن والمواطنة. ولا بد أن تنكبّ المدرسة التونسية على تربية الناشئة والجيل الجديد على مبدأ المواطنة والمساواة والحقوق الإنسانية للنساء. ولا بد من توعية أبنائنا بان المساواة هي قيمة إنسانية وكلنا سواسية أمام القانون وليس هناك فرق بين أنثى وذكر إلا بنوع الجنس.

أما على المستوى الآني، فتقول رئيسة الاتحاد الوطني للمرأة التونسية إن «لا بد من أن تعمل الدولة على إيلاء مكانة أكبر للنساء على مستوى أخذ القرار. لأن تغيير العقلية يمرّ بكسر القوالب العامة لأن الرجال هم القوامون والرؤساء لذلك يجب إيلاء النساء أهمية وتنصيبهن في مواقع القيادة حتى نكسر الحاجز».

سمكة حارة

المكونات

سمكة أجاج وزن 1 كغ
4 ملاعق طعام زيت زيتون
عصير نصف ليمونة
مبشور قشر نصف ليمونة
2 فص ثوم مهروس
3 ملاعق طعام بصل مفروم ناعماً
ملعقة صغيرة كزبرة جافة
نصف ملعقة صغيرة كمون
ملعقة صغيرة بابريكا حارة
نصف ملعقة صغيرة فلفل أبيض
نصف ملعقة صغيرة زنجبيل
ملعقة صغيرة ملح
ملعقة طعام كزبرة طازجة مفرومة ناعماً للزينة
للصلصة:
4 ملاعق طعام زيت زيتون
3 فص ثوم مفرومة ناعماً
5 ملاعق طعام بصل مفروم ناعماً
نصف كغ طماطم مبشورة
نصف كوب طحينة
4 قرون فليفلة حمراء حارة مفرومة ناعماً
ملعقة طعام معجون الطماطم
ملعقة طعام كزبرة طازجة، مفرومة ناعماً
ملعقة صغيرة كزبرة جافة
نصف ملعقة صغيرة كمون
2 ملعقة صغيرة بابريكا حارة
نصف ملعقة صغيرة فلفل أبيض
نصف ملعقة صغيرة زنجبيل
ملح حسب الرغبة

طريقة التحضير

نخلط زيت الزيتون مع عصير الليمون والثوم المهروس ومبشور قشر الليمون والبصل والكزبرة والكمون والبابريكا والفلفل والزنجبيل والملح.

نحدث شقوق عرضية في وسط السمكة على الوجهين، ثم نغمرها جيداً في المزيج السابق مع الحرص على ادخاله في الشقوق التي أحدثناها سابقاً.

نضع السمكة مع التتبيلة في الفرن مدة 40 دقيقة.

نحضّر الصلصة: نسخن زيت الزيتون ونقلب فيه الثوم والبصل حتى يتحمر قليلاً.

نضيف الفليفلة ثم معجون الطماطم والطماطم المبشورة والكزبرة الجافة والكمون والبابريكا والفلفل والزنجبيل والملح وندع الصلصة تغلي لمدة نصف ساعة، ثم نضيف الطحينة والكزبرة المفرومة.

نسكب الصلصة في طبق التقديم بحيث نغطي قعره ثم ننقل السمكة إليه ونضع بعض الصلصة بداخل شقوق السمكة ونزين بالكزبرة المفرومة.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بإرسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

أغذية تمدك بالطاقة وتغنيك عن المنبهات

عندما نشعر بالتعب أثناء النهار نحاول التغلب على ذلك بالمشروبات التي تحتوي على المنبهات وخاصة القهوة. لكن هناك أطعمة صحية تساعد في التغلب على الشعور بالتعب المزمن وتمد الجسم بالطاقة اللازمة.

وكثيرون لا يستطيعون تحقيق التوازن بين العمل والرياضة والراحة والاسترخاء ويشعرون بتعب مزمن. ولهذا يلجأون إلى المشروبات التي تحتوي على المنبهات وخاصة القهوة.

لكن هناك أطعمة تغني عن المنبهات وتزود الجسم بالطاقة التي يحتاجها، حسب ما نقله موقع «فيت فور فن» الألماني عن خبيرة التغذية، جيس بلير، التي تنصح بالأطعمة السبعة التالية:

بذور اليقطين: بذور اليقطين تساعد في التغلب على التعب الدائم، نظرا للكثير من المواد المغذية التي تحتويها، ومنها البروتين والأحماض الدهنية أوميغا 3 وفيتامينات B1 وB2 وB5 وB6 والمعادن مثل المغنيز والنحاس والحديد والمغنسيوم والفوسفور. وكل هذه العناصر تدعم بعضها وتقوي جهاز المناعة وتمد الجسم بالطاقة.

الأفوكادو: الأفوكادو غني بالعناصر الغذائية ولاسيما البروتين الذي يمدنا بالطاقة طويلة الأمد، كما أنه يحتوي على الدهون الصحية التي تجعل المرء يشعر بالشبع. وتقول خبيرة التغذية جيس بلير إن «إضافة الأفوكادو إلى وجبة الفطور أو الغداء أو العشاء (أو الوجبات الثلاث) يمكن أن يساعد في مواجهة انخفاض نسبة الطاقة».

الموز: يمد الموز الجسم بالبوتاسيوم والكربوهيدرات، وبالتالي بالطاقة الكافية للشعور بالنشاط، حسب بلير، التي تنصح بعدم الاستغناء عن الموز نظرا لغناه بالفيتامينات والمعادن والألياف.

الأسماك الغنية بالدهون: سمك السلمون والأسماك الأخرى الدهنة غنية بالأحماض الدهنية أوميغا 3 وهذه الأسماك «لا تمد الجسم بالطاقة عند الشعور بالتعب فقط، وإنما تساعد الجسم أيضا ضد الالتهابات التي يمكن أن تكون سببا للشعور بالتعب»، حسب ما ينقل موقع «فيت فور فن» عن بلير. كما أن تناول الأسماك الغنية بالدهون يساعد في الوقاية من الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية ومفيد للجلد أيضا.

المكسرات والبذور: البذور والمكسرات غنية بالبروتين والدهون الصحية، لذلك فهي مصدر جيد للطاقة. وهي مفيدة للجلد والقلب وتمنح الجسم مزيدا من الطاقة.

الشوكولاتة الداكنة: تحتوي الشوكولاتة الداكنة على الثيوبورمين، وهي مادة تمد الجسم بالطاقة، حسب خبيرة التغذية جيس بلير التي تقول «إن الثيوبورمين يوفر الطاقة من دون الانهيار اللاحق كما يحصل بعد شرب القهوة مثلا».

البيض: سواء تناول المرء البيض مقليا أو مسلوقا فإنه مفيد ويساعد في التغلب على الشعور بالتعب، وحسب بلير فإن البروتين وفيتامينات B التي يحتويها البيض توفر «مصدرا للطاقة طوال النهار».

والآن بعد التعرف على هذه الأطعمة التي يمكن أن تمد الجسم بالطاقة اللازمة وتساعدك في التغلب على الشعور بالتعب، هل ستستغني عن شرب القهوة وخاصة في الصباح؟

(Dw)

الحمل

تفكر في خطواتك بكل حرص

الثور

لا تغامر وتستثمر أموالك

الجوزاء

الأوضاع العاطفية غير جيدة

السرطان

سيكون النجاح حليفك بلا شك

الاسد

لا حجّة للتهرّب من الواجبات

العذراء

فرصة لتحسين وضعك الشخصي

الميزان

كن منطقيا في طريقة تفكيرك

العقرب

تكرس وقتك لمشروع بالغ الأهمية

القوس

تكون أكثر التزاماً بعلاقتك بالشريك

الجدي

لا تتردد بزيادة عدد ساعات عملك

الدلو

تفكر في مستقبلك بجدية أكبر

الحوت

لا تعمل حتى الإرهاق

جديد الطب

علماء ألمان يطورون قلبا نابضا باستخدام خلايا في المختبر

لندن – «القدس العربي»:

تمكن فريق علمي في ألمانيا من تطوير قلب صغير نابض داخل المختبر، وهو ما يشكل اختراقاً بالغ الأهمية في مجال معالجة أمراض القلب المختلفة مستقبلا.

واستخدم الفريق البحثي 35 ألف خلية جذعية متعددة القدرات، وقاموا بغزلها في كرة باستخدام جهاز طرد مركزي (آلة سريعة الدوران) ونجحوا في تطوير القلب مخبرياً، حسب ما أورد تقرير نشرته جريدة «اندبندنت» البريطانية.

وفي محاولة لمعرفة المزيد عن المراحل الأولى لنشوء قلب الإنسان وتطوير علاجات لمجموعة من العيوب المختلفة، أجرى الخبراء هذه العملية بقيادة الدكتورة اليساندرا موريتي، أستاذة الطب التجديدي في أمراض القلب والأوعية الدموية، في جامعة ميونيخ التقنية «TUM» في ألمانيا.

وبموجب بروتوكول محدد، تمت إضافة جزيئات إشارات مختلفة إلى زرع الخلية خلال فترة عدة أسابيع.

وأوضحت الدكتورة موريتي: «بهذه الطريقة، نحاكي مسارات الإشارات في الجسم التي تتحكم في البرنامج التنموي للقلب».

وينبلغ قطر «العضية» الناتجة (الأجزاء أو الأجسام الحية الموجودة في سيتوبلازم الخلية الحقيقية النواة) نحو نصف ملليمتر، وبينما لا يضخ الدم، يمكن تحفيزه كهربائيا ويتقلص مثل قلب الإنسان.

ويُعتقد أن قلب الإنسان يبدأ في التكون بعد نحو ثلاثة أسابيع من الحمل، عندما ما تزال معظم الأمهات غير مدركات للحمل.

وفي حين أن الدراسات التي أجريت على قلوب الحيوانات لا يمكن تحويلها إلى أبحاث بشرية، يأمل الخبراء أن يوفر هذا التطور الوائد الجديد إجابات.

ويعد فريق جامعة ميونيخ التقنية هو الأول في العالم الذي نجح في إنشاء «عضية» مع خلايا الطبقة الخارجية لجدار القلب (التامور أو النخاب) وخلايا عضلة القلب.

وقالت مؤلفة الدراسة الدكتورة آنا ماير: «لفهم كيفية تكوين القلب، تكون خلايا التامور حاسمة. وتتشكل أنواع أخرى من الخلايا في القلب، على سبيل المثال في الأنسجة المتصلة والأوعية الدموية، من هذه الخلايا. ويلعب التامور أيضا دورا مهما جدا في تكوين حجرات القلب».

وبعد تحليل الخلايا الفردية، اكتشف العلماء أن الخلايا السليفة (خلايا بيولوجية يمكنها أن تنقسم وتتمايز إلى أنواع محددة من الخلايا) التي تم العثور عليها مؤخرا في الفئران تكونت في اليوم السابع تقريبا من تطوير «العضية».

ويأمل العلماء أن تلقي هذه الأفكار الضوء على سبب قدرة قلب الجنين على إصلاح نفسه، وهو أمر لا يستطيع قلبه البالغ تقريبا القيام به.

وباستخدام هذه المعلومات، يمكن للباحثين تطوير علاجات جديدة لمجموعة واسعة من أمراض القلب، بما في ذلك النوبات القلبية.

تغيّر المناخ يفاقم الجوع في أفريقيا

«القدس العربي» – وكالات:

لولا تغيّر المناخ في العالم، لما عاشت دول القرن الأفريقي أسوأ موجة جفاف منذ أربعة عقود، تسببت بوفاة 43 ألف شخص في الصومال لوحده خلال عام واحد، وفق نتائج دراسة.

فقد أفاد تحليل أجرته شبكة «ورلد ويذر اتريبيوشن» (WWA) وصدر الخميس الماضي 27 نيسان/ابريل أن الجفاف الذي جعل حوالي 4.35 مليون شخص في منطقة القرن الأفريقي في حاجة ماسة للمساعدات الإنسانية لم يكن ليحدث لولا تغير المناخ.

وعانت إثيوبيا وكينيا والصومال من خمسة مواسم شحيحة المطر منذ تشرين الأول/أكتوبر 2020 ووصفتها منظمات الإغاثة بأنها «أسوأ موجة جفاف منذ 40 عاما».

وتشير تقديرات إلى وفاة 43 ألف شخص في الصومال بسبب الجفاف العام الماضي، بينما تفيد الأمم المتحدة أن 22 مليون شخص باتوا مهددين بالجوع في إثيوبيا وكينيا والصومال، وهي الدول التي ركزت عليها الدراسة الجديدة.

والأسباب المؤدية للجفاف معقدة، لكن فريقا من علماء المناخ الدوليين من مجموعة وورلد ويذر أتريبيوشن «WWA» وجد أن زيادة انبعاثات الغازات المسببة للاحتباس الحراري تجعل حدوث الجفاف أكثر احتمالاً بما لا يقل عن 100 مرة.

وفرضت شبكة «WWA» التي أسسها علماء مناخ متمرسون، نفسها في السنوات الأخيرة جراء قدرتها على تقييم التأثير القوي وغير المنتظم نسبيا، بين الأحوال الجوية القصوى من موجات قيظ وفيضانات وجفاف وغيرها، والتغير المناخي الناجم عن النشاط البشري.

وُنشرت نتائج الدراسة التي أجريت بشكل سريع من دون المرور بعملية المراجعة العلمية الطويلة، لكنها تشتمل على وسائل معتمدة من علماء آخرين ولا سيما بيانات جوية ونماذج محاكاة مناخية.

ظاهرة الاحتباس الحراري

وقالت جويس كيموتاي، عالمة المناخ في هيئة الأرصاد الجوية الكينية والتي عملت مع WWA لاستكشاف دور تغير المناخ في الجفاف، إن «تغير المناخ جعل هذا الجفاف استثنائيا».

ووجدت هي وفريقها أنه إذا ما قلت درجة الحرارة بـ 1.2 درجة مئوية، أي تراجع ظاهرة الاحتباس الحراري، فإن اجتماع قلة هطول الأمطار والتبخر «لن يؤدي إلى الجفاف على الإطلاق».

وأكدت الشبكة أن التغير المناخي يغير بشكل متناقض موسمي الأمطار. فالموسم الأكثر وفرة بين آذار/مارس وأيار/مايو «يصبح أكثر جفافا والنقص في التساقطات أكثر ترجيحا بمرتين» مقارنة بالسابق في حين أن «موسم الجفاف الصغير يصبح أكثر رطوبة».

لكن في السنوات الأخيرة «هذا الميل إلى الرطوبة في الموسم الصغير حجبته ظاهرة إل نينيا المناخية الدورية» التي تخفض الأمطار المدارية والتي لا تتوافر أدلة إلى الآن على أنها أثرت على التغير المناخي البشري المنشأ.

وقال عالم المناخ كريس فانك من جامعة كاليفورنيا – سانتا باربرا والذي لم يشارك في التحليل «إذا كانت هناك احتمالية مضاعفة لحدوث جفاف شديد، فإن ذلك يمهد الطريق لهذه الصدمات المتتابعة التي دمرت المنطقة».

وبالإضافة إلى قلة هطول الأمطار على منطقة القرن الأفريقي، فإن ارتفاع درجة حرارة المناخ يعني أن المزيد من المياه تتبخر من التربة وتتسرب من النباتات إلى الغلاف الجوي. وقالت كيموتاي «هذا الجفاف يرجع في الأساس إلى الزيادة الكبيرة في عملية التبخر الناجمة عن ارتفاع درجات الحرارة».

وأعلنت الأمم المتحدة ومنظمات غير حكومية الخميس أنّ الجوع يتفاقم بشكل متواصل في أفريقيا، مشيرة إلى أنّ شخصاً يموت من الجوع كل 36 ثانية بين إثيوبيا وكينيا والصومال، في الوقت الذي يعاني 18.6 مليون شخص من انعدام الأمن الغذائي الشديد في الساحل.

ويترافق هذا الوضع، الذي أشارت إليه منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف) ومنظّمتا «كير» و«أوكسفام» غير الحكوميتين خلال مؤتمر صحافي مشترك الخميس في باريس، مع أرقام صادمة بشكل كبير، مدفوعاً بالجفاف المرتبط بالاحتباس الحراري، أو بظروف أخرى مثل النزاعات التي تشهدها بعض الدول.

في بوركينا فاسو، التي تشهد عدم استقرار بسبب تمرّد جهادي عنيف، قُتل أطفال بين كانون الثاني/يناير وأيلول/سبتمبر 2022 أكثر بثلاثة أضعاف مقارنة بالذين قُتلوا خلال الفترة ذاتها من 2021، كما زاد عدد القُصّر الذي عولجوا من سوء التغذية الحاد بنسبة 50 في المئة على أساس سنوي، وفقاً لليونيسيف.

في النيجر، أدّى الجفاف المتكرّر والفيضانات الكارثية في العام 2022، إضافة إلى الصراعات المستمرّة، إلى زيادة صعوبة حصاد المحاصيل الزراعية، ممّا تسبّب في «انخفاض إنتاج الحبوب بنسبة حوالي 40 في المئة» وفقاً لنيكولاس جاندو من «أوكسفام فرنسا».

ويعاني حوالي 430 ألف طفل في النيجر من سوء التغذية الحاد، بينما من المتوقّع أن تعاني منه 154 ألف امرأة حامل ومرضعات هذا العام، مقارنة بحوالي 64 ألفاً في العام 2022، بزيادة بنسبة 141 في المئة، وفقاً للوسيل غروجان المتحدثة باسم اليونيسيف.

منوعات

«العربجي» من يقدر يقود

ندى السماوي

يُمسكُ ذلك الرّجل قوسَهُ في اللّوغو الخاصّ بشركة «الغولدن لاين» ليطلق سَهمهُ ويصيبَ الهدف هذا العام من خلال مسلسل العربجي الذي جاء بِحُلّةِ الاختلاف، مُرتديا عباءة عَصرٍ مختلف تستطيع الشّخصيّة الموصوفة بالأسطورة الشّعبية التّعبير عن نفسها فيه، لطرح قضيّتها التي تخصّ حاضرها، وتقدر من خلال الإيحاء، إسقاط قضيّتها على قضايا أخرى مُعاصرة، تُلخّص بالظّلم والتّحالُفات والمظلومين، وصولاً ربّما إلى حلولٍ اختبَرَها التّاريخ، ليستقي المُشاهد ما يَشاء من الفُرجّة، سواءً على صعيد المتعة أو النّتيجة.

«العربجي» هو نصّ للكاتبين عثمان جحي ومؤيد النّابلسي، ووقّعَ على سرده البصريّ المخرج سيف سبيعي، الذي هيأ لهُ أجواءً معزولة عمّا خبرناه، ومُسوّرَةً برؤيةٍ مُغايرة للسّائد، ظهرتْ بوضوح من خلال الدّيكور المُفعم بروح عصرٍ آخر، ومن خلال ملابس وماكياج وتفاصيل أغنّتْ القصّة، وأغانَتْ الكاميرا على رصدٍ مُتقِن وأكثرَ جاذبية، مُنحّياً الزّمان وجاعلاً من المكان هوَ البطل، بعدما تسلّلَ خارج روزنامات التّاريخ ليهيمَ على وجهِ أفكاره بحريّة ليُبدِعَ أكثر، وقد تصدّى تحت إدارتـه للبطولة كوكبة من نجوم الدّراما السّوريّة، تصدّرَهم النّجم باسم ياخور والقديران سلوم حداد وندين خوري والنّجمة ديمة قندلفت وغيرهم، قدّموا جميعا كفريق عَمل حبكة سَحَبَت البساط من تحت أقـدام المفهوم التّقليديّ المعتاد للبيئة الشّاميّة، ليضعوا أقدام العربجي فوقه ويرتقوا معه بالمعنى والصّورة.

العربجي عَمَل أعدَّ ليكون بوابة لاعتماد أساليب جديدة، تتطرّق لعوالم مُنفتحَة دراميّا تَتوقُ إليها الدّراما السّوريّة، وصار يَحكُمُ وجودها اليوم حُكمُ الوجوب، خاصّةً بعد تصدّر هذه النّوعيّة من الأعمال السّوق المصريّة، وتحقيقها الرّيادة فيها، لذا يُحسبُ لصناع العربجي خطوتهم الجريئة في محاولة دكّ الصّدوع المختلف عليها دراميّا بما يخصّ البيئة الشّاميّة، من حيث موروثها الحريميّ، فجاء العمل ليُنصفُ المرأة ويُخرجُها من نطاقها الضّيق في أعمال البيئة سابقا، ليُحسَب له ظهور نساء الحارة بصورة مُحتشمَة لكنّها بعيدة عن التّعصب المحسوب على الحجاب أو الظّهور من خلف الباب أو الحديث مع الرّجال وجها لوجه دون ساتر أو مُحلل، ليركّز على ما هو أكثر واقعيّة والتصاقا بمجتمعاتنا رُغم حداثتها، وهو شرف المرأة الذي لم يَستَهِنْ به، حينَ أقبَلَ عبدو على ذبح ابنته من أجله، وعلى هذا الصّعيد كان أهمّ ما يحسب للعمل هو تحميل الرّجل مسؤوليّة خَطَأه مع المرأة، بعدما اعتدنا تحميلها الأعباء كاملة في السّابق، وذلك حين أقدَمَ عبدو على صَفع حسن عند معرفته بزواجه سرّا من ابنته حسنيّة، وعلى صعيد آخر يُحسب للعمل إخراج الدّاية من ميدانها المحصور بامرأة مُسنّة، وإسناده لشابّة عزباء تعلّمت صَنعَتها عند العطّار، الأمر الذي أضاف للمُتلقّي احتمالات جديدة أثرتْ مُخيّلتَهُ كما أثرّتْ الأحداث في العمل.

تميّزَ العربجي بذروات مُتتالية ومُترامِنَة خَالفَتْ أغلب التّوقعات، ما أجّجَ التّشويق وزادَ المُتعة، مع تعرّض الشّخصيات لأحداث لم يُقحِمهَا فيها الكاتبان، بل جاءت نتيجةً لاختياراتها حينًا، وأحيانا نتيجةً لتوجيه الآخرين لها، لتصطفّ تلقائيًا ودونَ إرادتها خلفَ ثنائيتيّ الخير والشّر التي يقود كلّ منها من يقدر على ذلك، ففي العربجي لم يكن الخير صافيا، ولم يكن الشّر مُطلقا، طالما أن مَصالحَهُ قد تَصبُّ بمصلحة آخرين، لذا لم نر شخصيّة خيّرة بالمُطلق أو شريرة بالمُطلق من حيث المَبدأ، لكنّها شخصيّات لا تُشبه بعضها ولا تُشبه غيرها، وإن كانت تتقاسم بعض السّمات العامّة، لكنّها تفرّدت بوجودها وأثّرهَا وأوّلها عبدو العربجي الذي قام بدوره باسم ياخور الذي نجحَ في سبر أغوار وعُمق شخصيّته، ومَسك زمامَ تحوّلاتها التي تأرجحت بين النّقيضين من قوة وضعف، ليستطيع ياخور بضعفها ذاك إخراجها من كليشّيه البطل الذي لا يُقهر، خاصّة حين قبّلَ حذاء أبو حمزة (سلوم حداد) الذي كان إبداعه متوقّعا وجميلا وغيرَ مُفاجئ، كما كانت ندين خوري وديمة قندلفت اللّتان قدمتا أداءً جيّداً يُمكن لهما ضبطُهُ وتطويرُهُ أكثر في الجزء الثّاني من العمل، أمّا ميلاد يوسف (حمزة) وطارق مرعشلي (الهرايسي) وفارس ياغي (حسن) وحلا رجب (نوريّة) وروبين عيسى (بديعة) وتسنيم باشا (زهرة) وودلع نادر (حسنيّة) فقد مثّلوا وكأنّهم لم يُمثّلوا، كلٌ منهم أدى دورَه بحرفيّة كأنّهم هم شخصيّاتهم، كما وأجاد حسام الشّاه دور (نوري) ولعلّ هذا الدّور هو من أهمّ أدوارهِ عُموماً وأكثرها أهميّة.

أمّا الذي تفوّقَ على نفسه أداءً وحضورا وتأثيرا في المُتلقّي، فقد كان الفنان محمد قنوع بدور شومان الذي بَرَعَ في تجسيده، ودخل من خلاله القلوب رغم نزعة الشّرّ التي ميّزَتْ الشخصيّة، وكان من المؤسف جدّاً رحيل محمد قنوع قبل أن تكتمل فرحةُ المُتلقّي العربيّ بنجاحه المُميّز ذاك، إذ فارقنا تاركا حَسرة كبرى في قلوب كلّ من عرفه، وذكرى جميلة لكلّ مُحبّيه.

العربجي راهنَ على ترابطه الفنيّ والجماليّ ليُحقّقَ معادلة النّجاح الجماهيريّ، لكنّهُ برغم ذلك لم يَخلُ من المآخذ التي تتراوح أهمّيتها، لكن لا يُنفى وجودها، ولعلّ أهمّ تلك المآخذ هي كثرة صراخ الرّجال والمراجل والعنتريات وتناثر هذه المشاهد على مدار الحلقات ما يزيد عن الحاجة إليها، كما أن الموسيقى التّصويريّة لم تكن محسوسة غالبا، ومرّت مرور الكرام دون أن تَخلق رابطا عاطفيّا مع المُتلقّي لأنّها لم تنجح في تكريس أجواء الحكاية، وغالبا ما كانت توحي بأجواء مُغايرة لها، كما وتكرّرت الصّدفة في خلق بعض الأحداث، ولعلّ أغربها كان وصول كرمو إلى خان أبو حمزة في اللحظة التي كان عبدو قد شارف على ذبح زهرة ليمنعه كرمو وهو الشّيخ الجليل الذي كان أكبر من إمكانيّة الممثل عبد الرحمن قويدر، ولم يستطع تقمّص الدّور بإقناع، بل كان الدّور فضفاضا جدّا على أدائه، كما كان تفاعل شخصيّة لطفي أثناء التّجلي في الطّقوس الصّوفيّة التي شارك فيها ضمن الحلقة 20 تحت الشّجرة، تفاعُلا لا يَمُتُّ بصلة لأيّ طقوس دينيّة على وجه الأرض، وإن كانت الموسيقى التي رافقت تلك الطّقوس بالإضافة لأنشودة «خذني إليك» قد ضاضاربروُأضافتا – موسيقيّا– بُعدا روحيّا آسرا على العمل.

شركة غولدن لاين نافستْ نفسها وتفوّقت على نفسها في العربجي على ما أنتجته العام الفائت، والنّهاية لم تُحسم في العربجي وسننتظر جزءا جديدا نعوّل فيه على جودة النّص قبل كلّ شيء، آملين أن لا يقع في فخّ التكرار أو الاستسهال في استثمار مجده الذي حقّقه الجزء الأوّل وحسب، متفائلين بمستوى من الاحترافيّة يقدّمها صنّاع العمل بقيادة المخرج سبيعي لضمان استمراريّة النّجاح في رمضان المقبل.

حقق شهرة في أدائه لشخصية الشيعي وتخطاها نحو أبعاد أكبر في فيلم «هردبشت»

حسين قاووق: نشأت في بيئة القبضايات الطيبين حُماة الحي لكنهم اختلفوا عن الماضي

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

هو الممثل حسين قاووق الذي حصد نجاحاً كبيراً في أدواره الكوميدية الساخرة على شاشة التلفزيون، وفي حضوره عبر أمسيات ستاند أب كوميدي. لكنه هذه المرّة حسين في الواقع وفي التمثيل، فقد احتفظ باسمه في فيلم «هردبشت». حقق حُلُم التمثيل السينمائي الذي تقاسمه مع شريك مسيرته الكاتب والمخرج محمد دايخ.

«هردبشت» يعمل في الصالات اللبنانية ويحقق حضوراً لافتاً، وقد تناوله الإعلام بغزارة. أكثرهم تعرّف إلى منطقة من لبنان كانت مجهولة بالنسبة لهم. فيلم طرح الأسئلة الكثيرة عن المهمشين في هذا الوطن.

فرح حسين قاووق بنجاح الفيلم، قريباً سيكون في المسرح. يلفت بأن اسكتشا تلفزيونيا لا يتحمل هجوم وحملات، هي دقائق فرفشة ليس إلا.

○ ما هو حافزك لتقديم دور حسين في فيلم «هردبشت»؟

● قبل كاراكتير حسين كانت السينما بحد ذاتها حلماً ننشد تحقيقه محمد دايخ وأنا منذ انطلاقتنا في المسرح. وأظن السينما هي حُلم يطمح لتحقيقه كل ممثل. نحن معاً متأثران ببيئة الضاحية، والشارع الذي نشأنا فيه بما يحتويه من «زعران». هؤلاء الـ«زعران» هم القبضايات الطيبون الذين كانوا يحمون الحي. وحين بلغنا مرحلة تقديم الفيلم كانت فكرة الـ«أزعر» قد بدأت تتبدّل بالتدريج، وباتت على الصورة التي قدّمها «هردبشت». إذاً بعض من حسين موجود في داخلي من قبل.

○ وما هو شكل هذا الكاراكتير بداخلك من قبل؟

● يتمثّل ببعض المظاهر كمثل «ع بالي أحمل سكين» والحضور مع شباب الحي في السهرات كإثبات للوجود. كتب محمد دايخ سكريبت «هردبشت» إنطلاقاً من قصص مرّت بحياتنا معاً. والعائلة التي ركّبها تشبه عائلته، إنما بعيداً كلياً عن المخدرات والجرائم. إذاً الـ«كاركتيرات» كانت مقيمة بداخلنا، واحييناها. وبالتعايش الضروري لنا كممثلين مع منطقة التصوير المختارة في الأوزاعي أُدخلت تعديلات كبيرة على هذه الكاركتيرات. منها الاختلافات في الكلمات المفاتيح واللهجة. حجم الفقر والتهميش الموجود في الأوزاعي يفوق بكثير ما هو في الضاحية. وعندما تقرر مكان التصوير زرته برفقة حسين دايخ الذي أدى دور «أبو الفضل» مراراً ومكثنا هناك لساعات. جالسنا شباب الحي، وعرّضنا أجسادنا للشمس لاكتساب لون البحر. فالأوزاعي على الشاطئ ومعظم سكّانها لهم بشرة برونزية. ومن التغيرات التي أحدثتها معايشة موقع التصوير أني تخليت عن ربط شعري وقصصته. ففي الأوزاعي لا شعر مجدولا إلى الخلف لدى الشباب، ولا كريمات. جميعهم شعرهم متروك على حريته تعبث به رطوبة البحر. كذلك أمر اللحى.

○ وماذا عن الكلمات المفتاح؟

● تختلف كلياً عن ما نستخدمه في الضاحية الجنوبية. من يريد ديناً من أحدهم يقول له «شخلل» أي أعطيني. «الكان بـه» في الأوزاعـي تعني خلص ونقطة ع السطر. عملياً أمضينا حوالي الأربعة أيام في مكان التصوير، ونمنا أحياناً بداخله. هذا الإقامة في الموقع أفضت للاندماج بالشخصيات التي كنا بصددها. كذلك الأمر في المشاهد الـ«ماستر» كان المخرج محمد دايخ يتقصّد أن يتجالس الممثلون في المشاهد المشتركة مسبقاً، لتحقيق مشهد يتضمن الحد الأقصى الممكن من المشاعر.

○ أديت في «هردبشت» مشاهد قاسية أرهقت الممثلين، فماذا عنك؟

● صراحة منذ انطلاق الفيلم في الصالات لأول مرة يسألني صحافي عن الكواليس الحقيقية التي رافقت التصوير. كاراكتير حسين وفي بعض المشاهد كان يصيبني بتورما. لم أذق طعم النوم في الليل الذي تلا مقتل «علي» وسقوطه عن السطح. رسخ في ذهني أني قاتل. وتساءلت عن مصيري بعد هذه الجريمة. عشت الكاراكتير قبل وبعد القتل. أخذني القتل إلى مكان الاعادة، حيث تصحيح الخطأ مستحيل. كما طلب المخرج مني ومن حسين دايخ «أبو الفضل» النوم معاً في المنزل نفسه حيث قُتل الأخير. وركّز المخرج على أهمية عيش المشاعر بأن حسين دايخ صديق طفولتي وشبابي الفعلي، سيموت في الغد. نعم عشنا المشاعر على حقيقتها، وشكّل التمثيل لذّة مُطلقة لنا. لهذا أشعر السؤال عن كواليس الفيلم حقيقي جداً. ففي السينما يخلع أحدنا نفسه، ليصبح إنساناً آخر كلياً.

○ شخصياً فتشت عن المشاعر في «هردبشت» ووجدت صعوبة في إيجادها، هل وجدت أنت كممثل مشاعر ما مع والدتك أو مع «حمَودي» مثلاً؟

● بخلاف رأيك وجدت حتى في كاراكتير حسين مشاعر غير مباشرة صدرت من عينيه. خلال وجوده في المستشفى وبعد قوله «معقولة يموت حمَودي»؟ وفي النفق راكباً الدراجة النارية خلف صاحبه. ولدى جلوسه إلى قبر أبو الفضل، ومروره من تحت صورته في الحي دون الشجاعة برفع رأسه لمشاهدته. وكذلك نظرة الإعجاب الأولى إلى «ذكية» والقبلة الأولى بينهما، قبل أن يتحوّل اللقاء لغرض جنسي بحت. وحين دخل إلى منزل عنصر قوى الأمن الداخلي وحسين مصمم على أذيته، لكنه امتنع بحضور والدته. وكذلك مشهد حسين المُحجم عن قتل الشيخ.

○ تقودون نقاشاً مع الجمهور بعد العروض فهل شاركت بأحدها؟

● نعم كنت بعد أحد العروض في صالات أ ب ث فردان. للأسف صدف أن تخفيه المحال التجارية خلفها. يخشون من أن يشوه الأوزاعي مرتبتهم الاجتماعية البرجوازية. في حين أن كثيرا من شباب الضاحية الجنوبية يعرفون حال سكان الأوزاعي ويشجعون لتسليط الضوء عليها. أمثال حسين في الأوزاعي كثُر، لكن السؤال لماذا وصل إلى هذا الواقع؟ ولماذا تمادى بالخطأ؟ ولماذا لا يضع حدوداً لتصرفاته؟ مع العلم أن المعنيين بأمور الأوزاعي يعرفون أن الدولة وبتعاقب المسؤولين فيها تشجّع لبقائها كما هي. نصح بعض المسؤولين الناس بالسكن في بيوت من التنك قرب الشاليهات، بهدف تقاضي مالاً من الدولة للإخلاء لاحقاً. اخترنا الأوزاعي للتصوير لأنها لا تخضع لرقابة الدولة ولا الأحزاب. تعرفنا إلى بشر يتفوقون على «حسين» في سلوكهم. ويمكن القول بأن الجميع هناك «مطاليب» من الشاب ابن 15 إلى عمر الـ30 وبعضهم صدرت بحقهم أحكام. يقطنون الأوزاعي للعمل بالممنوعات.

○ لماذا عقد «حسين» النية لمغادرة المنطقة التي يعيش فيها؟

● حلم الجميع العيش خارج لبنان. وهذا ما تقوله مشاهد مراقبة حسين وأبو الفضل لكل طائرة تمرّ فوقهما، فهما يعيشان في أقرب نقطة من المطار. يشاهدان الطائرات بين هبوط واقلاع، وهما عاجزان من مغادرة المنطقة لبضعة أمتار.

○ بعد أول تجربة في السينما هل تخضع لكاستنغ للفوز بدور في فيلم جديد؟

● حضوري من خلال التلفزيون ووسائط التواصل الاجتماعي هدفه الوصول إلى أكبر جمهور ممكن، وتالياً النجاح في استدراجه إلى ملعبي المحبب المسرح والسينما. الإحساس مع السينما يختلف عن كل ما عداه وهو جميل للغاية. ومهما اجتهدنا في التلفزيون سيبقى الجمهور ينظر لنا بسطحية. أما جذبه إلى السينما والمسرح فسيجعله يعيش احساساً مختلفاً. سننهي الموسم في التلفزيون بعد عدد قليل من الحلقات. ومشاركتي في أي كاستنغ رهن بإشارة المخرج الذي يراني في دور محدد، وعندها سأقرأ النص وأجرب. أما كاست بالطلق فلا.

○ وما هو التالي؟

● بالتأكيد سنكون مع عمل مسرحي يعده محمد دايخ وبات في خواتيمه.

○ كم تجتهد للخـروج من النمطية التي تعيشـها كممثل يؤدي دور شيعي لبناني؟

● بالتأكيد لن أبقى في هذا الدور. إنها صدفة تكرار الأدوار في المرحلة الأخيرة. ولأن سيناريو «هردبشت» انتمى لمنطقة الأوزاعـي كـان التكرار. محمد وحسين دايخ وأنا تعبنا من هذا التنميط، خاصة بعد تحوله إلى شمّاعة. وترداد بعضهم «أنتم تعيشون على ظهر الشيعة» دون أخذ بالاعتبار أن الكاتب والممثل يستوحيان أعمالهما من بيئتهما. نحن عشنا ونعيش في هـذه المنطقة، وليس لنا تقديم فيلم عن حي إيطالي. بالتأكيد لن نبقى محمد دايخ وأنا ضمن هذه الدائرة. وسبق أن قدّمنا مسرحية «اسماعيل انتحر» ولم يكن لها أي طابع شيعي. للأسف لم تأخذ المسرحية حقها، فقد انطلقت على المسرح قبيل الثورة بقليل، ومن ثمّ حلّت كورونا. حققت المسرحية النجاح في انطلاقتها دون أي حضور شيعي في نصها. ونجح كاراكتير «علي العلوية» على وسائط التواصل الاجتماعي، ولن أكرره. التنميط ليس محصوراً بمكان أو فئة، لبنان برمته أسير التنميط.

○ قد يكـون التنميط الـذي يلحق بالفنان من شـغل الإنتاج. أنت شخصياً ستبحث عن أفق أوسع لحضورك الفني؟

● أكيد لن أسمح لموهبتي الاستمرار بهذا الإطار المحدود. لن أمثل أي دور قريب من حسين، أو شخصية أخرى لعبتها. لن أعلق في هذا الكاراكتير، بل أتمنى شخصية جديدة كلياً أجتهد في تحضيرها كي تصل للمتلقين.

○ ماذا عن أعمالك المسرحية؟

● بدأت العمل المسرحي مع محمد دايخ منذ سنة 2012 وفي رصيدنا إلى الآن بحدود سبع مسرحيات. كوّنا جمهورنا بالتدريج، ولم نتعاون مع أي شركة إنتاج. المرّة الوحيدة التي تعاملنا فيها مع شركة إنتاج كانت في فيلم هردبشت.

○ ألم تتعرضان للخسارة؟

● في بعض الأعمال كنا نحصل على الأصفار، لا خسارة ولا ربح. معنوياً ننال حقنا دائماً. كنا مؤمنين بأننا سننال حقنا من النجاح في يوم مقبل، وأن جمهورنا سيكبر رويداً رويداً. أذكر جيداً سنة 2013 حين قدّمنا مسرحية في المركز الثقافي الروسي، ولم نكن نعرف جمهورنا ولا عدد الحضور. حجزنا الصالة وتكفّلنا بالسداد بعض العروض الثلاثة. حينها تساوت التكاليف مع شبّاك التذاكر. دخلت مع محمد دايخ في المخاطرات عدّة. لكنّ الفيلم بالضرورة يحتاج للإنتاج.

○ ومتـى وصلتمـا إلـى جمهـور عريض؟

● في مسرحية «عم بيقولو اسماعيل انتحر» كافة العروض كانت تمتلئ. كذلك الحـال مـع مسرحية «السبعة ودمتا» من كتابة وإخراج محمد دايخ، عُرضت لـ60 ليلة وبكاملها الصالة «مفوّلة». بعد المسرحية توجهنا لستاند اب كوميدي عُرضت في لبنان وفي ابيدجان وبنجاح كبير جداً.

○ رغم النجاح في المسـرح ستبقى تحنّ إلى ستاند اب كوميدي؟

● ستبقى هوايتي في مكان ما. لن أعطيها كامل وقتي. وإن فات عام دون عروض ستاند اب كوميدي فلا مشكلة. التلفزيون تجربة أحبها وأحترمها ولها أن تستمر، لكنها لا تمنحني كممثل ذات مشاعر المسرح أو السينما. بالعودة إلى التلفزيون فهذه اسكتشات وحسب، ولا تحتاج كل هذا النقد. تحتاج فقط لبعض الضحك والفرفشة وليس أكثر. أتمنى لو يوجّه كل هذا النقد نحو المسرح. اسكاتش التلفزيون لا يحمل حملات ولا هجومات. خمس دقائق فرفشة لن تهز لبنان، الذي لم يهتز لتفجير اقتلع نصف عاصمته.

تصوير: علي لم

«الطربوش» التُحفة المُتبقية من عصر محمد علي وزمن الباشوات

كمال القاضي

عرف المصريون ارتداء الطربوش في زمن محمد علي باشا، حيث كان رمزاً للهيبة والوقار ودليلاً على مكانة من يرتديه، فإما أن يكون من الباشوات أو البكوات أو الأعيان أو موظفاً مرموقاً، وذلك قبل أن يتم تعميمه ليكون إلزامياً على كل فئات الموظفين والأفندية والطُلاب بدرجاتهم ومراحلهم التعليمية المختلفة.

وقد ظل للطربوش اعتباره المهم أدبياً واجتماعياً وعلمياً إلى أن قامت ثورة يوليو فغيرت الكثير من المفاهيم المُرتبطة بقيمته وأهميته.

وفي عام 1962 تحديداً صدر قرار بإلغاء ارتداء الطربوش في المصالح الحكومية باعتباره من بقايا العصر البائد.

وقد تم استهداف الطربوش خصيصاً كونه يُشير بشكل أو بآخر إلى التمييز الطبقي، إذ لم يكن الفلاحون أو العُمال على سبيل المثال من بين الفئات المميزة بارتدائه كونهم كادحين وفقراء ومن ثم رأت الثورة أن تُنهي تماماً عصر الطبقية بإشاراته وملامحه، ويمُضي الوقت اختفت الطرابيش من المصالح الحكومية ومن الحياة العامة فلم يعد لها ذات الرمزية والدلالة التي كانت أيام حُكم الأسرة العلوية التي بدأت بمحمد علي باشا وانتهت بالملك فاروق.

ومع اختفاء ظاهرة الطرابيش تراجعت بطبيعة الحال الصناعة ذاتها فلم يعد لها ضرورة بعد رفع شعار المساواة إثر إلغاء الملكية وبداية الحُكم الجمهوري وتولي الرئيس محمد نجيب زمام البلاد، ثم جمال عبد الناصر. ولأن الطربوش ارتبط فعلياً بالمسألة الرمزية صار اختفاؤه أيضاً ملمحاً سياسياً للتغيير الاجتماعي الشامل شكلاً ومضموناً، وإلى الآن لا يزال يُشار إلى الفترة الملكية بمقولة زمن الطرابيش كناية عن الاقتران الواضح بين المرحلة السياسية والشكل الاجتماعي.

ولأن الحقبة الزمنية من حُكم الملك فاروق لم تتفصل بشكل نهائي عن السياق التاريخي لمصر، ظلت بقايا الزمن وملامحه حاضرة في وجدان القلة القليلة من الناس، وبالتبعية بقي الطربوش موجوداً على استحياء في بعض المناطق الشعبية القديمة بالقاهرة كالحسين والغورية والجمالية وشارع المعز لدين الله الفاطمي والمناطق المحيطة بالجامع الأزهر الشريف، حيث مواطن الورش المُصنعة له والمُتخصصة فيه بأسطواتها وحرفييها ما زالت تعمل وتُنتج أشكالاً وألواناً للاستهلاك المحلي المقصور على مشايخ الأزهر وبعض طلابه من أبناء المراحل قبل الجامعية.

كذلك حرصت نسبة قليلة للغاية من المواطنين المُتمسكين بالتراث القديم على ارتداء الطربوش كجزء من مكون شخصيتهم، لكن الدافع الأساسي لبقاء الصناعة وتفاني أصحابها للحيلولة دون انقراضها هو الإقبال السياحي عليها من جانب الأشقاء العرب، خاصة من الأردنيين والمغاربة فهؤلاء يقومون باستيراد كميات كبيرة من الطرابيش لبيعها في بلادهم، إذ أن هناك من يحرص على اقتناء الطربوش وارتدائه وهي نسبة ليست بسيطة وتعد مؤثرة بشكل كبير في اقتصاديات الصناعة المصرية ومُشجعة على الاستمرار فيها بلا توقف طالما أن حركة التوريد نشطة وقوية وتسمح بتعدد مصادر الإنتاج داخل القاهرة وخارجها كما في الإسكندرية وأسيوط وكفر الشيخ وهو أمر قائم بالفعل في تلك المحافظات التي لا يُعرف سبب مُحدد لارتباطها بصناعة الطرابيش حتى هذه اللحظة.

غير أن هناك عوامل أخرى خلقت سوقاً تجارياً للطرابيش، من أهمها الإنتاج الدرامي للمُسلسلات التي تدور أحداثها في أزمنة تاريخية قديمة، فأصحاب الأعمال والقائمون على توفير الإكسسوارات واللوازم والمُقتنيات الخاصة يُمثلون رافداً مهماً من روافد الدخل الأساسي للورش الصناعية ومُلاكها، حيث متوسط سعر الطربوش العادي المطلوب في المسلسل أو الفيلم يتراوح ما بين 20 و80 جنيهاً.

هذا بخلاف سعر الطربوش المُميز المصنوع من الجوخ أو الصوف فهو يختلف عن نظيره الأرخص المصنوع من الخوص أو الكارتون، إذ يصل سعر الطربوش الواحد المميز إلى نحو 200 جنيه تقريباً ومُرشح للزيادة في ظل غلاء أسعار الخامات والعمالة وبقية التكاليف، فضلاً عن أن النوعيات الفاخرة من الطرابيش والتي يتم تزبينها ببعض الزخارف ودعمها ببطانة مُعينة من الداخل تتضاعف أثمانها تبعاً لقيمتها.

وللصناعة ذاتها أسرارها الخاصة المنقولة والمُتوارثة من جيل لآخر وهي في الغالب تكون حكراً على عائلات بعينها فليس مسموحاً لغير أبناء الكار التطفل على الأسطوات والمهنيين الأصليين.

وقد جرت العادة على توريث المهنة للأبناء والأشقاء والأحفاد فقط لتبقى الصنعة بأسرارها ملك روادها الأوائل هم وأهلهم فلا تخرج لغيرهم ممن لا يعرفون أسرارها ولا يقدرون أهميتها التراثية.

هكذا هو العُرف في الصناعة الإبداعية الاستثنائية التي يأبى أصحابها التفريط فيها أو اعتزالها أو المُقايضة عليها ولو بمعايير الذهب الخالص.

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير: سناء العالول
Editor In Chief: Sana Aloul

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الخامسة والثلاثون العدد 10970 الأحد 30 نيسان (أبريل) 2023 – 10 شوال 1444 هـ
Volume 35 - Issue 10970 Sunday 30 April 2023

مليونير أمريكي يزعم أن عمره تراجع خمس سنوات

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

بعد عامين من قراره المثير للدهشة بتحدي نفسه لتحطيم الرقم القياسي العالمي لتجديد الشباب، يؤكد رجل الأعمال الأمريكي المليونير برايان جونسون، البالغ من العمر 45 عاماً، أن لديه اليوم قلب رجل يبلغ من العمر 37 عاماً.

برايان جونسون، هو رائد أعمال ومؤسس العديد من الشركات الناشئة، انتهى به الأمر ببيع شركته Braintree إلى Paypal في عام2013 مقابل 800 مليون دولار. في عام2021 قرر هذا المليونير المقيم في لوس أنجلوس، أن يتحدى نفسه عبر تجديد شباب جسمه، لا بل تحطيم الرقم القياسي العالمي لتجديد الشباب؛ والعيش أطول مما كانت ترغب فيه ساعته البيولوجية، وفق ما أورد موقع «ويست–فرانس» الفرنسي.

أطلق منذ ذلك الحين قناة على يوتيوب، يوثق من خلالها رحلته وروتينه اليومي، وكذلك وصفاته والقائمة الطويلة جدًا لمكملاته الغذائية.

حول غرفة في فيلته المشرقة في لوس أنجلوس إلى عيادة صحية حقيقية مليئة بالآلات حيث يخضع، بدعم من مساعد، لمجموعة من الاختبارات لقياس التقدم الذي يحرزه روتينه الغذائي، والذي يبدو أنه بدأ يؤتي ثماره؛ إذ يشير الصحافي في «راديو كندا» الذي قابله إلى أنه، وفقًا للتحليلات، فإن برايان جونسون لا يبلغ من العمر 45 عامًا تمامًا كما قد يوحي بذلك عمره. فبعد عامين من اتباع نظام غذائي صارم، أصبح قلبه الآن قلب رجل يبلغ من العمر 37 عامًا، وبشرته بشرة شاب يبلغ من العمر 28 عامًا، على الرغم من أن بعض علامات العمر في مقاطع الفيديو الخاصة به لا تخدع.

بالنسبة لزميل من مستخدمي يوتيوب جاء لزيارته في منزله يدعي أنه تمكن من إعادة معدل تقدمه في العمر إلى معدل طفل يبلغ من العمر10 سنوات. في مقطع فيديو آخر، أكد أنه في غضون سبعة أشهر فقط تمكن من تقليل عمره البيولوجي بمقدار 5.1 سنوات.

لتحقيق هذه النتائج، يستيقظ برايان جونسون في الخامسة صباحًا كل يوم. ولأن العمر يمر أيضًا عبر الشعر، فهو لا يتردد في ارتداء قبعة مزودة بعشرات من أجهزة الاستشعار لعدة دقائق لتقوية فروة رأسه. ناهيك عن اتباعه لنظام غذائي صارم: فطوره في الغالب عبارة عن خليط خاص من ستين حبة. كما أنه يشرب كوبًا كبيرًا من العصير الذي أطلق عليه هو نفسه اسم «العملاق الأخضر» والذي يتكون، من بين أمور أخرى، من الكرياتين والسبيرميدين والكاكاو أو حتى الكولاجين والقرفة. في الوقت نفسه، يشرب خمسة أنواع من الشاي الأخضر المضادة للأكسدة يوميًا. وبالطبع لا يقترب من الكحول.

نظامه الغذائي نباتي ومنخفض جدًا في السعرات الحرارية، ويتكون أساسًا من السلطات المصنوعة من المخللات والقرنبيط، بالإضافة إلى الحلوى. يأكل للمرة الأولى في الساعة السادسة صباحًا، والثانية في الساعة الحادية عشرة صباحًا. ويتوقف عن الأكل عند الظهر للسماح لجسده بالتخلص مما أكله في الصباح.

لديه أيضًا جهاز يسمح له بقياس صحة رئتيه، التي تضررت مؤخرًا بشكل خطير بسبب كوفيد–19 وكذلك قلبه وحتى بشرته. لتجديد شبابه، يلجأ إلى العديد من جلسات الليزر، والتي من شأنها أن تسمح، كما يؤكد هو، بإرسال رسالة إلى جيناته لتجديد شبابه. يتم أيضًا فحص دمه بانتظام، ومعدل السكر في الجسم أيضًا، وحتى درجه السمع لديه.

يمارس، بالطبع، الرياضة، إذ يركض خمسة كيلومترات كل يوم. وتبلغ نسبة الدهون في جسمه، المحسوبة بواسطة التصوير بالرنين المغناطيسي5 في المئة.

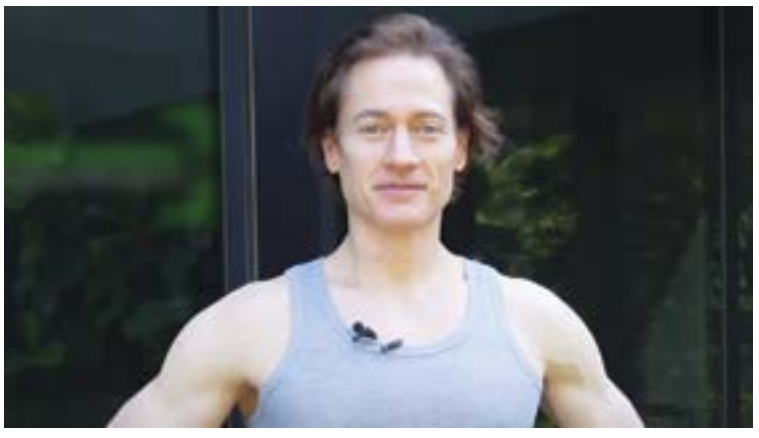

وتبلغ تكلفة تجديد شبابه، الذي أطلق عليه اسم Blueprint2 مليون دولار سنويًا. ويقول برايان جونسون أنه باستخدام أفضل التقنيات يحاول القيام بكل العمليات الصحيحة لتحييد عملية الشيخوخة في جسده، حتى أنه يقر بأن بعض نتائجه «استثنائية» وأن صحته «تقترب من الكمال». كما يشدد على أهمية النوم، معتبرا أنه هو العامل الأكثر أهمية من أجل أن يكون بصحة جيدة ويطيل عمره.

الكشف عن شاشة مصممة لتوفير خصوصية للحظة مقدسة في مراسم تتويج الملك تشارلز

قال قصر بكنغهام وصناع شاشة جديدة من المقرر استخدامها خلال مراسم تتويج الملك تشارلز الأسبوع المقبل إن الشاشة ستوفر «خصوصية مطلقة» الجزء الأكثر قداسة من المراسم، مما يضمن أن عيون العالم لن ترى الملك وهو يجري مسحه بزيت مقدس.

فالشاشة ثلاثية الجوانب ستكون ساترا لتشارلز أثناء عملية المسح بالزيت المجلوب من القدس على يديه وصدره ورأسه قبل وقت قصير من تتويجه في كنيسة وستمنستر بلندن في السادس من أيار/مايو. وقال قصر بكنغهام إن هذه اللحظة تاريخيا كان ينظر إليها على أنها «لحظة بين الملك والله» مع وجود حاجز لحماية قدسيته.

وقال نيك جوتفروند الذي صمم وصنع الإطار «في السابق، كانت توضع مظلة من الأعلى، والتي في الواقع لم تكن توفر خصوصية حقيقية، كانت رمزية بشكل أكبر... الآن توفر هذه الشاشة ثلاثية الجوانب خصوصية مطلقة». وكانت هناك تكهنات بأن تشارلز قد يسمح للناس برؤية عملية المسح، لكن المؤرخة الملكية البروفيسورة كيت وليامز قالت إن ذلك كان سيمثل مفاجأة.

وقالت «ما هي إلا لحظة خاصة مقدسة. إنها لحظة روحانية».

وقال القصر إن الشاشة صنعت بمزيج من المهارات الحرفية التقليدية والأساليب الحديثة، ويبلغ ارتفاعها 2.6 متر وعرضها 2.2 متر، ولها أعمدة خشبية تعلوها نسور برونزية مطلية بورق الذهب. (رويترز)

رواية غير منشورة لغابرييل غارسيا ماركيز تُطرح في الأسواق عام 2024

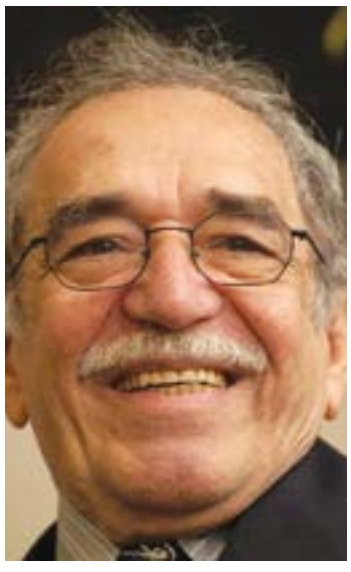

ستُطرح رواية غير منشورة للكاتب غابرييل غارسيا ماركيز في الأسواق عام 2024 لمناسبة الذكرى العاشرة لوفاة الروائي الكولومبي الحائز جائزة نوبل للآداب عام 1982 على ما أعلنت دار النشر «راندوم هاوس» أمس. وأشارت الدار في بيان إلى أنّ الكتاب الجديد لمؤلف «مئة عام من العزلة» و«الحب في زمن الكوليرا» سيكون مُتاحاً «عام 2024 في أسواق مختلف البلدان الناطقة بالإسبانية باستثناء المكسيك» و«سيشكل نشره بالتأكيد الحدث الأدبي الأهم لسنة 2024».

والراوية التي تحمل عنوان «نلتقي في أغسطس» تمثل ثمرة «آخر جهود» الكاتب «في مواصلة الكتابة رغم الصعوبات» على ما نقل البيان عن أبنائه رودريغو وغونزالو غارسيا بارشا.

وللكاتب والصحافي غابرييل غارسيا ماركيز المولود في السادس من آذار/مارس 1927 في مدينة أراكاتاكا شمال كولومبيا، عدد كبير من القصص القصيرة والروايات. ويشير معهد سرفانتس إلى أنّ ماركيز هو أكثر كاتب روايات إسبانية تُرجمت أعماله منذ بداية القرن الحادي والعشرين، متقدماً على التشيلية إيزابيل ألليندي والأرجنتيني خورخي لويس بورخيس والبيروفي ماريو فارغاس يوسا الحائز أيضاً جائزة نوبل. (أ ف ب)

بايدن هدفا للنكات في حفل عشاء مراسلي البيت الأبيض

يستعد السياسيون ووسائل الإعلام في سائر أنحاء واشنطن لاستراحة سنوية وجيزة مساء السبت، في حفل عشاء المراسلين في البيت الأبيض سيشكل فيه الرئيس جو بايدن على الأرجح محور نكات ساخرة ويرد عليها بنفسه.

وكانت تلاشت جاذبية الأمسية التقليدية التي تقام كالمعتاد في قاعة الاستقبال الفسيحة في فندق هيلتون في واشنطن، إلى حد ما في السنوات الأخيرة بين مقاطعة الرئيس السابق دونالد ترامب لها، والوباء.

لكن هذا العام يبدو الحدث جذاباً من جديد. وأكدت رئيسة نقابة الصحافيين في البيت الأبيض تمارا كيث مراسلة إذاعة «ان بي ار» العامة أن «التذاكر نفدت بالكامل».

وأضافت لصحيفة «ذا هيل» إنها «فترة ما بعد كوفيد. العام الماضي، تردّد الناس بشأن قضاء أمسية في قاعة كبيرة تضم 2600 شخص، وهذا العام يتهافتون للحصول على تذكرة.».

وتنضم نائبة الرئيس كامالا هاريس إلى الرئيس جو بايدن (80 عامًا) الذي أعلن الثلاثاء أنه مرشح لإعادة انتخابه في 2024. ويحيي وجود الرئيس ونائبته في الحفل تقليدًا لم يطبق في عهد الرئيس السابق دونالد ترامب.

ويشارك في حفل العشاء أيضاً شخصيات من هوليوود وسياسيون من جميع الانتماءات وصحافيون من جميع وسائل الإعلام الأمريكية.

وعلى غرار كل عام، سيعتلي نجم من عالم الترفيه المسرح، وهو هذه السنة الممثل الكوميدي في برنامج «ديلي شو» روي وود جونيور.

وحسب التقليد تحيي الأمسية التعديل الأول للدستور الأمريكي دفاعاً عن حرية الصحافة. وعملياً يتم خصوصاً إطلاق النكات.

وفي حال مواصلة اتباع التقاليد السبت، فستستهدف النكات الرئيس، وكذلك الصحافيين العاملين على تغطية أخبار البيت الأبيض – وهما هدفان شعبيان، حسب نتائج الاستطلاعات غير مرضية لكل من الديمقراطيين والصحافة.

ويمكن لجو بايدن أيضاً التحدث للدفاع عن نفسه وإطلاق النكات الخاصة به. وبالفعل، استعد الرئيس الثمانيني الجمعة للسخرية من نفسه بشأن عمره.

وفي إشارة إلى خطاب ألقاه رئيس سابق قبل 65 عامًا، قال «لم أكن هناك». وأضاف «مهما قالت الصحافة». (أ ف ب)